المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

بصيرة

رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

مجلة الدراسات الدعوية

العدد الثامن - رجب ١٤٣٧هـ

مجلة علمية دورية محكمة

عناوين الأبحاث:

- دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم- دراسة تحليلية -.
- بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.
- الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد).
- منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.
- استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين - الإستراتيجية التضامنية أنموذجا-.
- المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها "دراسة ميدانية تقويمية".
- المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثامن
رجب ١٤٣٧هـ

المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١١- ٠٠٩٦٦

المشـــرف العـــام

د. أحمد بن علي الخليفي

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ. د. حمد بن ناصر العمار

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سليمان بن قاسم العيد

د. خالد بن هدويب المهيدب

أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي

د. عبدالله بن إبراهيم الشويمان

أمين المجلة

المحاضر/ راشد بن محمد الجاسر

ردمد: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

قواعـد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١-أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢-أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣-أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤-أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥-أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦-أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧-أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨-أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١-توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢-تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف السديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣-توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية- والانجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

قال سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

"ليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة أنّ العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كلّه في أشدّ الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجليّة التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضّح لهم أحكامه ومحاسنه"[1].

وعلى هذا فإنا نحسب أن ما نقدّمه في هذا العدد الثامن من أعداد "مجلة الدراسات الدعوية" والذي يصدر من الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في ثوب علمي رصين محكّم، هو نوع مشاركة علمية في إيضاح بعض أحكام الإسلام ومحاسنه في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

وقد اشتمل هذا العدد على الأبحاث العلمية الآتية:

١. دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القران الكريم "دراسة تحليلية".
٢. بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.
٣. الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد).
٤. منهج الدعوة الاسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي
٥. استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين "الاستراتيجية التضامنية أنموذجا".

---

(١) من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الدعوة، زياد محمد السعدون، ص ٢٢.

٦. المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها "دراسة ميدانية تقويمية دعوية لآراء جمهور مجلة الدعوة السعودية نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها".

٧. المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية.

نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني bsserah@gmail.com، وتقديم الجديد النافع،،، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصى ونتواصل...

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

"دراسة تحليلية"

إعداد

د. محمد بن إبراهيم بن أحمد الزهراني

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

أهمية الدراسة:

يعد الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أحد عوامل التأثير في المدعو منذ العهد النبوي حتى عصرنا الحاضر، ويأتي هذا التأثير من طبيعة الإعجاز التشريعي الذي استوعب جميع أحوال البشر، فقد نزل القرآن الكريم على نبي أمي في أمة أمية، فكانت تشريعاته سبباً في هداية كثيرٍ من المدعوين إلى نور الله، فأبدلت شركهم توحيداً خالصاً لله تعالى، وهذبت أخلاقهم وتممت مكارم الأخلاق، فأصبح المدعوون يصرفون عبادتهم لله وحده، وفي المقابل ترى في العصر الحديث عددًا من علماء الغرب ومفكريه يشيد بتشريعات القرآن الكريم، بل ذهب بعض مفكريه إلى المطالبة بتطبيقها في ديارهم، من هنا يظهر تأثير الإعجاز التشريعي على النخب الغربية.

كما يعزز ويؤكد هذا صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وأن هذه الدعوة خالدة إلى يوم القيامة، من هنا رأى الباحث أهمية دراسة هذا المجال الدعوي.

أسباب اختيار الدراسة:

١- الحاجة إلى تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٢- الرغبة في توظيف أساليب دعوية معاصرة ومؤثرة مع المدعوين.

٣- جمال وروعة الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم جديرة بالدراسة الدعوية.

أهداف الدراسة:

١- تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٢- بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم الموظفة في الدعوة إلى الله.

٣- التعرف على الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٤- الوقوف على تأثر عدد من النخب الغربية بالإعجاز التشريعي.

منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة دراسة نظرية، ولهذا وظف الباحث المنهج الكيفي في جمع معلومات الدراسة، ويتضمن هذا المنهج وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والسجلات بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة[1]، فتم توظيفه في جمع معلومات الدراسة المتعلقة بمفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، والوقوف على موضوعاته وأبرز القضايا الدعوية فيها، ومن ثم الوقوف على تأثر عدد من النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

تقسيمات الدراسة:

مقدمة: أهمية الدراسة - أسباب اختيار الدراسة - أهداف الدراسة - منهج الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وأوجهه الإعجازية.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة.

المطلب الثاني: أوجه إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

---

(١) انظر: البحوث الإعلامية - أ.د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان - الرياض - ط١ - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- ١٤ .

المطلب الأول: موضوعات الدعوة المتعلقة بالعقيدة.

المطلب الثاني: موضوعات الدعوة المتعلقة بالأحكام.

المطلب الثالث: موضوعات الدعوة المتعلقة بالأخلاق.

المبحث الثالث: إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية.

المطلب الأول: استجابة بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: شهادة بعض النخب الغربية في الدعوة الإسلامية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

القوائم.

المبحث الأول

مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وأوجهه الإعجازية

المطلب الأول

التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة

لتجلية مفهوم دعوة النخب الغربية بإعجاز القرآن التشريعي لابد من الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة، للخروج بتصور علمي يوضح المقصود بتلك المصطلحات مجتمعة مع بعضها، إذ أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يمكن فهم مسار بحث علمي دون تحديد مكوناته العلمية وحدود مجالاته، ولهذا سأتحدث عن مصطلحات الدراسة مصطلحاً مصطلحاً:

أولاً: مفهوم الدعوة:

وردت الدعوة في اللغة بمعان عدة أبرزها :

الطلب والسؤال والنداء والتجمع والدعاء والاستمالة ، والدعوة مصدر للفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة ، والدعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء[1] ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء الأدعية [2] .

ويقال: دعا بالشيء طلب إحضاره ، ودعاه إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على

---

(١) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس - محمد الزبيدي - المطبعة الخيرية ، مصر - ١٠ ، ٢٧ (مادة دعا) وانظر: القاموس المحيط ـــ للفيروز آبادي ـــ دار الرسالة ـــ ١٦٥٥ .

(٢) انظر : الصحاح ـــ إسماعيل الجوهري ـــ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م ، ٦/ ٢٣٣٦ ـــ ٢٣٣٨ .

اعتقاده وساقه إليه[1].

وقد تكون الدعوة دعوة حق أو دعوة باطل ، فمن الحق قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[2] ومن دعوة الباطل دعوة الشيطان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[3] .

والأصل في مفهوم الدعوة اعتماده على البيان والكلام: أي تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك[4] .

وأما الدعوة في الاصطلاح فيراد بها أحد معانٍ ثلاثة :

أولها : الدين أو الإسلام، وثانيها: عملية النشر والبلاغ، وثالثها: الفن المستقل بذاته عن الفنون الشرعية[5].

١ ــ الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة :

وعلى هذا المعنى عرفها بعض العلماء بأنها:

«الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط»[6].

وقيل هي : **«نداء الحق إلى الخلق ، ليوحدوا المعبود ، ويعبدوا الواحد ،**

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية- دار إحياء التراث العربي- بيروت -بدون رقم وتاريخ ٢٨٦/١.

(٢) سورة الرعد ، الآية : (١٤) .

(٣) سورة فاطر ، الآية : (٦) ، وانظر : مدخل إلى علم الدعوة- أ. د. عبد الرب نواب الدين- دار العاصمة الرياض ط ١ - ١٤١٣هـ- ٧ .

(٤) انظر : مقاييس اللغة ــ أمين قاسم- دار الفكر - بيروت- بدون رقم وتاريخ- ٢٧٩/٢ .

(٥) انظر : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ــ أ.د. عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي ، ط ١ - ١٤٢٠هـ ــ ١٨ .

(٦) الدعوة الإسلامية أصولها ومسائلها ــ أ.د . أحمد أحمد غلوش ــ دار الكتاب المصري ، القاهرة ط ٢ ١٤٠٧ ــ ١، وانظر الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ــ محمد سعيد البارودي ــ دار الوفاء للنشر والتوزيع ــ جدة ط ١ ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٥ - ٢٥ . وانظر : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ــ محمد الراوي ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ ط ٣ ١٤١١هـ ــ ٣٩ .

حنفاء لله غير مشركين به متبعين غير مبتدعين»[1] .

(٢) الدعوة بمعنى النشر والبلاغ :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : **«إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه»**[2] .

ومن تعريفات المعاصرين للدعوة : **«تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة»**[3] .

(٣) الدعوة كفن مستقل بذاته :

«هي علم يبحث فيه عن الكيفية التي تتم بها إمالة الناس إلى الإسلام، وإقناعهم باتباعه على مر الزمان، حسب المنهج الشرعي الصحيح»[4] .

---

(١) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته ـــ د . محمد الأحمدي ـــ بدون رقم وتاريخ ـــ ١٩ ، وانظر : الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة ـــ الهدف ـــ د . توفيق الواعي ـــ دار اليقين ، مصر ، ط ٢ ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٥ م ـــ ١٨.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـــ جمع عبدالرحمن بن قاسم ـــ دار عالم الكتب ـــ الرياض ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م ، ١٥/ ١٥٦ .

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ـــ أ.د . محمد أبو الفتح البيانوني ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ ط ١ ، ١٤٠٤هـ، ١٧.

وانظر : مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ـــ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـــ ط ١ ، ١٤٠١هـ ـــ ٢٤ وانظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ـــ د . محمد سيدي بن الحبيب ، الناشر عبدالله محمد الشنقيطي ، ط ٢ ، بدون تاريخ ـــ ٢٧ .

(٤) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢١ ، محرم ١٤١٩هـ ـــ تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه ـــ د . عبدالرحمن بن سليمان الخليفي ـــ ٢٤٣ .

وانظر : مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ـــ علي المرشد ، مكتبة لينة ، دمنهور ـــ ١٤٠٩هـ ـــ ٢١ .

هذا وقد أراد الباحث المعنى الثاني للدعوة ، وهو عملية النشر والبلاغ، والحث على التمسك بتعاليمه .

ثانياً: مفهوم النخب الغربية:

لغة: النخب جمع نخبة وهو المختار من كل شيء، وهم مجموعة غالباً تكون صغيرة وتمتاز بالثقافة(١).

وأما في الاصطلاح: فهي صفوة أو طليعة، تمتلك مؤهلات فكرية مثل: الخبرة، والمهارة، والمعرفة التي تؤهلها لإدارة مفاصل معينة من الدول الحديثة(٢)، وأعني بها في هذا البحث مفكري الغرب ومثقفيهم.

ثالثاً: مفهوم الإعجاز:

الإعجاز في اللغة مصدر أعجز، والعجز نقيض الحزم والتعجيز هو التثبيط، والمعجزة واحدة المعجزات، وعجز الإنسان أي ضعفه وعجز عن الأمر أي قصر عنه(٣).

وكلمة العجز عدم القدرة على إتيان الأمر، قال تعالى حكاية عن ابن آدم: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾ (٥).

---

(١) انظر: لسان العرب- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري- دار صادر - بيروت- ط٣- ١٤١٤هـ- فصل النون - ٧٥١ .

(٢) انظر: فاضل ثامر، جريدة تاتوو، النُّخبة الثقافية العراقية، السبت ١٩-٠١-٢٠١٣ : http://www.tatoopaper.com/news.php?action-view&id-١٠٦٦، وانظر: عبدالجبار محسن: النُّخبة ودورها، تاريخ الدخول على الصفحة ١٤٣٦/١١/٢٠هـ، موقع الحقيقة : http://www.factjo.com/pages/memberdetails.aspx?id-٩٠٠

(٣) انظر لسان العرب ـ لابن منظور ـ ٤/٦٩١.

(٤) سورة المائدة، الآية: (٣١).

(٥) سورة الشورى، الآية: (٣١).

ومنه عجز الخلق عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1]. أي عدم قدرهم عن الإتيان بمثل القرآن الكريم.

وأما الإعجاز اصطلاحاً فهو: «أمر يعجز عنه البشر متفرقين أو مجتمعين، أو هو أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه»[2].

ويرد على هذا التعريف أن المعجزة خارقة للخلق وليس للبشر فقط، كما يرد عليه تقييده أن الأمر الخارق يحدث مع مدعي النبوة عند دعواه، وهذا يخرج كثيرًا من معجزات الأنبياء التي حدثت قبل مبعثهم أو حدثت في غير مقام ادعاء النبوة كتكثير الماء والطعام وغيرها كثير .

وقد عرف بعض المعاصرين المعجزة بأنها: **«أمر يجريه الله على يد نبيه، أو علم يبديه من قوله، لا يقدر أحد عن الإتيان بمثله في زمانه يكون دليلاً على نبوته لخروجه عن طاقة الخلق»**[3].

ولعل هذا التعريف أجمع التعاريف وأمنعها وهو المختار لدي.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٨).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - ط١- ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م- ٦٥.

(٣) الإعجاز العملي في السنة النبوية - د. صالح أحمد رضا- مكتبة العبيكان – الرياض –ط١- ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م -٢١

رابعاً: مفهوم القرآن:

القرآن لغة: اتفق أهل العلم رحمهم الله على أن لفظ "قرآن" اسم وليس بفعل ولا حرف، قال الزرقاني: (أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق، فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف، وإذا دخلته (ال) بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف)[2]، وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض، ولقد أصبح القرآن علماً شخصياً على كلام الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[3].

وأما القرآن في الاصطلاح فهو:

«كلام الله المنزل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر» [4].

خامساً: مفهوم التشريعي:

لغة: نسبة للتشريع فالياء للنسب، والتشريع مصدر للفعل شَرَّعَ، والشريعة هي الطريقة المستقيمة. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: (١٧ - ١٨).

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني- محمد عبدالعظيم الزرقاني - ط٣- ١/ ١٤.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (قرأ) :١٢٨/١ .

(٤) مباحث في علوم القرآن -مناع القطان - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع -ط٣-١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م - ١٧٠؛ وانظر: مناهل العرفان - الزرقاني: ١/ ٢١، وانظر: عظمة القرآن الكريم-محمود بن أحمد بن صالح الدوسري- دار ابن الجوزي- ط١- ١٤٢٦- ـ٤٩.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [1]، كما تطلق العرب الشريعة على مورد الماء، ومنه قولهم: وردت الإبل شريعة الماء[2].

اصطلاحاً: الهدايات الواردة في الكتاب والسنة المتعلقة بتنظيم جميع شؤون الحياة العقدية والفقهية والأخلاقية.

فليس المقصود بالتشريعي الأحكام الفقهية فقط، بل الفقهية والعقدية والأخلاقية بشتى تشريعاتها وهداياتها.

وبعد الوقوف على مفاهيم مصطلحات الدراسة خرج الباحث بتصور علمي عن مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

إذ يمكننا القول بأن المراد به هو: **إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام، بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية تنظم حياة المدعو، وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها.**

محترزات التعريف:

إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام: خرج به كل إمالة إلى غير الإسلام، كما خرج به غير مفكري الغرب.

بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية: خرج به الهدايات الواردة في الحديث القدسي والحديث النبوي الصحيح، كما خرج به كل شرع أوحي إلى الأنبياء السابقين، وأيضاً خرج به بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم.

عن الإتيان بمثلها: خرج به جميع التشريعات التي أتى بها الخلق، التي هي ضمن قدرة بعض المفكرين والمشرعين.

وبعد الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة، ناسب أن أذكر أوجه إعجاز القرآن الكريم، للوقوف على الفرق بينها وبين الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وهذا ما سأتناوله في المطلب الثاني.

---

(١) سورة الجاثية، الآية: (١٨).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم - ٣١٥/٢ .

المطلب الثاني

أوجه إعجاز القرآن الكريم

عندما نتحدث عن إعجاز القرآن الكريم لابد من الإشارة إلى وجوه إعجاز القرآن الكريم، إذ تعددت أقوال العلماء في ذلك، وليس هذا مقام بسطها ولكن يمكن القول بأن وجوه الإعجاز القرآني في مجملها تعود إلى أربعة وجوه هي:

١-الإعجاز البياني:

هو البيان الذي أسر عقول المدعوين العرب ملوك الفصاحة والبيان، وسلب إرادتهم، وانحنوا لقوة تأثيره في نفوسهم، فسيطرت عليهم الحيرة والعجب، فلم يستطيعوا الإتيان بآية منه، وهم أسياد البلاغة والكلمة والحرف، واستقر في نفوسهم أن هذا ليس كلام البشر بل هو كلام الله جل في علاه، فآمن منهم من آمن، وتحمل في سبيل ذلك ألوان العذاب والتنكيل، ومنهم من أبى واستكبر واستمر في غيه وطغيانه مُعرِضاً عن دعوة الإسلام.

وأمام إعراضهم عن الدعوة الإسلامية تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فكسر غرورهم وعنادهم، وأظهر عجز ملوك الفصاحة أمام بيان القرآن، ولم يكن لأحد من أولئك المدعوين أن يتجرأ على ارتكاب حماقة معارضة القرآن، لعجزهم أولاً، ولكي لا يكون أضحوكة بين العرب، سوى مسيلمة الكذاب الذي أتى بالمضحكات، فبعد سماعه سورة النازعات قال: «والزارعات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والخابزات خبزاً» وأصبح كلامه المفترى مضحكات تروى بين العرب[1]، وهكذا ظهر عجز المدعوين أمام إعجاز القرآن البياني، ولهذا يقول ابن عاشور: إن الله تعالى تحدى بلغاءهم أن يأتوا

(١) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الدمشقي- تحقيق: موسى الدويش- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٥هـ- ٤٨٧/١ .

بسورة من مثله، فلم يتعرض واحد إلى معارضته اعترافاً بالحق، وَرِبْئاً بأنفسهم عن الافتضاح، مع أنهم أهل القدرة في أفانين الكلام[1].

٢- الإعجاز التشريعي:

لقد جاء القرآن الكريم كتاب هداية للمدعوين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وينظم لهم شؤون حياتهم، ويبين لهم الحلال من الحرام، ورغم أن المدعوين في مجتمع أمي يصعب تغيير قناعاته تجاه عبادات وعادات شتى، إلا أن هذا القرآن بإعجازه التشريعي غَيَّر سلوك المدعوين، بل إن استجابتهم لتعاليمه ولنوره كانت ضرباً من المستحيل في معايير البشر لذا نالت إعجاب المفكرين، فأصبح بعض غير المسلمين ينادون بتطبيق بعض تشريعات القرآن الكريم في بلدانهم الغربية، يقول المستشرق الألماني جوزيف شاخت: **من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى بالشريعة، فالشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون، إلى حد أن دراستها أمر لا غنى عنه لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديراً كافياً، إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشمل شعائر دينية وقواعد سياسية وقانونية**[2]، وهذا تأكيدٌ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[3]، وسيأتي مزيد تفصيلٍ عن إعجاز القرآن التشريعي، إذ هو محور هذه الدراسة العلمية.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤هـ- ١٠٦/١، وانظر: الإتقان في علوم القرآن - عبدالرحمن السيوطي- ٢٢٩/٢.

(٢) انظر: تراث الإسلام- جوزيف شاخت ومعه آخرون - ترجمة محمد زهير - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - ١٩٧٨م- ٩/٣ .

(٣) سورة المائدة، آية: (٣) .

٣- الإعجاز الغيبي:

لقد تضمن القرآن الكريم أخباراً غيبية كثيرة، فمنها أخبار غيب الماضي التي ورد كثير منها في قصص الأنبياء ومدعويهم، كقصة نوح (عليه السلام) عند دعوته لقومه، فمن ذلك حواره (عليه السلام) مع ابنه وهو يدعوه، قال تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١).

وفي ختام هذه القصة بين الله سبحانه وتعالى أنها من الأنباء الغيبية التي لم تكن يا محمد تعلمها أنت ولا مدعوك قبل الوحي، وهنا يظهر إعجاز غيب الماضي، عند قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

كما تضمن القرآن الكريم أنباء غيب مستقبلية، وهي كثيرة، كإخباره بهلاك

(١) سورة هود، الآيات: (٤٢-٤٧).

(٢) سورة هود، الآية: (٤٩).

أبي لهب وامرأته على الكفر، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[1] وكذلك الإخبار بهلاك أبي جهل على الكفر، قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧ ﴾[2] وقال في شأن الوليد بن المغيرة: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[3] وكلهم هلكوا على الكفر، إذ لم يستجيبوا للدعوة الإسلامية، وهذه وغيرها من الأنباء الغيبية تؤكد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤-الإعجاز العلمي:

وهو ما أخبر به القرآن الكريم من حقائق أثبتها العلم، وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم[4].

وتعد أطوار خلق الإنسان المذكورة في القرآن الكريم من أوضح أمثلة الإعجاز العلمي، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾[5].

اكتشف العلماء حديثاً أطوار خلق الإنسان، و لم يتمكنوا من معرفة أطوار

---

(١) سورة المسد، الآيات: (١-٥) .

(٢) سورة الدخان، آية: (٤٧) .

(٣) سورة المدثر، آية: (٢٦) .

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة -تاريخه وضوابطه - د. عبدالله المصلح - ط١- ١٤١٧هـ- ١٨.

(٥) سورة المؤمنون، آية: (١٤) .

خلق الإنسان إلا بعد متابعة الجنين في رحم أمه منذ كان نطفة تمنى، وبعد توظيف الأجهزة الحديثة في هذه المتابعة، خرج البرفيسور الكندي (كيث إل مور) أشهر علماء التشريح والأجنة ليذكر الحقيقة الآتية: إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار خلق الإنسان في القرآن، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو غيره من البشر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين، لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد تأكيد كل حقيقة قرأتها في القرآن عن أطوار خلق الجنين، وتطوره داخل الرحم، فهو ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين[1]، وقد أسلم عدد من المدعوين بعد محاضرات البرفيسور (كيث إل مور)، منهم عميد كلية الطب في بانكوك بتايلند الذي أسلم على يديه خمسة من طلاب الطب في مرحلة الدراسات العليا[2].

وبعد انتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الأول، وقد تحدثت فيها عن التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة، وخرجت بمفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وهو: إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية تنظم حياة المدعو، وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، كما تحدثت عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وهي الإعجاز البياني والغيبي والتشريعي والعلمي.

وبعد ذكر هذه المصطلحات العلمية والأوجه الإعجازية للقرآن الكريم، ناسب الحديث عن الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وهذا ما ستطرقه الدراسة في المبحث الثاني.

---

(١) انظر: إنه الحق – إعداد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – مطابع رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة – ط٣- ١٤٢٠- ١٣ .

(٢) انظر: المرجع السابق- ٢٨ .

المبحث الثاني

الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

المطلب الأول

موضوعات الدعوة المتعلقة بالعقيدة

لقد جاء القرآن الكريم كتاب هداية للمدعوين، ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالله جل جلاله، فنزل بين أمة أمية وجدت آباءها على عبادة الأوثان فسارت على نهجها وطريقتها، وهذا ما عزز صعوبة المهمة الدعوية التي واجهت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن في مقدور داعية بإمكاناته المحدودة إقناع هذا المجتمع القبلي الموغل في التعصب والجهل أن يترك عاداته التي ورثها عن آبائه وتأصلت في نفوس مدعويه، فكانت المرحلة تقتضي عملاً خارقاً للعادة، يشمل تغيير عقيدة المدعو وعباداته وأخلاقه، فهي القضايا الرئيسة في حياة المدعو، ولأن الحال اقتضى عملية دعوية جذرية كانت الهدايات العقدية هي السمة الغالبة على العهد المكي، وخلال تلك الفترة المكية التي امتدت ثلاثة عشر عاماً كان القرآن يتحدث عن قضايا محددة، أبرزها توحيد الله وإفراده بالعبادة، وأن القرآن كلامه جل وعلا وقضية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وقضية الإيمان باليوم الآخر وقيام الساعة ونعيم الجنة وجحيم النار فخاطب القرآن الكريم المدعوين بأساليب شتى، لإقناعهم بقبول دعوة الإسلام، وترك براثن الشرك بالله، وسأعرض بعض القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة.

أولاً: وحدانية الله:

لقد كان أول ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم هو توحيد الله، بأن يشهدوا أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله، فإذا استقام الأصل استقامت الفروع، فخاطب فطرة الإنسان السليمة من خلال عقله، بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ

عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [1]، فالآيات الكريمة تخاطب المدعوين بأسلوب عقلي، وتبين لهم أن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض وهو المدبر لكل شيء، وتكرر عليهم السؤال، هل هناك إله مع الله خلق كل هذا، ويطلب منهم تقديم البرهان إن كانوا صادقين في زعمهم، فكان القرآن في دعوته إلى توحيد الله سهلاً واضحاً، يعرضها للمدعوين بأروع بيان، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ

(١) سورة النمل، الآيات: (٥٩-٦٤).

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، وفي مثل هذا الموضع ومواضع كثيرة من القرآن دعاهم إلى وحدانية الله، وكما دعاهم إلى الوحدانية دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[2].

(١) سورة الأنبياء، الآيات: (٢١-٢٩).

(٢) سورة الواقعة، الآيات: (٥٧-٧٤).

ثانياً: القرآن كلام الله:

إن إحدى أهم القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة، قضية الإيمان بالقرآن الكريم، التي حكى القرآن عنها حوارات عديدة مع منكريه، قال تعالى: حكاية عن تكذيبهم القرآن: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[1]، ولإثبات هذه القضية العقدية تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فكان التحدي الأول للمدعوين عند قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

فأخبر جل ثناؤه في هذه الآية، أنّ مثل القرآن لا يأتي به الجنّ والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به[3]، وهكذا لم ولن يتمكن المدعوون كلهم على الإتيان بمثل هذا القرآن، وعجزهم هذا يؤكد أن هذا القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو التحدي الأول للمدعوين.

وبعد أن تحدى القرآن المدعوين بالإتيان بمثل هذا القرآن، انتقل إلى تحدٍ أقل درجة ليظهر عجزهم وضعفهم أمام معجزة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٥).

(٢) سورة الإسراء، آية: (٨٨).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري -تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط١- ١٤٢٠هـ- ١/ ٣٧٨، وانظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٣/٥٢.

دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1]، وكما عجزوا في التحدي السابق عجزوا في التحدي اللاحق، إذ كانت أعظم أماني مشركي قريش تكذيب الدعوة الإسلامية، ورغم فصاحتهم وبلاغتهم لم يتمكنوا من الإتيان بعشر سور من هذا القرآن، ليكون عجزهم شاهداً على صدق الدعوة الإسلامية وأن محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد التحدي الثاني الذي أظهر مزيداً من عجز المشركين أمام القرآن الكريم، تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة واحدة منه، أيِّ سورة منه كانت، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

إن كان مُحَمَّد افتراه من عند نفسه، فأتوا أنتم بمثله، إذ لسانه ولسانكم واحد، فأنتم قد عُرفتم بالفرية والكذب، ومُحَمَّد لم يُعرف به قط، ولا أُخذ عليه كذب قط، فأنتم أولى أن تأتوا بسورة مثله، وقوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: ادعوا بآلهتكم التي تعبدونها؛ ليعينوكم على إتيان مثله.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ أي: بمن لسانه مثل لسانكم، ليعينوكم على ذلك[3]، وهذا التحدي الأخير كسر غرور كفار قريش وعنادهم،

---

(١) سورة هود، الآية: (١٣).

(٢) سورة يونس، الآيتان: (٣٨-٣٩).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - تحقيق: د.مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ١٤٢٦هـ - ٤٣/٦.

وأظهرهم في منتهى العجز، فقد كانوا أحرص الناس على تكذيب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من هذا القرآن ليظفروا بمعركتهم مع الدعوة الإسلامية، بل صار عجزهم هذا شاهداً على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم.

ولكي لا يقال إن القرآن تحدى كفار قريش وهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وليس لديهم علم بالكتب المنزلة، أعاد القرآن تحديه الثالث للمدعوين في المدينة ومنهم أهل الكتاب، ليسجل عجز المدعوين من أهل الكتاب كما سجله على كفار مكة من قبل.

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١).

عنى بذلك: إن كنتم في شك في صدق محمد فيما جاءكم به من عندي أنه من عندي، فأتوا بسورة من مثله، وليستنصر بعضكم بعضا على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم، حتى تعلموا أنكم إذا عجزتم عن ذلك أنه لا يقدر على أن يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم ولا من البشر أحد، ويصح عندكم أنه تنزيلي ووحيي إلى عبدي (٢).

وهنا تتجلى عظمة القرآن، فتحداهم مجتمعين ومتفرقين، وتحداهم في العهد المكي والمدني، وتحدى ملوك الفصاحة واللغة والبيان، وتحدى أهل الكتاب فلم يستطيعوا الإتيان بسورة واحدة مماثلة لسور القرآن، ليثبت عجز الخلق أمام معارضة القرآن الكريم، وهذا يؤكد للمدعوين أنه كلام الله.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير -١/٤٠٢.

ويتضح مما تقدم أن الهدايات العقدية كانت الأبرز في العهد المكي مراعاة لطبيعة الدعوة والمدعوين، فكانت قضية الإيمان بتوحيد الله وأن القرآن كلام الله أبرز القضايا الدعوية، إذ أن المدعو إذا استجاب لدعوة التوحيد وآمن بأن القرآن الكريم هو كلام الله آمن أيضاً بما جاء في القرآن الكريم من تشريعات عقدية وفقهية وأخلاقية، وبعد انتهاء هذا المطلب ناسب ذكر الموضوعات الدعوية المتعلقة بالأحكام.

المطلب الثاني

موضوعات الدعوة المتعلقة بالأحكام

لقد كانت قضية الدعوة إلى التوحيد هي قضية الدعوة الأولى، فهي الأصل الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية، ولهذا تميزت قضايا الدعوة في العهد المكي بالدعوة إليه، وهذا لا يعني أن تلك الفترة الدعوية خلت من التشريعات الأخرى، إذ شرعت الصلاة والحث على صلة الرحم ومكارم الأخلاق في العهد المكي[1]، وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وتكون المجتمع المسلم، بدأت التشريعات الفقهية تنظم شؤون المجتمع.

قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3]، فكانت تشريعاته تنظم علاقة المدعو مع ربه، وأسرته وقرابته، بل تعدى ذلك كله لتنظم دعائم الحكم وعلاقة الراعي والرعية، وواجبات كلٍ منهما تجاه الآخر، وتلك الأحكام التشريعية أكثر من أن تحصر، ولهذا سأذكر بعض النماذج التي توضح روعة التشريع القرآني.

١-تشريعات حفظ الأسرة:

الأسرة هي نواة المجتمعات، لهذا عنى القرآن بشأنها وتنظيمها، بدءاً من تكوينها ونشأتها، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - ٦٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٣٨).

(٣) سورة المائدة، الآية (٣).

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1][2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[3][4].

ولم يكتف القرآن الكريم بالحث على الزواج، بل نظم العلاقة بين الزوج والزوجة في قضايا عدة منها: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[5].

كما حذرت تشريعات القرآن في المقابل من العلاقة المحرمة بين الذكر والأنثى صوناً للأعراض وحفظاً لتماسك المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟

---

(١) سورة الروم، الآية: (٢١).

(٢) فيه قولان: أحدهما: أنه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: أن المعنى: جعل لكم آدميات مثلكم ولم يجعلهن من غير جنسكم، قاله الكلبي. قوله تعالى: لتسكنوا إليها أي: لتأووا إلى الأزواج وجعل بينكم مودة ورحمة وذلك أن الزوجين يتوادان ويتراحمان من غير رحم بينهما إن في ذلك الذي ذكره من صنعه لآيات لقوم يتفكرون في قدرة الله عز وجل وعظمته. قوله تعالى: واختلاف ألسنتكم يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك وألوانكم لأن الخلق بين أسود وأبيض وأحمر. انظر: زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين الجوزي- تحقيق: عبدالرزاق المهدي- ٣/٤٢٠.

(٣) سورة النحل، الآية: (٧٢).

(٤) جعلها الله آية تنطوي على آيات، ويتضمن ذلك الصنع نعما كثيرة، كما أشار إليه قوله تعالى: وبنعمت الله هم يكفرون. والقول في جملة والله جعل لكم كالقول في نظيرتيها المتقدمتين. واللام في جعل لكم لتعدية فعل جعل إلى ثان. انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ١٤/٢١٧ .

(٥) سورة النساء، الآية: (٣٤).

كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (١).

تقول الإعلامية الإنجليزية روز ماري هاو: إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها، فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة، فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش، أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة، فحين جعل الله للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته، فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة، وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك(٢).

٢-تشريعات حفظ النفس:

جاءت تشريعات قرآنية لحفظ دماء الناس، فشرع تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة، فالقاتل يقتل، والمعتدي يقتص منه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن

(١) سورة النور، الآيتان: (٢-٣).

(٢) انظر: تعرف على الإسلام - منقذ محمود السقار - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ٨٨ .

رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2].[3].

وبمثل هذه التشريعات وغيرها صان القرآن دماء الناس، وحافظ على ترابط المجتمع المسلم، وكبح جماح الأنفس، فلا تتهور في ساعة الغضب فتقدم على سفك دم معصوم، لأن عاقبة المعتدي القصاص بقدر اعتدائه.

٣- تشريعات حفظ المال:

المال عصب الحياة، ومن أهم مقوماتها، ولهذا جاء التشريع القرآني بتنظيم التعامل مع هذا المال بتشريعات عديدة، تهذب العلاقة مع المال، بل أصبحت تلك التشريعات محل إعجاب الغرب كما سيأتي[4]، ومنها تشريع القرآن تحريم الاعتداء على المال العام والخاص، وتوعده من يعتدي بحد السرقة والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٧٨).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٥).

(٣) كانت هذه العقوبة موجودة قبل الإسلام، ولكن للاعتدال فيها يده المثمرة، وللإسراف فيها ضرره البالغ، فحد الإسلام من غلوائها، وقصر من عدوانها، ومنع الإسراف منها. فقال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾ [الإسراء: ٣٣] فلم يبح دم من لم يشترك في القتل قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثى بِالْأُنْثى﴾. انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - تحقيق:/ محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - ١٤١٨هـ - ٣٦٨/١.

(٤) انظر : المبحث الثالث من هذه الدراسة.

ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١).

كما نظم التشريع القرآني علاقة الغني بالفقير، ومتى يدفع الغني للفقير، ومقدار ما يدفع ليحقق التكامل بين أفراد المجتمع الدعوي، وهذا ما يدعو المدعوين من الفقراء إلى القناعة بعدالة الدعوة الإسلامية، ويدفعهم إلى اعتناق هذا الدين العظيم، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

ولم يقف عند هذا بل حفظ للفقير كرامته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ (٣)، والحديث عن تشريعات حفظ المال يطول، وما ذُكر مجرد أمثلة لتنظيم رباني بديع فاق الأنظمة الرأسمالية والشيوعية في التعامل مع المال، كتحريم الربا وبعض أنواع البيع وغيرها.

ويتضح مما تقدم بعض تشريعات الأحكام في القرآن الكريم التي جاءت في سياقات شتى، وكان غالبها قد نزلت في العهد المدني بعد أن تكونت نواة المجتمع المسلم وقويت دعائمه، وسأنتقل في المطلب الآتي إلى الحديث عن القضايا الدعوية المتعلقة بالتشريع الأخلاقي في القرآن الكريم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٦٤).

المطلب الثالث

موضوعات الدعوة المتعلقة بالأخلاق

وردت آيات كثيرة في هداية المدعوين لأحسن الأخلاق، فبعد أن بدأ القرآن بالأصل وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة أتت التشريعات الأخلاقية متوافرة تهذب أخلاق المدعوين، وهذا لا يعني عدم تحلي المدعوين في العهد المكي ببعض مكارم الأخلاق، فقد اشتهر العرب بالكرم ونجدة المظلوم والشجاعة وغيرها من حميد الأخلاق، وكما قال صلى الله عليه وسلم: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**(١)، وقد وردت التشريعات الأخلاقية في القرآن في سياقات شتى، فتارة يوجه الخطاب له صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(٢)(٣).

ومواضع أخرى يذكر القرآن تشريعات أخلاقية في شكل حوار بين لقمان عليه السلام وابنه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٢٧٣)- السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة - الإسكندرية - رقم الحديث (٤٥) -١/٤٤، وانظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي علي صبح - المكتب الأزهرية للتراث، ٢٦٦، وانظر: الاستذكار- للقرطبي- تحقيق: سالم حمد عطا، محمد علي معوض- دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤٢١- ٨/٢٧٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٩هـ - ٣/٨٠٠ .

بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (١)(٢).

وتارة يأتي التشريع الأخلاقي في معرض الثناء على كرم الأنصار مع المهاجرين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

---

(١) سورة لقمان، الآيات: (١٣-١٩).

(٢) لما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ﴾ أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ وقلنا له: ﴿اشْكُرْ لِي﴾ بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي. ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، [وإكرامهما] انظر: تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب - تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٤٩، وانظر: تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)- أبو محمد عز الدين عبد العزيز ، الملقب بسلطان العلماء- تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي - دار ابن حزم - بيروت- الطبعة ١- ١٤١٦هـ - ٥٣٩/٢

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (١)(٢).

وبانتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الثاني، وقد تحدثت فيه عن القضايا الدعوية المتعلقة بالتشريعات العقدية والفقهية والأخلاقية في القرآن الكريم، وسأنتقل للحديث عن إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية، وهذا ما ستطرقه الدراسة في المبحث الثالث.

(١) سورة الحشر، الآية: (٩).

(٢) يعني الفاقة فآثروا المهاجرين بالفيء على أنفسهم، ثم قال: وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسه يعني ومن يقيه الله حرص نفسه يعني الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفيء لإخوانهم فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ- ٩- فقد ذهب صنفان المهاجرون والأنصار وبقي صنف واحد وهم التابعون الذين دخلوا في الإسلام إلى يوم القيامة وَالَّذِينَ جاؤوا مِنْ بَعْدِهِمْ يعني من بعد المهاجرين والأنصار فدخلوا في الإسلام إلى يوم القيامة.
انظر: تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي - تحقيق: عبدالله محمود شحاته - دار إحياء التراث - بيروت - ط١- ١٤٢٣هـ - ٢٦٩/٤ .

المبحث الثالث

إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية

المطلب الأول

استجابة بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية

تميزت الدعوة الإسلامية عن دعوات الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، بأنها شاملة للزمان والمكان والمكلفين، فدعوات الأنبياء (عليهم السلام) كانت موجهة من النبي إلى قومه فقط، وترتب على هذا أن تكون معجزات أولئك الأنبياء (عليهم السلام) معجزاتٍ حسية تنتهي بانتهاء دعوتهم وإقامة الحجة على أقوامهم المدعوين، وفي الحديث الصحيح: **« ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»**[1]، أي أن كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة ويجرى الله على يديه أمراً خارقاً للعادة من جنس ما نبغ فيه قومه، فيظهر عجزهم عن الإتيان بمثله، فيدفعهم إلى الإيمان به.

لقد كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام)، وكانت ناقة صالح (عليه السلام) لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، وكانت عصا موسى (عليه السلام) حية تلقف ما صنعوا، وكان عيسى (عليه السلام) يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، لكن معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان، وقد تحدى الله بها الجن والإنس مجتمعين على أن يأتوا بمثلها فلم ولن يقدروا على ذلك[2]، وتأثير الإعجاز التشريعي في النخب الغربية يؤكد شمول

---

(١) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل البخاري - اعتنى به عبدالسلام علوش - كتاب فضائل القرآن- باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل - مكتبة الرشد - ط١- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م- رقم الحديث (٤٩٨١)- ٧١٤ .

(٢) انظر: فتح المنعم - موسى شاهين لاشين - دار الشرق - ٤٨٥/١.

الدعوة الإسلامية لجميع المدعوين، وهذا ما نسميه عالمية الدعوة الإسلامية، وترتب على هذه العالمية ضرورة تشريع ينظم حياة المدعوين في كل زمان ومكان، وهذا ما تميز به التشريع الإسلامي، إذ تجلى إعجازه في تبيان كل شيء للمدعوين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وقد شهد له خير القرون بالبلاغ، وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم، فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين، فقد افترى عليه صلى الله عليه وسلم[2]، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج نزل بها القرآن**[4].

ولذلك فإن المتأمل في التشريع القرآني يجد هدايات العقيدة والأحكام والأخلاق وتفصيل كل شيء في نسق بديع، إذ أن تلك الهدايات بشتى مجالاتها نزلت على نبي أميٍّ لا يقرأ ولا يكتب أُرسل إلى أمةٍ أمية في بيئة صحراوية لا تعرف النظم والقوانين، يقول أحدهم: **القرآن له أعلى حظوة عند المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات أو أدعية نبوية، أو غذاء للروح أو تسابيح روحانية فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكتر العلوم ومرآة الأجيال، إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل**[5].

---

(١) سورة النحل، الآية: (٨٩).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي - تحقيق: أحمد شاكر- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤١٨- ١/١٧٠

(٣) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ١٧/٤٤ .

(٥) انظر: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم - ١٩٧٤- ١٨ .

إن إعجاز التشريع الإسلامي مدرك بالعقول حيث إن (**النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بيّن قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما علم أنه حق، لا يعارضه ما فيه اشتباه واضطراب لم يُعلم أنه حق**) (١).

فالتشريع الإسلامي الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة من عند الله موافق للعقول السليمة والفطر السوية.

حيث إن العقول والأفهام إن تفاضلت واختلفت فلا يفصل بينها إلا النص التشريعي، والمدعوون جميعاً (**لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل**) (٢).

وقد أدرك المنصفون من النخب الغربية هذه الحقيقة، فتبين لهم مدى الاختلاف الذي أحدثته عقائد اليهود والنصارى المحرفة.

فمنهم المستشرق ليوبلد فايس (محمد أسد) (٣)، حيث شاهد واقع المسلمين المعاصر وما حل بهم من التفرق والاختلاف والانفصال عن ماضيهم، فقاده بحثه عن السبب إلى اعتناق الإسلام.

فبدأ محمد أسد بالتفكير في أسباب انفصال المسلمين عن ماضيهم وبُعدهم عن التشريع الإسلامي فيقول: **إن الحياة الإسلامية في الواقع تظهر على كل حال**

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل- لابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد سالم- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٤١١هـ- ١٩٩١م-(١/١٥٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل - لابن تيمية- (١/١٤٧).

(٣) فايس- ليوبولد (Weiss,Leopold) مستشرق نمساوي كان يعتنق الديانة اليهودية- ثم أسلم وتسمى بمحمد أسد- أنشأ مجلة (الثقافة الإسلامية في حيدر أباد الدكن عام ١٩٢٧م بالتعاون مع المستشرق وليم بكتول الذي أسلم هو الآخر- ومن خلال كتاباته في المجلة صحح محمد أسد كثيرًا من أخطاء المستشرقين- من أبرز آثاره: ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس سنة ١٩٣٥م- وألف أصول الفقه الإسلامي- والطريق إلى مكة -والإسلام على مفترق الطرق- ومبادئ الدولة والحكومة في الإسلام- انظر: المستشرقون- نجيب العقيقي - دار المعارف - بدون رقم وتاريخ (٢/٢٩١).

بعيدة جداً عن الإمكانات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الإسلام[1].

إلى أن قال: **لقد شجعني هذا الاكتشاف، ولكن الذي حيرني كان ذلك التباعد البيِّن بين الحاضر والماضي، من أجل ذلك حاولت الاقتراب من هذه المشكلة البادية أمامي من ناحية أشد صلة، لقد تخيلت نفسي واحداً من الذين يضمهم الإسلام**[2].

ثم يؤكد أن سبب اعتناقه الإسلام هو إدراكه لشمول الشريعة الإسلامية وتكاملها في جميع الجوانب فيقول: «**لم يكن الذي جذبني تعليم خاص من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراصّ بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهج الحياة العملية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً**»[3].

وتتضح عظمة التشريع وإعجازه في استجابة أحد النخب الغربية مثل محمد أسد للدعوة الإسلامية بصورة سببت صدمة وذهولاً للأوروبيين، إذ يقول: «**وقد بدا هذا غريباً جداً لمعظم أصدقائي الغربيين، ذلك بأنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا تماماً كيف أن رجلاً غربي المولد استطاع أن يثبت شخصيته إثباتاً كاملاً، ودونما تحفظ عقلي في العالم الإسلامي، وكيف استطاع قبول أيديولوجية دينية واجتماعية كانت في اعتقادهم المطلق أحط كثيراً من جميع المفاهيم والمعتقدات الأوروبية**»[4].

---

(١) انظر: الإسلام على مفترق الطرق- محمد أسد- ترجمة عمر فروخ- دار العلم للملايين - ١٧.

(٢) انظر: الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ١٧ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق- محمد أسد - ١٩ .

(٤) المرجع السابق - ٢٠ .

إن أحد جوانب الإعجاز في التشريع الإسلامي هو ثباته وعدم تغيره بمرور الزمن، وهذا ما قاد المستشرق (مراد هوفمان) [1] وهداه إلى الاستجابة للدعوة الإسلامية، إذ تعمق إيمانه بأن مصادر التشريع الإسلامي قامت على **(أسس ثابتة راسخة، لا تغيير فيها ألا وهي الكتاب والسنة)** [2].

وفي حديثه عن حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية يبين (هوفمان) أثر الإيمان بالله تعالى في رعاية حقوق الإنسان، وعجز القوانين الوضعية أن تكون مقنعة في مجال حقوق الإنسان فيقول: **(إن المعول في قيام حقوق الإنسان أو سقوطها إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله، فإذا أنكر امرؤ وجود الله، فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً تحت تصرف الإنسان أو رحمته، حتى لو استطاع بذلك خداع نفسه حيناً من الدهر بإشارته إلى الحقوق الطبيعية المزعومة.**

فضلاً عن ذلك فإنه لم يتح لأي إنسان منذ بدء الخليقة أن يخرج علينا بنظام قانوني مقنع عام استقاه أو استوحاه من مراقبة الدراسة للطبيعة، والحق إن غاية ما يتوصل إليه الإنسان وحده في مثل تلك الحالات مجرد إسقاط لتصورات مثالية على الإنسان من بيئته) [3].

ويتضح مما تقدم تأثير الإعجاز التشريعي على النخب الغربية، هذا التأثير الذي قاد عددًا منهم إلى الاستجابة للدعوة الإسلامية، وبعد ذكر بعض من أسلم من تلك النخب الغربية ناسب ذكر بعض شهادات النخب الغربية في إنصاف الدعوة الإسلامية ممن تأثر منهم بالإعجاز التشريعي.

---

(١) مراد هوفمان- مستشرق ألماني كان سفيراً لبلاده في المغرب (١٩٩١-١٩٩٥م)- ومديراً في حلف شمال الأطلنطي- اعتنق الإسلام وتزوج من مغربية مسلمة- من أبرز آثاره: (الإسلام كبديل) و (الطريق إلى مكة)- و(الإسلام في القرن العشرين)- انظر: معجم أسماء المستشرقين- يحيى مراد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢-٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ- ٧٠٩ ..

(٢) الإسلام كبديل- مراد هوفمان - مكتبة العبيكان - ط٢- ١٤١٨-١٩٩٧م- ١٠٥ .

(٣) الإسلام كبديل - مراد هوفمان- ١٨٨ .

المطلب الثاني

شهادة بعض النخب الغربية في الدعوة الإسلامية

لقد قصرت شرائع اليهودية والنصرانية اللتين يعتنقهما كثير من النخب الغربية عن الوفاء بما تتطلبه الحياة البشرية، فاليهودية نسبت العجز عن تدبير الخلق إلى الخالق[1]،والنصرانية جعلت الإله محتاجاً إلى الابن في تحقيق سعادته وتلبية رغباته[2].

إضافة إلى أن معتقدات النصارى قد أعطت الكنيسة حق التشريع فبدل رجال الكنيسة وغيروا فضلوا وأضلوا[3]، كما قال تعالى: عن الأحبار والرهبان: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾[4].

وهذا ما جعل اليهودية والنصرانية تخفق في تحقيق ما تصبو إليه المجتمعات الغربية، فحاولت تلك المجتمعات عبثاً ممثلة في حكوماتها تلافي ذلك القصور بوضع نظرية حاسمة عن الحكم الكاثوليكي المعتمد على الحق الإلهي والتي خولت لكل ملك فيهم التصرف بصفته الممثل لله[5]. وترتب على ذلك صراع بين الدين

---

(١) انظر: دراسات في مقارنة الأديان - د. محمود محمد مزروعة- دار الكتب المصرية- ط١- ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م-١٠٨، وانظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - عبدالقادر شيبة الحمد- مكتبة دار الزمان - المدينة المنورة -ط٤- ١٤٣٢هـ، وانظر: اليهودية - أحمد شلبي- دار النهضة المصرية - مصر - ط٨- ١٩٨٨م.

(٢) انظر: المرجع السابق - ١١٨.

(٣) انظر: المرجع السابق - ١٣٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٥) انظر: تاريخ الثورة الفرنسية - ألبير سوبول- ترجمة: جورج كوسى- ط٤- ١٩٨٩م- منشورات البحر المتوسط - وعويدات- بيروت - باريس -٦٤ .

والسياسة ، ثم تطور إلى فصل الكنيسة عن الدولة[١] فكان ذلك من أعظم أسباب الثورة الفرنسية التي قضت على سلطة الكنيسة ونبذت القيود الدينية إلى اليوم.

لقد كان القرآن الكريم ولا زال مصدر هداية للمدعوين في جميع مجالات الحياة، فعند حدوث أزمة الاقتصاد العالمي عام ٢٠٠٨م طالب الفاتيكان عبر جريدته الرسمية المعروفة باسم «أوسير فاتور توتارو»، **أنه يتوجب على البنوك الغربية أن تنظر في قواعد المال الإسلامية، فقد تقوم التعليمات الأخلاقية التي ترتكز عليها المالية الإسلامية بتقريب البنوك إلى عملائها بشكل أكثر من ذي قبل، فضلاً عن أن هذه المبادئ قد تجعل هذه البنوك تتحلى بالروح الحقيقية المفترض وجودها بين كل مؤسسة تقدم خدمات مالية**[٢]، وصدور هذا الاقتراح من أعلى سلطة نصرانية في العالم، يؤكد الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وشموله لجميع شؤون المدعو، وما عجز عنه النظام الرأسمالي في القرن الواحد والعشرين، وضع حلوله القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي، ولكي لا يقول قائل إن الفاتيكان سلطة دينية لا معرفة له بشؤون الاقتصاد العالمي، عزز هذا الاتجاه ما ذكره اقتصاديون غربيون طالبوا بتطبيق التشريع القرآني عوضاً عن تشريعات الإنجيل والرأسمالية، يقول بوفيس فانسون: **أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل، لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا ، لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها، ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري**[٣].

---

(١) انظر: المرجع السابق - ١٨١.

(٢) انظر: جريدة الاقتصادية- العدد رقم (٥٦٢٦)- السبت ٢٠٠٩/٣/٧م- نقلاً عن جريدة الفاتيكان الرسمية.

(٣) انظر: مجلة (تشالينجر) إحدى أكبر مجلات الاقتصاد الأوروبية - والمقال لرئيس التحرير - ٢٠٠٨/٩/١١م، وللاستزادة من معرفة تفوق التشريع الإسلامي على النظام الرأس مالي في الاقتصاد، انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة- أ.د. حمد بن ناصر العمار- دار اشبيليا - ط٣- ١٤١٨هـ-١٩٩٨م-٥٥١ .

إن مثل هذه الأقوال الصادرة من خبراء الاقتصاد في العالم الغربي وقبلها تصريحات الفاتيكان لتؤكد تأثير الإعجاز التشريعي في نفوس النخب الغربية، وجمال تكامله وبيانه لكل شيء، ولهذا كانت الدعوة الإسلامية دعوة موجهة لجميع المدعوين منذ مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى قيام الساعة.

وفي سياق شهادة أخرى تؤكد إعجاز القرآن التشريعي، يقول الدكتور شبرك النمساوي: **إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن في أوروبا أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته**[1]. فهذا المفكر النمساوي يقر بعظمة التشريعات الإسلامية وأن أوروبا ستسعد بها. ويقول الدكتور مايكل هارت الأمريكي في كتابه مائة رجل من التاريخ: **إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدؤوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح – عليه السلام– في المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى – عليه السلام – في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم**[2].

---

(١) كلمة للدكتور شبرك– عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا – بمؤتمر الحقوق ١٩٧٧م.

(٢) انظر: The ١٠٠: A Ranking of the Most Influential Persons in History مايكل هارت ١٩٧٨– ترجمة: أنيس منصور وسماه (أعظم ١٠٠ رجل، وأعظمهم محمد).

ورغم أن الألمانية زيغريد هونكة[1] نظرت للإسلام على أنه دعوة خاصة بالعرب، إلا أنها أقرت بالإعجاز التشريعي في جانب الأخلاق بفضل ما اشتمل عليه من تسامح لم يوجد عند أهل الديانات الأخرى، ويتضح ذلك من العنوان الذي بدأت به الفصل المتضمن التطور الذي أحدثه الإسلام في الشعوب التي اعتنقته، فتتساءل تحت عنوان (المعجزة التي حققها العرب): **«إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة والتي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللا شيء لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين كيف حدث هذا؟»**[2].

ثم تطرح السؤال الثاني فتقول: **«ما المقومات التي احتاجها هذا الشعب ليبعث مثل هذا البعث؟ وما العوامل التاريخية والاجتماعية والروحية والفكرية التي لابد لها أن تجتمع لتخلق هذه المعجزة التي حققها العرب؟»**[3].

ثم تجيب هونكة عن ذلك مبينة تفوق الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى فتقول: (**والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعله العرب،**

---

(١) مستشرقة ألمانية زوجة المستشرق الألماني شولتزا- تميزت بدفاعها عن قضايا العرب والوقوف إلى جانبهم حتى اتهمها الأوروبيون بالتحيز للعرب والتعصب لهم، بعد تأليفها لكتاب (شمس العرب تسطع على الغرب)- وقد زارت البلاد العربية، عندما وجهت لها الحكومة العراقية، دعوة لزيارة العراق في عام ١٩٦١م تقديراً لجهودها وكتاباتها عن العرب، ومن أبرز آثارها: (كتاب (الرجل والمرأة) والذي أكدت فيه على فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة والحضارة الإنسانية عامة: انظر: مقدمة كتاب شمس العرب تسطع على الغرب- ٧-٨.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب- زيغريد هونكة- ترجمة: فاروق بيضون-كمال دسوقي- ط٨- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، دار الجيل - دار الآفاق -بيروت- ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق - ٣٥٥.

وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر، مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية الزائفة ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة) [1].

وهكذا تؤكد هونكة على تأثير التشريعات الأخلاقية، إذ كان لها الأثر البالغ في استجابة كثير للدعوة الإسلامية، بل أقرت بتفوق تلك التشريعات الأخلاقية على الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية.

كما أقر الإنجليزي توماس آرنولد[2] بالقدر الكبير من التسامح الذي كان يتعامل به المسلمون مع النصارى خصوصاً في عصر الخلفاء الراشدين، فيقول: (**ولما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني، تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة)** [3].

ويعترف الإيطالي دافيد سانتلانا[4] بهذا الإعجاز التشريعي، فيذكر أن التطور والرقي الموجود لدى الغرب في المفاهيم إنما هو مستمد من التشريع الإسلامي إذ يقول: (**لا شك أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يَسِمُ الجانب الأكبر من**

---

(١) المرجع السابق – ٣٥٨.

(٢) آرنولد، السير توماس (١٨٦٤-١٩٣٠م) Thomas Sir Arnod مستشرق إنجليزي تعلم في كمبردج وهو أول أستاذ كرسي في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن عام ١٩٠٤م- ثم اختير عميداً لها عام ١٩٣٠م- من أبرز آثاره العلمية: (الدعوة إلى الإسلام)- (العقيدة الإسلامية)- (تراث الإسلام)- انظر: معجم أسماء المستشرقين، د. نجيب مراد -٩٤ .

(٣) الدعوة إلى الإسلام- توماس آرنولد- ترجمة: حسن إبراهيم حسن- وعبدالمجيد عابدين- ط٢- ١٩٥٧م- مكتبة النهضة المصرية- ٨١ .

(٤) دافيد سانتلانا David Santillana (١٨٥٥-١٩٣١م) - مستشرق إيطالي ولد في تونس من أسرة يهودية، ذات أصل أسباني حصل على الشهادة الجامعية في الحقوق من جامعة روما- ومارس مهنة المحاماة وتخصص في الشريعة الإسلامية- من أبرز آثاره: ترجمة مختصر خليل في الفقه المالكي-و(نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب الإمام مالك)- انظر: موسوعة المستشرقين- عبدالرحمن بدوي- ط٢-١٩٨٩م- دار العلم للملايين- بيروت-٢٣٢ .

شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية، وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور)[1].

إن تواتر شهادات غربية في الإشادة بإعجاز القرآن التشريعي، وصدور هذه الشهادات من علماء لا ينتسبون للإسلام، يعد عنصراً مؤثراً في دعوة النخب الغربية، إذ أن دافع ثنائهم على التشريع الإسلامي نابعٌ من واقع الدعوة الإسلامية، إلا أنه يلاحظ أن هناك قصوراً في توظيف إعجاز القرآن التشريعي في دعوة المجتمعات الغربية، لا سيما أن تلك المجتمعات تتميز بمساحة واسعة من حرية التعبير عن الأفكار، وهذا التوظيف الدعوي يحتاج إلى تشكيل هيئة تحت مسمى هيئة الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي، تدعم دعماً مادياً ومعنوياً كبيراً يكون ضمن خطة دعوية، تستهدف دعوة النخب الغربية في مجتمعاتها، من خلال عقد مؤتمرات ومحاضرات تسلط الضوء على مشكلات المجتمعات الغربية كأزمة الاقتصاد العالمي، وعقد مقارنات بين التشريع الإسلامي والتشريعات الغربية.

ويتضح مما تقدم إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية بعد تأثرهم بالإعجاز التشريعي، وبانتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الثالث، ويليه الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

(١) الشريعة لماذا- محمد يسري إبراهيم- الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م- دار الكتب المصرية- القاهرة- ١٨٥.

الخاتمة

الحمد لله على تيسير إتمام هذه الدراسة العلمية، وأصلي وأسلم وأبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فقد انتهيت في هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم ، وأوجه إعجاز القرآن الكريم، والموضوعات الدعوية المتعلقة بإعجاز القرآن التشريعي . وهي موضوعات: العقيدة والأحكام والأخلاق، وختمتها بإنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية، والآن سأذكر أبرز النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١- أن مفهوم دعوة النخب الغربية بإعجاز القرآن التشريعي هو إمالة مفكري الغرب ومثقفيهم إلى الإسلام بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية عجز الخلق عن الإتيان بمثلها.

٢- أن للقرآن الكريم أوجهاً متعددة للإعجاز وهي الإعجاز البياني والغيبي والتشريعي والعلمي.

٣- أن التشريعات العقدية كانت أبرز الموضوعات الدعوية في العهد المكي، كقضية وجوب وحدانية الله وإفراده بالعبادة.

٤- أن من أبرز قضايا الإعجاز التشريعي تلك التشريعات الفقهية والأخلاقية التي تبين في العصر الحديث أن وراء التحريم ضرراً على النفس أو المال، كتحريم أكل لحم الخنزير وتحريم الزنا والربا وغيرها.

٥- أن الدعوة بإعجاز القرآن التشريعي تحتاج إلى تنظيم جهودها، تبدأ بإنشاء هيئة علمية للإعجاز التشريعي تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي.

٦- أن هناك من النخب الغربية من استجاب للدعوة الإسلامية متأثراً بالإعجاز التشريعي.

٧- أن هناك شواهد كثيرة لشهادات علماء ومفكرين غربيين تشيد بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٨- أن كثيراً من مشكلات المجتمعات الغربية أوجد لها القرآن الكريم حلاً في تشريعاته، بدليل مناداة الفاتيكان بتطبيق الشريعة الإسلامية في البنوك الإسلامية إبان أزمة الاقتصاد العالمية عام ٢٠٠٨م.

٩- أن الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أبرز صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان من حيث شمولها وثباتها ومرونتها.

١٠- أن الإعجاز التشريعي في القرآن حجة على المكلفين إلى قيام الساعة وأتى ليؤكد أن القرآن كلام الله.

ثانياً: التوصيات:

١- إنشاء هيئة علمية تحت مسمى هيئة الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة، ويُستقطب لها علماء من أرجاء العالم الإسلامي وتدعم دعماً مادياً قوياً.

٢- عقد مؤتمرات علمية في العواصم الأوروبية البارزة مثل باريس ولندن وجنيف، وإقامة حوارات مع مفكري الغرب من أساتذة القانون والديانات، ووضع محاور تتناول التشريعات الإسلامية.

٣-توجيه عدد من الباحثين إلى الدراسات التي تتعلق بمشكلات المجتمعات غير الإسلامية ووضع حلولها من التشريع الإسلامي ، ومناقشة مفكري تلك المجتمعات في حلول التشريع الإسلامي كنوع من أساليب الدعوة.

٤- أهمية توظيف شهادات علماء الغرب ومفكريه التي تشيد بالتشريع الإسلامي في الدعوة إلى الإسلام، وذلك بإبراز تلك الشهادات في إعلام المجتمعات الغربية ونشرها عبر وسائل الاتصال الحديثة.

٥- التأكيد على الدعاة أن الثبات والمرونة في إعجاز القرآن التشريعي لا يعني التنازل عن الثوابت والأصول.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة - أ.د. حمد بن ناصر العمار- دار إشبيليا- الرياض- ط٣-١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣- الاستذكار- للقرطبي- تحقيق: سالم حمد عطا، محمد علي معوض- دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤٢١.

٤- الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ترجمة عمر فروخ- دار العلم للملايين.

٥- الإسلام كبديل - مراد هوفمان - مكتبة العبيكان - ط٢- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٦- الاعتصام- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي- تحقيق: محمد الشقير و سعد آل حميد وهشام إسماعيل الصيني- دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية -ط١- ١٤٢٩هـ.

٧- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة -تاريخه وضوابطه - د. عبدالله المصلح - ط١- ١٤١٧هـ.

٨- الإعجاز العملي في السنة النبوية -د. صالح أحمد رضا- مكتبة العبيكان - الرياض -ط١- ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٩- إنه الحق - إعداد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ط٣- ١٤٢٠.

١٠- البحوث الإعلامية - أ.د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان - الرياض - ط١ - ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١١- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الدمشقي- تحقيق: موسى الدويش- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٥هـ.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد الزبيدي - المطبعة الخيرية ، مصر.
١٣- تاريخ الثورة الفرنسية - ألبير سويول - ترجمة جورج كوسي- نشر البحر المتوسط - بيروت - باريس - ط٤- ١٩٨٩م.
١٤- التحرير والتنوير - ابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤هـ.
١٥- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته ـ د . محمد الأحمدي ـ بدون رقم وتاريخ ـ
١٦- تراث الإسلام- جوزيف شاخت ومعه آخرون - ترجمة محمد زهير - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - ١٩٧٨م.
١٧- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي علي صبح - المكتب الأزهرية للتراث.
١٨- تعرف على الإسلام، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.
١٩- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)- أبو محمد عز الدين عبد العزيز ، الملقب بسلطان العلماء- تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي - دار ابن حزم - بيروت- الطبعة ١- ١٤١٦هـ
٢٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٩هـ .
٢١- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - تحقيق: د. مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ١٤٢٦هـ .

٢٢- تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)- تحقيق: عبدالله محمود شحاته - دار إحياء التراث - بيروت - ط١- ١٤٢٣هـ

٢٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان ابن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب - تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ط١ - ١٤٢٣هـ

٢٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري- تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط١- ١٤٢٠ه.

٢٥- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل البخاري- اعتنى به عبدالسلام علوش - مكتبة الرشد - ط١- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠م.

٢٦- جريدة الاقتصادية - العدد رقم (٥٦٢٦)- السبت ٢٠٠٩/٣/٧م.

٢٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - تحقيق:/ محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - ١٤١٨هـ

٢٨- درء تعارض العقل والنقل -شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٩- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم - ١٩٧٤.

٣٠- دراسات في مقارنة الأديان - د. محمود محمد مزروعة - دار الكتب العلمية - ط١- ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٣١- الدعوة الإسلامية أصولها ومسائلها ـــ أ/د . أحمد أحمد غلوش ـــ دار الكتاب المصري ، القاهرة ط ٢- ١٤٠٧هـ.

٣٢- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ـــ محمد الراوي ـــ مكتبة الرشد ـــ الرياض ـــ ط ٣ ١٤١١هـ ـــ

٣٣- الدعوة إلى الإسلام - توماس آرنولد - ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين - مكتبة النهضة المصرية - ط٢- ١٩٥٧م.

٣٤- الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة ـــ الهدف ـــ د . توفيق الواعي ـــ دار اليقين ، مصر ، ط ٢ -١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٥ م ـــ

٣٥- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ـــ د . محمد سيدي بن الحبيب ، الناشر عبدالله محمد الشنقيطي ، ط ٢ ، بدون تاريخ.

٣٦- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ـــ أ.د. عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي ، ط ١ -١٤٢٠هـ.

٣٧- الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ـــ محمد سعيد البارودي ـــ دار الوفاء للنشر والتوزيع ـــ جدة ط ١- ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٥ .

٣٨- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ .

٣٩- السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة - الإسكندرية .

٤٠- سلسلة محاسن التأويل- أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي - دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

٤١- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي - تحقيق: أحمد شاكر- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤١٨

٤٢- الشريعة لماذا - محمد يسري إبراهيم - دار الكتب المصرية- القاهرة - ط١- ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٤٣- شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه - ترجمة فاروق بيضون - كمال دسوقي - دار الجيل -بيروت - ط٨- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤٤- الصحاح ـ إسماعيل الجوهري ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٤٥- عظمة القرآن الكريم-محمود بن أحمد بن صالح الدوسري- دار ابن الجوزي- ط١- ١٤٢٦هـ.

٤٦- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي - المالكي- قدم له: محب الدين الخطيب - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤١٩هـ.

٤٧- فتح المنعم - موسى شاهين لاشين - دار الشرق .

٤٨- القاموس المحيط، للفيروزآبادي - مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - إشراف محمد نعيم العرقسُوسي- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان- ط٨- ١٤٢٦هـ.

٤٩- لسان العرب- لابن منظور - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى-دار صادر - بيروت- الطبعة: ٣ - ١٤١٤ هـ

٥٠- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان- مكتبة وهبة - جمهورية مصر العربية- ط١١- ٢٠٠٠م.

٥١- مجلة (تشالينجر) عدد ٤/١٠/١٤٢٩هـ الموافق ٥/١٠/٢٠٠٨.

٥٢- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢١ ، محرم ١٤١٩هـ ـ تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه ـ د . عبدالرحمن بن سليمان الخليفي.

٥٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـــ جمع عبدالرحمن بن قاسم ـــ دار عالم الكتب ـــ الرياض ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م .

٥٤- المدخل إلى علم الدعوة ـــ أ.د . محمد أبو الفتح البيانوني ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ ط ١ ، ١٤٠٤هـ.

٥٥- مدخل إلى علم الدعوة- أ. د. عبد الرب نواب الدين- دار العاصمة الرياض ط ١ - ١٤١٣هـ.

٥٦- مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ـــ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـــ ط ١ ، ١٤٠١هـ ـــ

٥٧- المستشرقون - نجيب العقيقي - دار المعارف - ط٤ بدون تاريخ.

٥٨- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ـــ علي المرشد ، مكتبة لينة ، دمنهور ـــ ١٤٠٩هـ.

٥٩- معجم أسماء المستشرقين - د. يحيى مراد - درا الكتب العلمية - بيروت - ط٢- ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ.

٦٠- المعجم الوسيط ـــ مجمع اللغة العربية- دار إحياء التراث العربي- بيروت - بدون رقم وتاريخ.

٦١- المفردات، للراغب الأصفهاني- تحقيق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم - الدار الشامية - دمشق - بيروت - ط١- ١٤١٢هـ.

٦٢- مقاييس اللغة ـــ أمين قاسم- دار الفكر - بيروت- بدون رقم وتاريخ.

٦٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - ط١- ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٦٤- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري و ناصر العقل - الرياض - ١٤١٣ هـ.

٦٥- موسوعة المستشرقين - عبدالرحمن بدوي - دار العلم للملايين- بيروت - ط٢- ١٩٨٩م.

٦٦- اليهودية، لأحمد شلبي - دار النهضة المصرية - مصر - ط٨- ١٩٨٨م.

٦٧- The ١٠٠: A Ranking of the Most Influential Persons in History مايكل هارت ١٩٧٨ - ترجمة : أنيس منصور وسماه (أعظم ١٠٠ رجـــل , وأعظمهم محمد) - ١٩٧٨م .

البحث رقم (٢)

بناء شخصية الداعية الاجتماعية
على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل

إعداد

د. محمد بن عبد العزيز بن صالح الثويني

الأستاذ المشارك في كلية المجتمع، جامعة القصيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد:

ففي أثناء قراءتي في موضوع الأمثال، وجدت أن في هذا مادةً علمية وآثارًا دعوية يفيد الداعية منها ويستفيد، كما أن المتبصر في معانيها يجد منها ما يساعده على بناء شخصيته، وتنمية ذاته بكل جوانبها، هذا في عامة الأمثال، فكيف إذا كانت الأمثال من كتاب الله سبحانه وتعالى أو سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟، فإن هذا يزيدها ثقة وأهمية تسعى النفوس الأبية إلى علمها، ومن ثم فهمهما والتعامل معها بحسب مقتضيات المقام والمقال.

ولما أردت الكتابة في هذا رأيت أبوابًا تفتحت من كثرة أنواع الأمثال وأهمية كل نوع، فإذا الموضوع يحتاج إلى طول نفس ومناسبة حال البحث ومتطلباته، فكان الاقتصار على نوع واحد وهو القول السائر مسار المثل، فوجدته أيضًا كحال ما سبق طولاً وتشعبًا، فكان الاقتصار والاكتفاء على قسم منه وهو الجانب الاجتماعي في حياة الداعية أسميته: " بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل" مكتفيًا في هذا بما في صحيح البخاري -رحمه الله-، ومما يظهر منه كثرة استعماله في مجتمعي، سائلاً الله الإعانة والتوفيق.

حدود الدراسة:

سأقتصر في هذا البحث على أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- السائرة مسار المثل، بذكر بعض ما ورد في صحيح البخاري -رحمه الله- ولو كانت مما هو متفق عليه في الصحيحين، وأراها قد استفاض استعمالها في مجتمعي المحلي فقط كما هو استعمال ((اشفعوا تؤجروا)) مستفيدًا من شروح من سبقني - في هذا - من أهل العلم والفضل بما يخدم البحث ويحقق مقصوده.

منهج البحث:

- سأسير في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، ثم أستنبط منه ما أراه عاملاً من عوامل بناء الشخصية الاجتماعية.

- سأقتصر على عدد محدود من الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل ساعيًا لتنويعها بحسب أثرها على بناء شخصية الداعية.

- مع الالتزام بحدود الدراسة، قد أستشهِدُ بحديث، أو أثرٍ من غير صحيح البخاري وذلك في ثنايا البحث، مع بيان أثر ذلك المثل الذي أقوم ببيان حال كونه عامل بناء لشخصية الداعية.

- مراعاة لطبيعة البحث لن آتي على كل ما يرد بما يتناسب وعنوان البحث.

- عوامل البناء محل اجتهاد وسأستفرغ جهدي باختيار الأنسب.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيار الموضوع لأسباب منها:

- أن يدرك الملقي للقول كمثلٍ بأنه يستند على ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيأخذ به مأخذ الجد والأهمية.

- أهمية تخلق الدعاة في ذلك إما فعلاً أو تركًا بحسب ما يقتضيه المثال من مقام.

- إن بناء الشخصية يتألف من تلك الأقوال النبوية التي هي محض الصدق والمناسبة.

- قلة المؤلفات في ذلك وبخاصة بالإفادة من الأمثال السائرة، إن لم تكن معدومة في جانب أثرها الدعوي.

الدراسات السابقة:

أثناء إعدادي لهذا البحث بحثت عما كتب فيه لأفيد منه، أو أرى أنها كافية عما سأقوم به فوجدت أن المؤلفات في الأمثال عمومًا الكتابة عنها متقدمة تاريخيًا ومن ذلك حسب تاريخ الوفاة:

١- الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، للحسين بن الفضل (ت ٢٨٢هـ).

٢- أمثال القرآن، للجنيد بن محمد القواريري (ت٢٩٨هـ).

٣- أمثال القرآن، لنفطويه (ت٣٢٣هـ).

٤- أمثال الحديث، لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت٣٦٠).

٥- جمهرة الأمثال، للعسكري أبي هلال حسن بن عبدالله (ت٣٩٥هـ).

٦- أمثال القرآن، لمحمد بن الحسين السلمي (ت٤١٢).

٧- الأمثال والحكم، لعلي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ).

٨- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ).

٩- أمثال القرآن، للإمام شمس الدين ابن القيم(ت٧٥١هـ).

ومن المؤلفات المعاصرة ما يكون تأليفًا ابتداء، أو رسالة علمية للماجستير، أو للدكتوراه، ومن تلك المؤلفات:

١- نظرات فقهية في أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث للدكتور عبد المجيد محمد عبدالمجيد.

٢- ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وآثارها في تربية الجيل المسلم لمصطفى عيد الصياصنة.

٣- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني.

٤- موسوعة الأمثال القرآنية للدكتور محمد عبد الوهاب عبد اللطيف.

٥- الأمثال في الحديث النبوي الشريف للدكتور محمد جابر العلواني.

٦- الأمثال والحكم العربية في خدمة الداعية للشيخ سفر أحمد الحمداني.

وقد اطلعت على هذه المؤلفات وسأستفيد منها بإذن الله.

وأما الرسائل العلمية فمنها:

١- رسالة ماجستير بعنوان: الأمثال النبوية في الكتب الستة النبوية وموطأ مالك (جمع ودراسة) لمروان بن عبد الله بن محمد المحمدي.

٢- الأمثال النبوية في صحيح البخاري(دراسة لغوية دلالية) لهاني طاهر محمد حسين.

٣- فقه الدعوة من أمثال النبي -صلى الله عليه وسلم-، رسالة ماجستير لسارة بنت عبدالله جمعة البلوشي.

٤- فقه الدعوة إلى الله من خلال كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري، لعمرو بن طه عبدالقادر السقاف.

وكل هذه المؤلفات يصعب العرض عنها لطبيعة هذا البحث، و لم تتناول ما أنا بصدده بطريقة مباشرة، مما حداني إلى الاستمرار في مشوار هذا البحث سائلاً الله الإعانة والتوفيق.

وقد جعلت هذا البحث من تمهيد وستة مطالب:

التمهيد وفيه:

- المدخل للموضوع.
- حدود الدراسة.
- منهج البحث.
- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.

أنواع الأمثال وأهميتها:

أولاً: أنواع المثل.

ثانيًا: أهمية المثل.

تعريف المثل السائر.

أولاً: تعريف المثل السائر لغة.

ثانيًا: تعريف المثل السائر اصطلاحًا.

بناء الشخصية ومقومات بناء شخصية الداعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية.

ثانيًا: مقومات بناء شخصية الداعية في الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: إن من البيان لسحرًا.

المطلب الثاني: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

المطلب الثالث: اشفعوا تؤجروا.

المطالب الرابع: اليد العليا خير من اليد السفلى.

المطلب الخامس: إنما الصبر عند الصدمة الأولى.

المطلب السادس: إن الدين يسرٌ.

ويلي ذلك خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث ، وفهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما شابه من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أنواع الأمثال وأهميتها

أولاً: أنواع المثل.

ثانيًا: أهمية المثل.

أولاً: أنواع المثل:

تهدف هذه الفقرة إلى الإشارة – فقط- إلى أنواع المثل؛ سعيًا للإبانة عن النوع المراد تناوله في هذا البحث، وهو من جملة أنواع كتب فيها المؤلفون والباحثون" فالأمثال كغيرها من فنون القول، فهي وإن درجت تحت اسم واحد إلا أنها تتنوع وتتباين"[1] وهي:

النوع الأول: المثل الموجز السائر: وهو إما شعبي، لا تعمُّل فيه ولا تأنق ولا تقيُّد بقواعد النحو، وإما كتابي، صادر عن ذوي الثقافة العالية، كالشعراء والخطباء كقولهم: "رب عجلة تهب رَيْثًا" أو " كالمستجير من الرمضاء بالنار"، ومما جاء في الحديث من هذا النوع قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من البيان لسحرًا)).

النوع الثاني: المثل القياسي: سرد وصفي، أو قصصي، أو صورة بيانية، لتوضيح فكرة ما، عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء، لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر، لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.

النوع الثالث: المثل الخرافي: وهو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان، لغرض تعليمي، أو فكاهي او ما أشبه ذلك. كقولهم: "أُكِلْتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض"[2].

---

(١) انظر: الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر العلواني ص(٤٠).

(٢) انظر: من أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الهجري، لنور الحق تنوير، نقلًا من نظرات فقهية في أمثال الحديث ص(٨١)، وينظر الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر العلواني ص(٤٠)، والأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك ص(٢٠) لمروان بن عبد الله بن محمد المحمدي.

ثانيًا: أهمية المثل:

تنبع أهمية المثل من إيصاله المقصود بأوجز عبارة وأجمعها، الأمر الذي يغني عن كثرة بيان وتضييع وقت الإنسان، مع سهولة حفظه وتداوله، قال إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة" (١).

وقال ابن المقفع -رحمه الله-: "إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"(٢).

قال الأبشيهي -رحمه الله-: "اعلم أن الأمثال من أشرف ما وصَّل به اللبيب خطابه، وحلَّى بجواهره كتابه. وقد نطق كتاب الله تعالى، وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها، ولم يخل كلام سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منها، وهو أفصح العرب لسانًا، وأكملهم بيانًا، فكم في إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل"(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "ففي الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورًا ووضوحًا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ (٤)، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته"(٥).

وقال مصطفى عيد الصياصة: "وللمثل فوائد جمة لا تحصى، تناولها أصحاب

---

(١) نقلًا من كتاب مجمع الأمثال (٦/١) المقدمة.

(٢) نقلًا من كتاب مجمع الأمثال (٦/١) المقدمة.

(٣) كتاب المستطرف في كل فن مستطرف (٥٤/١).

(٤) سورة الفتح الآية (٢٩).

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٣٠٦).

المصنفات وأرباب البلاغة والبيان بالذكر والشرح والتمحيص، فأطالوا الحديث ووصلوا البغية، ونحن بدورنا نحاول في هذه العجالة أن نجمل الأهم ونقف على الأعم من هذه الفوائد، والتي نراها في الآتي"[1].

ولعل ما ذكر من الأنواع والأهمية فيه دلالة على الحاجة لمعرفة تلك الأمثال والإفادة منها في حياة الإنسان المسلم والداعية على وجه الخصوص.

(١) انظر: كتاب ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة، لمصطفى عيد الصياصة ص(٤٩).

تعريف المثل السائر

أولاً: تعريف المثل السائر لغة.

ثانيًا: تعريف المثل السائر في الاصطلاح.

أولاً: تعريف المثل السائر لغة:

قال ابن السِّكِّيت: المثل: لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شَبَّهُوهُ بالمثال الذي يُعمل عليه غيره[1].

وقال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه [2].

وعند البحث عن المعنى اللغوي للمثل السائر، لم أجد تعريفًا مركبًا، وجلُّ التعريفات مضمنة لتعريف المثل بعمومه، مع كون الأمثال كما قال ابن رشيق القيرواني: "المثل السائر في كلام العرب كثير نظمًا ونثرًا"[3].

ولذا قال الفاروقي: "إن المثل - بفتح الميم والثاء- في الأصل بمعنى النظير، ثم نقل منه إلى القول السائر - أي الفاشي - المُمثَّل مَضْرِبُه بمورده، وهو من المجاز المركب"[4].

وسار الكلام والمثل في الناس: شاع[5].

ثانيًا: تعريف المثل السائر في الاصطلاح:

---

(١) شرح التسهيل (١/٢٦٩).

(٢) شرح الأشموني (١/ ١٩٩).

(٣) العمدة في محاسن الشعر(١/٢٨٠)، نقلا من كتاب الأمثال في الحديث النبوي، د. محمد جابر العلواني ص(٤١).

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي محمد بن علي بن محمد الفاروقي(٤/١٣٤٠) نقلا من كتاب نظرات فقهية في أمثال الحديث ص(٧٩).

(٥) المعجم الصافي في اللغة العربية لصالح الصالح وزوجته أمينة الأحمد، مادة: سير ص(٢٨٢).

كما هو الشأن في التعريف اللغوي، فإن تعريف المثل السائر على وجه التحديد لم أجده قد حضي بتلك الخصوصية من بين تعريفات المثل، وقد عرفه الدكتور عبد المجيد قطامش بقوله: "هو القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب. . . "[1].

وجاء في تعريف المثل السائر في قاموس الأديان: " بأنه مقارنة أو تشبيه أو خطاب رمزي يهدف إلى تعليم الآخر حقيقة معينة"[2].

ومن خلال الاستقراء يمكن أن يقال: إن المثل السائر: هو الأقوال والحكم والأشعار الموجزة التي شاعت بين الناس.

ولا يلزم أن تشبه حالة مضربه بحال مورده؛ لأن فيه تحذيرًا وعظة[3] أو ثناءً ودعوى للكمال[4].

وأما ما نسميه المثل النبوي السائر فهو على اعتبار ما صار، حيث صارت العبارات التي قالها الرسول -صلى الله عليه وسلم- متداولة على الألسنة[5].

---

(١) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش ص(٢٥-٢٦).

(٢) Thibauld، Robert- jacques، Dictionnaire des religions، ٢٠٧ p.

(٣) كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)).

(٤) كما في حديث عبد الله بن عمر { أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن من البيان لسحرًا)).

(٥) الأمثال النبوية في صحيح البخاري دراسة لغوية دلالية، هاني طاهر محمد حسين ص(١٩).

بناء الشخصية ومقومات بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية.

ثانيًا: مقومات بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية:

الإنسان ذلك المخلوق المكلف الميسر له ما في الكون ليقوم بواجب التكليف، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1] هو تلك الشخصية التي صوَّرها الله سبحانه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[2] فهو في هذا هيئة ظاهرة بها يعرف ويأخذ ويعطي، ومع هذا فلشخصية هذا الإنسان جانب آخر من السمات الفطرية والمكتسبة يتمايز بها إنسان عن آخر بعدًا وقربًا من الشخصية السوية المدركة العاملة.

فالمراد بالشخصية: هي مجموعة الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان الشخص باستمرار، والتي تميّزه عن غيره وتنعكس على تفاعله مع البيئة من حوله بما فيها من أشخاص ومواقف، سواء في فهمه وإدراكه، أو في مشاعره، وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي، ويضاف إلى ذلك القيم والميول، والرغبات والمواهب والقدرات والأفكار والتصورات الشخصية[3].

والإنسان يتحمل مسؤولية بناء نفسه وتهيئتها للحال والمآل، فسعى الأكثرون

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

(٢) سورة الانفطار، الآيات: (٦-٨).

(٣) انظر: ما تحت الأقنعة ص(١٠).

إلى بناء أنفسهم ليكونوا في هذه الحياة الدنيوية على أفضل حال في معاشهم وعلاقاتهم وتأثرهم وتأثيرهم، وكان الإنسانُ المسلم فوق هذا ساعيًا لبناء نفسه لما تصلح به دنياه لتكون مزرعة للآخرة التي يرى فيها حقيقة السعادة وكمال الحياة الطيبة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2].

ولأهمية هذا البناء للإنسان فإنه من أولى ما تنشغل به الأمم والمجتمعات، إذ الاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الحقيقي الذي لا يعدله أي استثمار في مجال آخر.

وإذا كان هذا في شأن الأمم التي لا تعرف من الحياة إلا عالم المادة، وتنتهي عند الحياة الدنيوية الفانية، فكيف بالأمة التي اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس؟ [3].

إن بناء الإنسان هو في تكوين قلبه وتثقيف عقله وإرهاف وجدانه، ليكون تلك الشخصية الفاعلة المساهمة في بناء مجتمعها.

ولأهمية الدعوة إلى الله مسؤولية وأداءً، ولشرف وظيفة الدعوة إلى الله وسمو منزلتها، ولأهمية دور الداعية الفعال والمؤثر في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، ولما

---

(١) سورة القصص، الآية: (٧٧).

(٢) سورة النحل، الآية: (٩٧).

(٣) انظر: منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة، إعداد مؤسسة المربي ص(٧).

يناط به من مسؤوليات تجاه الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعاتٍ من تغيير وإصلاح ومواجهة للتحديات، فإنه لابد من الاهتمام البالغ بإعداده وبناء شخصيته وفق منهج تربوي مستمد من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح[1].

و الداعية إلى الله يشترك مع غيره في عوامل بناء الشخصية من ناحية قوة الشخصية، والإعداد العلمي وقوة التأثير بالمستهدفين، إلا أنه يفضل عن غيره بسمو المقصد وصدق المصدر، فمصادر بناء شخصيته: الكتاب والسنة أو ما صدر عنهما وما العوامل التي سأذكرها إلا دلالة واضحة على ذلك.

ثانيًا: عوامل بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل:

هذا المطلب هو أس البحث ودافعه، وبخاصة بعد الإشارة إلى البناء وأهميته في شخصية الداعية إلى الله، فعوامل البناء هي الباعث أو المؤثر في الشيء، فيقال: كثرة الإنتاج من عوامل الرخاء[2].

والعوامل المؤثرة كثيرة في حياة الإنسان، داخلية كانت أو خارجية، ولكني سأكتفي كما هي حدود الدراسة بعدد من الأحاديث النبوية مما في صحيح البخاري، إذ القرآن والسنة مصادر أصلية لبناء شخصية المسلم التي يحيا بها في طمأنينة ورضًا في محيطه الإنساني، ويظل مصغيًا لنداء المراقبة والمحاسبة في محيطه النفسي، غير هياب من عواصف الحياة، وغير قنوط من صدماتها[3].

ولكون الإنسان اجتماعي بطبعه فإنَّ الداعية إلى الله حاجته أكثر من غيره لبناء شخصيته بما يناسب ومهمته العظيمة، فالأصل فيه أنه شخصية اجتماعية راقية،

---

(١) انظر: بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر، حنان بنت أبو بكر محمد فلاتة جامعة ام القرى كلية التربية.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة عمل (٦٢٨/٢).

(٣) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(٥).

كوّنتها مجموعة كبيرة جدًا من مكارم الأخلاق، نطقت بها نصوص هـذا الـدين الحنيف من قرآن كريم وحديث شريف، وجعلت التخلق بها دينًا يثاب المرء عليه، ويحاسب على تركه، فاستطاعت بذلك أن تجعل من شخصية المـسلم الـصادق نموذجًا فذًّا للإنسان الاجتماعي الراقي المهذّب التقيّ الخيِّر النظيف[1].

ولذا فسأعرض لعدد من الأحاديث النبوية التي سارت مسار المثل ليجعل منها الداعية وسائلَ بناءٍ في حياته الاجتماعية بين الناس ومن ذلك:

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي ص(١٦٢).

المطلب الأول

« إن من البيان لسحرًا »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه عبد الله بن عمر { أنه قدم رجلان من المشرق، فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من البيان لسحرًا - أو - إن بعض البيان لسحرٌ))[1].

وهذا المثل من الأمثال التي لم تسمع إلا منه -صلى الله عليه وسلم-، قال العسكري -رحمه الله-: " أول من لفظ به النبي -صلى الله عليه وسلم-"[2]

وقد فهم من هذا الحديث بعض العلماء أنه من باب الذم، وذهب أكثرهم إلى أنه من باب المدح، قال أبو هلال -رحمه الله-: " الصحيح أنه مدحه وتسميته إياه سحرًا إنما هو على جهة التعجب منه؛ لأنه لما ذمّ عَمْرو الزبْرِقَان ومدحه في حال واحدة وصدق في مدحه وذمه فيما ذكر عجب النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك كما يعجب من السحر فسماه سحرًا من هذا الوجه وقد أجمع أهل البلاغة على أن تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق من أرفع درجات البلاغة "[3].

قال الميداني -رحمه الله-: "يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر؛ ومعنى السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، والبيان: اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسَن. وإنما شُبّه بالسحر لحدَّة عمله في سماعه وسرعة قبول القلب له. يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة"[4].

قال الخطابي -رحمه الله-: "البيان اثنان: أحدهما: ما تقع به الإبانة عن المراد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا، (١٠/٢٣٧) رقم (٥٧٦٧).

(٢) جمهرة الأمثال ص(١١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) مجمع الأمثال(١/٧).

بأي وجه كان. والآخر: ما دخلته الصنعة، بحيث يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر، إذا خلب القلب، وغلب على النفس، حتى يحول الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن جهته، فيلوح للناظر في معرض غيره. وهذا إذا صرف إلى الحق يمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم"[1].

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((إن من البيان لسحرًا)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية الفصاحة والبيان:

البيان هو التبيين عما في النفس بالألفاظ الفصيحة البينة التي تأخذ بالمسامع والقلوب، فمتى استثمر الداعية حسن البيان لنصرة الحق والتأثير المباح بالمدعوين فإن هذا من المباح الذي لا شك فيه، على خلاف ما لو استثمر حسن بيانه وفصاحته بقلب الحقائق والتلبيس على الناس، فإن هذا مما حرم الله سبحانه وتعالى، وهو مذموم لا ممدوح. وقد يكون من أهل الباطل من هو كذلك، فلا يُبين تدليسه وتلبيسه إلاَّ أهلُ الفصاحة والبيان من الدعاة الصادقين القادرين. ومتى كان الداعية في هذه الشخصية المؤثرة، فإن أثره واضح في نشر الحق ودحر الباطل.

المسألة الثانية: أهمية القصد في الكلام:

وكما أن جمال العبارة وتحليتها بالاستشهادات المتنوعة يكسوها هيبة ويرفعها عند السامعين، فإن اختيار الوقت المناسب والاختصار على الموضوع المراد تناوله من أعظم المؤثرات؛ إذ الإطالة وتشتيت الذهن بتعدد الموضوعات التي يتناولها الداعية في مقام واحد تجعل المدعو قليل أو عديم الإفادة مما تم الحديث عنه، فإن من الأدب الإسلامي الرفيع القصد في الكلام، فهو سمة الشخصية المعتدلة، التي يتخلق صاحبها بالخلق الإسلامي النبيل، فيبدو رزينًا في مجلسه هادئًا في مشاعره، يكسوه

(١) فتح الباري (١٠/٢٣٧)، وينظر معالم السنن (٤/١٢٧).

الوقار، وتعلوه الهيبة، فلا ينطق لسانه بالقول في أي مجال، ولا يقحم نفسه في أحاديث الناس، فإن الكلام عند كثير من الناس شهوة من الشهوات، إذا استبدت بالإنسان أوردته موارد الهلاك، ولذا فقد عُنِيَ الإسلام – في بناء الشخصية- بالقصد في الكلام، كما هو خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعن عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدث حديثا لو عدَّه العادُ لأحصاه))[1].

وعن عروة بن الزبير - رضي الله عنه-، عن عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت: ((أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو فُلاَنٍ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ))[2].

وكما أن القصد في الكلام من الفصاحة والبيان فإن الإنسان أيضًا مؤاخذ على ما يتكلم به، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[3][4][1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-، (٥٦٧/٦) رقم (٣٥٦٧).

(٢) رواه البخاري واللفظ له. كتاب المناقب، باب صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-، (٥٦٧/٦) رقم (٣٥٦٨). وراه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة > (١٩٤٠/٤) رقم (٢٤٩٣).

(٣) سورة النساء، الآية: (١١٤).

(٤) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(١٢٩).

المسألة الثالثة: قوة عاطفة الداعية:

من المسلَّمات أنه لا يؤثر إلا المتأثر الحامل لقوة العاطفة، فالداعية الناصح هو الذي يحمل همَّ موضوعه ويلقيه على المستمعين في خطبة أو محاضرة او كلمة عابرة، ومن حوله يشعر بتفاعله، فلا يثير الحماسة في قلوب السامعين إلا من امتلأ حماسة فيما يدعو إليه، واعتقادًا بصدقه؛ لأن ما يخرج من القلب يدخل القلوب بغير استئذان(٢).

وذكر الشيخ أبو زهرة -رحمه الله- جملة من الآداب الخطابية وهي:

أ - سداد الرأي: وقصد به أن يقوم الخطيب وهو الداعية بدراسة تامة للموضوع الذي يخطب فيه، فإن الرأي المحكم لا يكون إلا بدراسة عميقة، وإحاطة تامة، واطلاع واسع، وعلم غزير، وفكر قويم.

ب - صدق اللهجة:. . . وهو أن يظهر الخطيب مخلصًا فيما يدعو إليه، حريصًا على الحقيقة فيما يعمل، فإنه إن ظهر كذلك، وثق الناس به، وصدقوه فيما يدعو إليه. . . فعن جابر -رضي الله عنه- قال: ((كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم))(٣).

ج - التودد من السامعين:. . . ويكون ذلك بالتواضع لهم، وأن يكون ممن يألفون ويُؤلفون، فلا يكون جافيًا خشنًا قاسيًا، وأن يمدح الجماعة التي يخاطبها، ويذكرها بأحسن صفاتها. . . (٤).

---

(١) لمزيد معرفة للمؤثرات في حسن البيان وأدواته انظر: بحث التميز في الخطابة والالقاء، ففيه وسائل متنوعة في بابها- نشر على موقع رابطة أدباء الشام.

(٢) تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ ص(٣٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/٥٩٢) رقم(٨٦٧).

(٤) انظر: الخطابة، الشيخ محمد أبو زهرة. ص(٥٠-٥٤).

المسألة الرابعة: حسن أسلوب الداعية سبب لتحقق المطلوب:

الداعية إلى الله وهو يدعو إلى الله بوسائل الدعوة المختلفة: من خطابة ومحاضرة وكلمة، وكتابة، يحتاج إلى الأسلوب المؤثر الذي كسبه من بناءه لنفسه لحسن بيانه، وما الأسلوب إلا نتيجة لذلك البيان الذي جمع القصد وحسن العبارة في الكلام، وكم قرأنا لمن أخذ بنا حتى أكملنا مقولته مع فهم لمراده، كما هي حال الاستماع لأولئك الذين ملكوا حسن الأسلوب فأنصت لهم الجميع بالاختيار.

قال الدكتور أحمد غلوش بقوله: "وما دامت ألفاظ الخطبة سديدة فواجب ان يكون الأسلوب كذلك، وهذا لا يتأتى إلا إذا جمع الأسلوب مجموعة من المزايا من أهمها:

١) أن يكون الأسلوب متلائم الكلمات، متآلف التراكيب.

٢) لابد للأسلوب أن يكون جامعًا لعديد من فنون التعبير لينتقل بالسامع من فن إلى فن؛ طردًا للسأم.

٣) . . . لابد للأسلوب أن يتنوع بتنوع المقامات، وأن يلاحظ أحوال السامعين لأن مقام التهديد غير مقام التحميس، وإظهار الألم غير إظهار الفرح" [1].

ولعل فيما ذكر سبب من الأسباب المؤدية لبناء الداعية وتهيئته للقيام بالمسؤولية على أحسن حال له وللمدعوين.

(١) قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين، د. أحمد غلوش ص(٥٠-٥٤).

المطلب الثاني

« لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه -عليه السلام-"[2].

وبالنظر لمناسبة الحديث[3] يتبين أن المسلم عمومًا والداعية على وجه الخصوص من المهم أن يكون على حذر من كيد الأعداء سائرًا على الحال التي قال بها عمر بن الخطاب ﷺ عن نفسه: "لست بالخب ولا الخب يخدعني"[4].

قال الخطّابي -رحمه الله- عند قوله -صلى الله عليه وسلم- « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »: هذا لفظه خبر ومعناه أمر أي: ليكن المؤمن حازمًا حذرًا، لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر[5].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (٥٢٩/١٠) رقم (٦١٣٣).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٣١٣).

(٣) وهو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أسر أبا عزة الجمحي ببدر، ثم من عليه، فقال: يا رسول الله، أقلني، فقال: "والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدًا مرتين، اضرب عنقه يا زبير"، فضرب عنقه. الروض الأنف (٢٩٢/٣).

(٤) رواه ابن عساكر، في تاريخ دمشق (١٩/١٠)، والمزي في تهذيب الكمال(٤١٨/٣)، من طريق ابن النقور، من قول إياس بن معاوية رحمه الله بلفظ "لست بخبٍّ، والخبُّ لا يخدعني".
وقد اشتهر نسبة الأثر لأمير المؤمنين، أبي حفصٍ، عمر بن الخطاب < انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٥/٥)، وإعلام الموقعين (٢٤١/٣).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ١٧٣).

وقال النووي -رحمه الله-: "وقال القاضي يروى على وجهين أحدهما بضم الغين على الخبر ومعناه المؤمن الممدوح وهو الكيس الحازم الذى لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك وقيل إن المراد الخداع في أمور الآخرة دون الدنيا والوجه الثاني بكسر الغين على النهي أن يؤتى من جهة الغفلة"(١).

ثم قال: "وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهةٍ أن يتجنبها لئلا يقع فيها ثانية"(٢).

الداعية إلى الله وهو يخالط الناس، وقد يرى منهم مزيد حفاوة وإكرام مطالب بالحذر من ذلك بالبعد عن العجب، وما ماثله من الأمراض القلبية، وإن وقع فيه مرة فعليه الحذر من أن يُلدغ مرة أخرى بما يفسد عليه مقصده وإخلاصه، وكما هي حاله مع نفسه تكون حاله مع الآخرين، والتنبه لما قد يقع من بعضهم معه عن قصد أو غير قصد من استدراج في مسألة من المسائل، أو دخول في عالم المال مع من لا تحسن مخالطته مما يفسد عليه أثره في الناس؛ لفساد نفسه. وهكذا يتبين أثر هذا الحديث السائر مسار المثل في بناء شخصية الداعية الاجتماعية.

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: ألا يخدع الداعية نفسه:

الداعية إلى الله بقدر ما يكون يقظًا من بعض المدعوين فإنه من المهم أن يحذر من نفسه، من أن يوردها المهالك مما يفسد عليه قلبه من شهوة أو شبهة، ومتى ما كان حذرًا ثم وقع فإن عليه العودة سريعا إلى جادة الصواب فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، فأخلاق الداعية المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في قرآنه وفصلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته، واصطبغ بها صحابته

(١) شرح صحيح مسلم، النووي (١٨/ ١٢٥).

(٢) المرجع السابق (١٨/ ١٢٥).

الكرام في سلوكهم، وهي لازمة لكل مسلم، وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها ليزن نفسه ليعلم ما عنده منها وما لم يصل إليه منها[1].

ومن أوجب ما يجب على الداعية في هذه المسألة هو الصدق والأمانة إذ أن صفة الأمانة صفة أساسية من صفات الداعي إلى الله تعالى، وأنت إذا تأملتها وجدتها صفة يشترك فيها جميع الأنبياء والرسل؛ لأنها لازمة للصدق فلا يتصور إنسان صادق غير أمين، أو أمين غير صادق، والصدق حلية الأنبياء وحلية الصالحين. . . [2].

وعلى هذا فإن للداعية مع نفسه موقفًا يتطلب منه ألا يخادعها ليخدع الآخرين فلا يتوهم أنه عالم بكل شيء أو أنه له أن ينقل الحكايات الواهية والمواقف الباطلة بحجة تأليف قلوب الناس، وهكذا فهو أمين في مصادره صادقٌ في طرحه.

المسألة الثانية: ألا ينخدع من جهة الآخرين:

وللداعية مع المدعوين مواقف يجب أن يراعيها بناءً على هذا النص النبوي الكريم ومنها:

١- الحذر من بناء الأحكام على ما ينقله الأتباع أو المحبون بدون تثبت حتى لا يضطر إلى التراجع أو نزع الثقة منه إن تكرر منه ذلك، ودليله في هذا قول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾[3].

٢- فقه مفهوم المؤامرة من الأعداء والخصوم، وأن يتعامل معها التعامل الشرعي القائم على الاعتدال والتوسط بين مزلة التهويل والتهوين[4].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص(٣٤٦) فقرة (٥٤٧)، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص(١٢١).

(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، د. جمعة أمين عبدالعزيز ص (٥٠).

(٣) سورة الحجرات، الآية: (٦).

(٤) انظر: في هذا كتاب قيم لمعالي أ. د. علي إبراهيم النملة بعنوان" هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل".

٣- لابد أن يدرك الداعية الفرق بين الخوف والحذر من الأعداء فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾[2].

٤- الحذر من الخديعة بالمال لشراء الذمم، فهي أخطر سلاح يفتك بالداعية وبخاصة إذا كان من أهل القضاء والمؤسسات الشرعية.

٥- قد يعفو الداعية خطأ من أخطا عليه في نفسه أو ماله أو غير ذلك لكنه لا يَقْبَلُ منه تكرار ذات الخطأ او أي خطأ آخر يصدر من الشخص نفسه.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٧١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٧٥).

المطلب الثالث

«اشفعوا تؤجروا»[1]

هذا القول السائر مسار المثل هو جزء من حديث رواه أبو موسى الأشعري ﷺ قال: ((كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا جاءه السائل، أو طُلبت إليه حاجة قال: ((اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- ما شاء))[2].

والناس يتفاوتون في مدى التأثير، وكذا القبول منهم، والدعاة إلى الله واسطة عقد نفيس بين من لا يستطيع أن يبين عن حاجته لدى من تكون إليه، إما لضعف مكانته أو ضعف بيانه، فكان الدعاة إلى الله وهو المخالطون للناس العارفون لأحوالهم من أولى من يقوم بهذه المهمة النبيلة، وهذا من باب التعاون بين المسلمين، ولذا فقد بَوَّبَ البخاري -رحمه الله- بابًا سماه "باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا"[3]، ثم أورد هذا الحديث ضمن أحاديث الباب. وبخاصة ما يكون منها في حق ولا يضر أحدًا من الناس إذ الثانية محل ذم، كما قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ

---

(١) هناك التباس في الفرق بين الشفاعة والواسطة - اللفظة الدارجة في هذا الزمن- وحقيقة الأمر ان الشفاعة هي الواسطة: وقد قسمها القرآن إلى قسمين كما في ثنايا هذه الفقرة، فالواسطة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة. انظر: في هذا رسالة بعنوان " الواسطة، مفهومها، حكمها، أسبابها آثارها" من إعداد الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، وينظر أيضًا ملخص بحث: الواسطة والمحسوبية وأثرها على الفرد والمجتمع، منشور على موقع الألوكة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، (٢٩٩/٣) رقم (١٤٣٢).

(٣) كتاب الآداب (٤٤٩/١٠)

كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم؛ فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كِفْل، وقيل: الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والسيئة في المعاصي، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم"[2].

وقال ابن حجر -رحمه الله- عن الحديث: " وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان -صلى الله عليه وسلم- لا يحتجب"[3].

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((اشفعوا تؤجروا)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: الداعية إلى الله ساع في الشفاعة وليس عليه تمام المقصود:

قال السعدي -رحمه الله-: "وهذا الحديث متضمن لأصل كبير، وفائدة عظيمة، وهو أنه ينبغي للعبد أن يسعى في أمور الخير سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء. وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجاتهم بهم فإن كثيرًا من الناس يمتنع من السعي فيها إذا لم يعلم قبول شفاعته. فيفوّت على نفسه خيرًا كثيرًا من الله،

---

(١) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٢) تفسير القرطبي(٥/٢٩٥).

(٣) فتح الباري(١٠/٤٥١).

ومعروفًا عند أخيه المسلم. فلهذا أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن يساعدوا أصحاب الحاجة بالشفاعة لهم عنده ليتعجلوا الأجر عند الله، لقوله: ((اشفعوا تؤجروا)) فإن الشفاعة الحسنة محبوبة لله، ومرضية له. قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[1]، ومع تعجله للأجر الحاضر فإنه أيضًا يتعجل الإحسان وفعل المعروف مع أخيه، ويكون له بذلك عنده يد"[2].

وما قصة بريرة رضي الله عنها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا شاهد على ما ذكر فمع مكانة النبي -صلى الله عليه وسلم- في نفوس أصحابه وعامة أتباعه إلا أنه أعطى للشفعاء درسًا بأن عليهم القيام بالمهمة ولو لم تتحقق الأمنية.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريرة وزوجها قال: قال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لو راجعتيه)) قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: ((إنما أنا أشفع)) قالت: لا حاجة لي فيه))[3].

المسألة الثانية: الشفاعة حقٌ للمشفوع له:

والدعاة إلى الله سبحانه وهم يعلمون هذا القول السائر مسار المثل من المهم أن يتمثلوه في واقعهم مع أهمية الحذر من الذين يطلبون الشفاعة في أمر سيء من خلال التمويه على الداعية بصدق دعواهم، وهنا نذكر بالمثل النبوي المتقدم: ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)).

والسعي في حاجات الناس ومنها الشفاعة في قضاء حوائجهم لها أثر فاعل بالمدعوين، فشفاعة إنسان لآخر عند السلطان أو صاحب الجاه أو المنصب ليقضي له حاجته هي شفاعة في أمور الدنيا، وهي نوع من التعاون بين المسلمين، ووسيلة

---

(١) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ص (٣٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة، (٩/٤٠٩) رقم(٥٢٨٣).

من وسائل الألفة والمحبة إذا كان المشفوع إليه يملك التصرف فيما طلب منه على مقتضى الأسباب العادية[1].

المسألة الثالثة: نموذج لباذل الشفاعة من دعاة العصر:

واقعنا الحالي يؤكد على أنَّ الباذلين للشفاعة في أوجه الخير هم أهل الحظوة والتقدير والقبول عند من يشفع لهم، أو يشفع لأحد لديهم، وما سماحة الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- إلا أنموذج في ذلك فكان -رحمه الله- لا يكل ولا يمل من بذل شفاعته، ولا يرد أحدًا يطلب منه الشفاعة الحسنة كائنًا من كان، وقد كتب إليه أحد المسؤولين وقال له: نرى أن لا تشغل نفسك بكثرة الشفاعات؛ فالدولة جعلت دوائر كثيرة، وكلٌّ يرجع إلى الجهة التي يتبعها.

فردَّ عليه سماحة الشيخ -رحمه الله- بقوله: أنا أشفع؛ استجابة لقوله سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[2]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «اشفعوا تؤجروا»، وأنا بشفاعتي أدلكم على الخير، وأرجو الأجر من الله؛ فإن استجبتم فأبشروا بالخير، وإن لم تستجيبوا فقد أديتُ ما عليَّ، وأنا لا ألزم أحدًا. فقال ذلك المسؤول: اتركوه يشفع لمن شاء[3].

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦٤ سنة ١٤٢٢هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٣) انظر: كتاب جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، محمد بن إبراهيم الحمد (٢٩٨/١).

المطلب الرابع

«اليد العليا خير من اليد السفلى»

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه حكيم بن حزام -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله))[1].

ورد هذا الحديث هذا أيضًا فيما رواه عبد الله بن عمر {: ((أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر، وذكر الصدقة، والتعفف، والمسألة: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة))[2].

فائدة إيراد هذه الرواية؛ لأن فيها بيان لمعنى اليد العليا، وكذا اليد السفلى، والذي قال عنه ابن حجر -رحمه الله-: " فهذا يشعر بأن التفسير من كلام ابن عمر، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر { قال: " كنا نتحدث أن العليا هي المنفقة "[3].

أثره في بناء شخصية الداعية الاجتماعية:

يظهر أثر هذا القول ((اليد العليا خير من اليد السفلى)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: غناء الداعية في نفسه:

الاستغناء عما في أيدي الناس من أقوى عوامل العزة والرفعة للإنسان عمومًا فما بالك بالدعاة إلى الله سبحانه وتعالى وهم في موقع التأثير والسعي لهداية الدلالة والإرشاد، قال سفيان الثوري -رحمه الله-: "يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم فقد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (٣/٢٩٤) رقم (١٤٢٧).

(٢)رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (٣/٢٩٤) رقم (١٤٢٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٣/٢٩٧)، والمصنف لابن أبي شيبة، كتاب الزكاة، في الاستغناء عن المسألة، (٧/٣٨) رقم(١٠٧٩٠).

وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس"[1].

المسألة الثانية: التأكيد على أهمية البذل والإحسان للآخرين:

ومتى كان الداعية إلى الله غنيًا في نفسه، مكنَّه ذلك من أن يكون صاحب اليد العليا حيث البذل والانفاق في سبيل الله مما تستجلب به النفوس الشاردة والمعرضة وما إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة إلا شاهد يؤكد على أثر المال في التأليف والدعوة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[2]، وعلو اليد هذه إنما هو من علو المجد والكرم، يريد به الترفع عن المسألة والتعفف عنها[3].

وبذل المال ليس هو المهمة الأصل في حياة الداعية إلى الله وإنما عليه بذل العلم واستفراغ الجهد في الدعوة إلى الله، وما بذل المال إلا حالة استثناء، ليكون وسيلة لتحقيق المطلوب من أولئك الشاردين، الذين لا تستجلب قلوبهم إلا بهذا، وكما أنه استثناء في مهمة الداعية فهو استثناء أيضا في حق المدعوين، فلا يستجلب به إلا أولئك الذين بهدايتهم تهتدي أقوامهم -بإذن الله-، وما المؤلفة قلوبهم إلا من أولئك.

المسألة الثالثة: أثر ذلك على المدعوين:

ومن أهم ما يميز شخصية المسلم قدرته على توثيق العلاقات الإنسانية والاجتماعية، بينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه، وللعلاقات الطيبة النقية، أثرها الكريم، في غرس المودة في النفوس، وإشاعة الخير في المحيط الإنساني[4].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٨٢).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٦٠).

(٣) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٩٥).

(٤) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(١٢٦).

وقد سلك الإسلام بأتباعه سبيل التعاون في علاقاتهم، وأرسى مبادئ الود والتواصل بين المسلمين، فشرع الهبة والهدية، جبرًا للقلوب، وغرسًا لأسباب المحبة والألفة بين الناس، كما حثَّ على قبول الهدية الخالصة النقية التي لا تشوبها شائبة، إذ إن لها أثرها في اقتلاع جذور الشر والكراهة، وتنقية النفوس من المشاعر السيئة[1].

وهكذا نجد أن الداعية إلى الله متى ما استشعر ذلك وعمل به فإن أثره سيكون أكثر، ومقامه سيكون أعلى، وما الواقع المشاهد في حياة الناس إلا شاهد على هذا.

(١) المرجع السابق ص(١٢٨).

المطلب الخامس

« إنما الصبر عند الصدمة الأولى»

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مر النبي -صلى الله عليه وسلم- بامرأة تبكي عند قبر فقال: « اتقي الله واصبري ». قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي -صلى الله عليه وسلم-. فأتت باب النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى »[1].

الدعاة إلى الله وهم سائرون في ركب الدعوة حاملين ميراث النبوة، يحتاجون إلى بناء أنفسهم بناءً يتحملون معه المواقف التي قد تعرض لهم في مسيرهم الدعوية وبخاصة ما يحمل طابع المفاجأة منها، وما يبثه المرجفون في المدينة ممن لا يخلوا منهم زمان ولا مكان، قال ابن القيم -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: "وقوله: ((الصبر عند الصدمة الأولى)) مثل قوله: ((ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه وقت الغضب))[2] فإن مفاجئات المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها، فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدها وضعفت قوتها فهان عليه استدامة الصبر، وأيضًا فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه وهي الصدمة الأولى. وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها، وعلم أنه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار. وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عنها شيئًا جاءت تعتذر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- كأنها تقول له: قد صبرت، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى"[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، (١٤٨/٣)، رقم(١٢٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (٥١٩/١٠)، رقم(٦١١٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، (٢٠١٤/٤)، رقم(٢٦٠٩).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٧٩/١).

وكما أن الدعاة مشاعل هدى، فإنهم يقومون بواجب الطمأنة والتهدئة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه تجاه ما قد يرد من أحداث وازمات قد تجعل الناس في حيرة وهلع وقنوط، فإذا كان الصبر لأي إنسان من لوازم بقائه وسيره في الحياة وبلوغ ما يريد، فإن الصبر أشد ضرورة للمسلم من غيره"[1].

ولعل أثر ذلك البناء للداعية يظهر في الفقرتين التاليتين التي سأقصر الحديث عليهما نظرًا لارتباطها بمجتمع الداعية مما يجعل الأثر أكثر وضوحًا، وإلا فخاصة النفس وما يعرض لها من منح ومحن تحتاج إلى صبرٍ عند أو ل وقوعها كما تحتاج إلى ملازمة الصبر عند ملازمتها للإنسان.

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية الصبر في حياة الداعية:

وذلك بالصبر على الدعوة ومشاقها وبالصبر على معارضة وأذى الآخرين، فالداعية إلى الله يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده والتزام أوامره والابتعاد عن نواهيه، يدعو إلى مكارم الأخلاق، يحبب إلى الخير الناس ، ويأخذ بأيديهم إليه، ويحول بينهم وبين اغتيال الشياطين لهم، وهو كالطبيب، ولكنه يعالج النفوس والأرواح، ويحول بين الناس وبين الأمراض التي تؤدي بهم إلى خسارة الدنيا وخسارة الآخرة"[2]. وهو في هذه الحالة عرضة لمواقف المعارضين الذين يصحبون معارضتهم بالإساءة للمدعو ولمزه وهمزه وتجريحه سعيًا لاستفزازه، وإخراجه عن طوره، ومتى صبر في أول أمره هان عليه باقيه وزادهم غيضًا وحنقًا، أو حسن مراجعة منهم لما قاله ليكون هداية ورشدًا، وهذا منه كظم لغيظٍ، أراد بكظمه وجه

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص (٣٥٠).

(٢) مرشد الدعاة للشيخ محمد نمر الخطيب، ص(١١١).

الله، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[1].

وهي شجاعة لا يقدر عليها الكثير من الناس، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنها-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب))[2].

إن القوة الحقيقة للإنسان تتجلّى في موقفه من الأزمات ساعة احتدام الانفعالات، فالذي ينجح في مواجهة هذه الأزمات هو الإنسان القوي.

إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرر أن الإنسان إنما يكون بإرادته لا بعضلاته فليس الشديد هو الذي يصرع الناس بقوته، لكن الشديد الذي يملك السيطرة على أعصابه، ويستطيع أن يتصرف التصرف الموزون اللبق في حالة الغضب والانفعال"[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[4]، قال الرازي -رحمه الله-: "أما قوله تعالى: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فاعلم أنه تعالى لما بيَّن في أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضا سببا لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين وعلى هذا الوجه قال تعالى: يا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٣).

(٢) سبق تخريجه ص (٣٣).

(٣) خواطر في الدعوة إلى الله لمحمد بن لطفي الصباغ ص(١٤٧).

(٤) سورة العصر، الآية: (٣).

أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا [التحريم: ٦] فالتواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل، والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابهم ما يحرم إذ الإقدام على المكروه، والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد"[(١)].

وصبر الداعية في هذه المواقف وأمثالها كان من سجايا أبناء مدرسة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فعن ابن عباس { قال: "قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شُبانًا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[(٢)] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله"[(٣)].

قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: " ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل"[(٤)].

---

(١) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٨١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٩٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)، (٨/٣٠٤) رقم (٤٦٤٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/١٨٧).

المسألة الثانية: أهمية تحلي الداعية بالصبر وأثر ذلك على مجتمعه:

عندما يعصف بالمجتمع أو الأمة حوادث تتطلب الصبر والتأمل فإن الدعاة إلى الله مؤمل فيهم أن يكونوا في مقدم هؤلاء قدوة وتهدئة للمجتمع بعدم القلق والتوتر تجاه ما قد يرد من أحداث، فحقيقة شجاعة الداعية هي الصبر والتبيان والإقدام على الأمور النافعة، وتكون شجاعة الداعية في الأقوال والأفعال، ولابد أن تكون شجاعته موافقة للحكمة، وأعظم ما يمد ويقوي شجاعة الداعية: الإيمان العميق، وقوة التوكل على الله، وكمال الثقة به سبحانه، ومعرفته لأحوال النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومواقفه في الشجاعة القلبية والعقلية[1]، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: ((لن تراعوا، لن تراعوا)). وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف فقال: ((لقد وجدته بحرًا)) أو ((إنه لبحرٌ)) [2].

ومن المؤكد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع الصوت كما سمعه أهل المدينة لكنه لم يخف كحال غيره ولذلك ذهب بشجاعة -صلى الله عليه وسلم- لمصدر الصوت، وعاد مطمئنًا من فزع بأنهم لم يراعوا، وهي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسًا وإظهارًا للرفق بالمخاطب[3].

---

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١/٢٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الآدب، باب حسن الخلق، والسخاء، وما يكره من البخل، (١٠/٤٥٤)رقم(٦٠٣٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٥٧).

المطلب السادس

« إن الدين يسرٌ»

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة))[1].

دين الإسلام الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- هو دين اليسر والسماحة في أصله، وفيما يعرض لأتباعه من حرج ومشقة، فأما في الأصل فمظاهر يسره على خلاف ما سبقه من الأديان، وقد أورد البخاري -رحمه الله- هذا الحديث في "باب الدين يسر، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة))"، وقد علّق ابن حجر -رحمه الله- على عنوان الباب قائلاً: "قوله باب الدين يسر" أي: أن دين الإسلام ذو يسر أو سمى الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم"[2].

ويؤيد ما ذكره ابن حجر -رحمه الله- ما ورد في صفة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (١/٩٣) رقم (٣٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (١/ ٩٣).

وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: وقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ أي: أنه جاء بالتيسير والسماحة، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((بعثت بالحنيفية السمحة))[2].

وقال لأميريه معاذٍ وأبي موسى الأشعري، لما بعثهما إلى اليمن: ((بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا))[3].

وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي -رضي الله عنه-: ((إني صحبت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وشهدت تيسيره))[4].

قد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسَّع الله على هذه الأمة أمورها، وسهلها لهم؛ ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تقل أو تعمل))[5][6].

ومما يدل على يسر وسماحة هذا الدين في أصله أن الله جلَّ وعلا لما أمر عباده بعدد من التكاليف ذكر لهم سبحانه أن في هذا يسرًا لا حرج فيه ولا مشقة، قال

---

(١) سورة الاعراف، الآية: (١٥٧).

(٢) رواه أحمد في المسند(٥/٢٦٦) رقم (٢٢٢٩١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، (٦/١٦٢) رقم(٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (٣/١٣٥٩) رقم(١٧٣٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، (٣/٨٢) رقم(١٢١١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق، (٩/٣٩٣) رقم(٥٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، (١/١١٦) رقم(١٢٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٢٦٥).

الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[1].

وكما هو دين اليسر والسماحة في أصله فهو دين اليسر والسماحة فيما يعرض للمسلم من حرج ومشقة في أداء عبادة من العبادات، فعن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال كانت بي بواسير فسألت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة فقال: ((صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب))[2]، بل إن الصيام وهو ركن من أركان الإسلام في حال العجز عن أدائه في وقته إما عجزًا مؤقتًا لسفرٍ أو مرضٍ يرجى برؤه فلا يصمه ويقضي لاحقًا، أو عجزًا كليًا لمرض لا يرجى برؤه فتقوم مقامه كفارة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾[3].

---

(١) سور الحج، الآيتان: (٧٧، ٧٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب، (٢/ ٥٨٧)، رقم(١١١٧).

(٣) سور البقرة، الآيتان: (١٨٣، ١٨٤).

والحجُّ كذلك ركنٌ من أركان الإسلام يسقط عمن لا يستطيع، ومتى ما استطاع أداه ولو مات و لم يستطع فذمته بريئة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1].

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((إن الدِّينَ يسرٌ)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية فقه الداعية لمعنى يسر الدين:

فقه الداعية لمعنى يسر الدين أولى الخطوات العملية نحو تمثله في نفسه وفي دعوته إلى الله ﷻ، وبخاصة مع فقهه أن اليسر أصل في ديننا ومقصد من مقاصده لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2] فمتى ما حقق المسلم الغاية – بفعل المأمور وترك المحذور- بأدنى درجات المشقة كان ذلك من تمام فهم يسر الدين.

فعن ابن عباس-رضي الله عنه- عن جويرة -رضى الله عنها-: ((أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت نعم قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته))[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٩٧).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، (٤/٢٠٩٠) رقم(٢٧٢٦).

وعند قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "كيف تجد تحته أنهم في سعة ومنحة من تكاليفه؛ لا في ضيق وحرج ومشقة؛ فإن الوسع يقتضي ذلك فاقتضت الآية أن ما كلفهم به مقدور لهم من غير عسر لهم ولا ضيق ولا حرج؛ بخلاف ما يقدر عليه الشخص فإنه قد يكون مقدورًا له ولكن فيه ضيق وحرج عليه، وأما وسعهُ الذي هو منه في سعة؛ فهو دون مدى الطاقة والمجهود؛ بل لنفسه فيه مجال ومتسع وذلك مناف للضيق والحرج"[2].

وبعد هذا فالذي يظهر بعد الاستقراء لمعنى اليسر أنه وسط بين الإفراط والتفريط، فدعاة التساهل والتخفف من التكاليف الشرعية سمو منهجهم تيسيرًا أو وسطية، ودعاة التشدد والغلو زعموا أن منهجهم هو منتهى اليسر والسماحة، وهو المنهج الحق بالبعد عن تمييع الدين والتساهل فيه، وكلا الفريقين قد جانب العدل في هذا قال ابن القيم -رحمه الله-: " وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طَرَفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به. فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقُوَّته بحسب ذلك. وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصًا وأثمرت نقصًا"[3].

وعلى هذا ففهم فقه يسر الدين من أولى أوليات الداعية ليقوم بواجب الدعوة على بصيرة من أمره، ويظهر معها حاجته لفقه قواعد الفقه وأصوله لِيُنَزِّلَ الأمر منزلته المناسبة له.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٧).

(٣) الفوائد، ص (٢٥٣- ٢٥٤).

المسألة الثانية: أخذ الداعية نفسه بيسر الدين:

منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- هو المنهج الحق والذي يجب أن يُحتذى، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1] لقد كان لكم - أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال[2].

والدعاة إلى الله الحاملون لميراث النبي -صلى الله عليه وسلم- سائرون على سبيله عليه الصلاة والسلام في حياته، فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: ((ما خُيِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه))[3].

قال النووي -رحمه الله-: " قولها: ((ما خُيِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه)) فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا. قال القاضي: ويحتمل أن يكون تخييره -صلى الله عليه وسلم- هنا من الله تعالى، فيخيره فيما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصار، وكان يختار الأيسر في كل هذا "[4].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((دعوني

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٢٠).

(٣) رواه مسلم كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه و سلم للآثام واختياره من المباح أسهله، (٤/ ١٨١٣)، رقم(٢٣٢٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي (١٥/ ٨٣).

ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))[1].

قال ابن رجب -رحمه الله-: "وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم))، قال بعض العلماء: هذا يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر؛ لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه، والأمر قيد بحسب الاستطاعة".

ثم قال -رحمه الله-: "والتحقيق في هذا أن الله لا يكلف العباد من الأعمال ما لا طاقة لهم به، وقد أسقط عنهم كثيرًا من الأعمال بمجرد المشقة رخصة عليهم، ورحمة لهم، وأما المناهي، فلم يعذر أحد بارتكابها بقوة الداعي والشهوات، بل كلفهم تركها على كل حال"[2].

وقد جعل الله من الإنسان حَكَمًا على نفسه فيما هو باستطاعته من الأعمال وهو جزء من الأمانة التي حملها الإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[3].

وقد روت عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها، وعندها امرأة قال: ((من هذه؟)). قالت: فلانة، - تذكر من صلاتها- قال: ((مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا))[4].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب، باب الاقتداء بسنن رسول الله، (١٣/٢٥١) رقم(٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب، باب توقيره -صلى الله عليه وسلم- وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، (٤/١٨٢٩) رقم(١٣٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/ ٩٥، ٩٦).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، (١/١٠١)، رقم(٤٣).

المسألة الثالثة: دور الداعية في بيان يسر الدين:

الداعية إلى الله سبحانه وتعالى وهو السائر على نهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة إلى الله حيث وضوح المنهج وظهور السبيل قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1].

والمتتبع لمنهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجد أن الدعوة إلى اليسر وعدم أخذ المدعوين بالشدة فيما يقومون به من عمل من الأعمال الصالحة هو السائر في حياته عليه الصلاة والسلام يتضح ذلك في أمور كثيرة ومنها:

١ - الدعوة إلى بيان أن اليسر هو الأصل في دين الله:

يظهر هذا في تلك الآيات التي تم الاستشهاد فيها في هذه الفقرة من هذا البحث، وكذا ما جاء في نص الحديث المبحوث، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا)) إذ إن الهدي الصحيح أن يعمل الإنسان الشيء على وجه السداد والإصابة فإن لم يتيسر يقارب عمله للسداد والإصابة. عن عبد الله بن سعود ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((هلك المتنطعون قالها ثلاثًا))[2].

قال النووي -رحمه الله-: "((هلك المتنطعون)) أي المتعمقون الغالون المجاورون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[3].

وكما هي الدعوة القولية تكون من الدعوة العملية فهو محط أنظار المدعوين: وقد روى جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: ((كنت أصلي مع النبي -صلى الله

---

(١) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، (٤/ ٢٠٥٥)، رقم(٢٦٧٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي (١٦/ ٢٢٠).

عليه وسلم- الصلوات فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا))[1].

ففي هذا الحديث: استحباب القصد في الصلاة والخطبة وجميع الأمور[2].

٢ - بيان خطأ من حمل نفسه على الشدة:

الداعية إلى الله وهو يدعو إلى يسر يدين ببيانه وأفعاله فقد يجد من رغب في الزيادة على هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- فتنطع في الأعمال والأقوال بسلامة نية وحسن مقصد، وهذا لا يكفي ما لم يتحقق شرط الاتباع لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقد انكر عليه الصلاة والسلام على أولئك الذين سلكوا منهجًا خالف هديه، ولم يسألهم عن مقصدهم وحسن نيتهم، يتبين هذا في المثالين التاليين الذين يجعلهما الداعية نبراسًا يستضيئ به في دعوة الناس والإنكار عليهم بضوابط الإنكار وشروطه وهذين الحديثين هما:

- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[3].

- وعن أنس -رضي الله عنه- قال: ((دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ((ما هذا الحبل))؟. قالوا: هذا حبل لزينب فإذا

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/ ٥٩١)، رقم(٨٦٦).

(٢) انظر: تطريز رياض الصالحين، الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك (١/١١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٩/١٠٤)، رقم(٥٠٦٣).

فترت تعلقت. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد))[1].

٣ – بيان خطأ من ضيع شيئًا من شرائع الدين بحجة اليسر والتسامح:

وكما هو الإنكار على من حمل نفسه على التشدد يجب الإنكار على من ضيع شيئًا من أمور الدين بحجة التساهل، فالغلو في الدين هو الزيادة عن الحد المشروع فيه. . . ولكن هناك من هو على النقيض من غلو الزيادة في الدين؛ فهناك من غلا في التساهل والتسامح في الدين، ولا شك أن ديننا دين السماحة ورفع الحرج والاعتدال. ولكن يجب أن يكون هذا التسامح في حدود ما شرعه الله من الأخذ بالرخص الشرعية عند الحاجة إليها، والدين كله ولله الحمد ليس فيه آصار ولا أغلال: ﴿لا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3] ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[4]، ولكن الغلو في التسامح يكون بالخروج عما شرعه الله، وهذا لا يسمى تسامحًا، وإنما هو الحرج نفسه[5].

وفي ختام هذه الفقرة ناسب أن أعرض لما ختم به الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- شرحه لهذا الحديث العظيم فقال -رحمه الله-:

فعلمت بهذا: أنه يؤخذ من هذا الحديث العظيم عدة قواعد:

القاعدة الأولى: التيسير الشامل للشريعة على وجه العموم.

القاعدة الثانية: المشقة تجلب التيسير وقت حصولها.

القاعدة الثالثة: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، (٣/٣٦)، رقم(١١٥٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٣) سور الحج الآية(٧٧، ٧٨).

(٤) سورة المائدة الآية (٦).

(٥) من مقالة لمعالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، بعنوان "الغلو كما يكون في التشدد يكون في التساهل" منشور على موقع معاليه على الشبكة العنكبوتية.

القاعدة الرابعة: تنشيط أهل الأعمال، وتبشيرهم بالخير والثـــواب المرتـــب على الأعمال.

القاعدة الخامسة: الوصية الجامعة في كيفية السير والسلوك إلى الله، التي تغني عن كل شيء ولا يغني عنها شيء.

فصلوات الله وسلامه على من أوتي جوامع الكلم ونوافعها[1].

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد ص (٦٨)

الخاتمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد: فبعد بحث واستقراء لإعداد هذا البحث الذي أكتب خاتمته خلصت فيه إلى ما يلي:

- كثرة الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل في كتب السنة، ومع اقتصاري على صحيح البخاري والاكتفاء بستة أحاديث مراعاة لطبيعة البحث، فقد بقي منها بقية كثيرة منها على سبيل المثال: ((إذا لم تستحي فاصنع ما شئت))[1]، و((الناس معادن))[2] و((إياكم والظن))[3] وغيرها من الأحاديث.
- أهمية التوسع في الكتابة في هذا الموضوع نظرًا لأهميته وكثرة تناوله من العامة والخاصة في عدة مجالات من حياتهم.
- وضوح أثر تلك الأحاديث في بناء شخصية الداعية الاجتماعية، سواء كان ذلك في خاصةِ نفسه، أو مع مجتمعه الذي يعيش فيه، أو مع المدعوين الذين يستهدفهم في دعوته.
- استهدفتُ الجانب الاجتماعي لكون الأصل في الداعية أنه مخالط للناس ومشارك فاعل في قضايا مجتمعه.
- الداعية إلى الله مع سعيه لبناء شخصيته فإن عليه السعي لبناء شخصية المدعوين على ما علمه من فقه النصوص النبوية.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، (٥٢٣/١٠)، رقم(٦١٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، (٥٢٩/٦)، رقم(٣٤٩٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (٤٨١/١٠)، رقم(٦٠٦٤).

- بناء الداعية لشخصيته بناءَ تأصيلٍ يجعله ألصق بالحق من غيره ممن سعى لبنـــاء شخصيته على برامج ليست منبثقة من هذا الأصل العظيم.
- أتمنى على الباحثين أن يدرسوا الأحاديث السائرة مسار المثل دراسة متعـــددة لبناء شخصية الاقتصادي والسياسي وغيرهم ممن يقومون بمهام تخدم المجتمـــع والأمة.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين نبينـــا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح، المستطرف في كل فن مستطرف، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت.

٢. ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد، المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، شركة دار القبل- جدة، مؤسسة علوم القرآن. بيروت، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٣. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، الفوائد، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

٤. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، عدة الصابرين، عالم الكتب، مكتبة المتنبي- القاهرة.

٦. ابن تيمية شيخ الإسلام أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٧. ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨. ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر –بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٩. ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصرالدين، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، مصر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٠. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١١. ابن مالك محمد بن عبد الله شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان(١٩٩٠م).

١٢. أحمد عمر هاشم، الإسلام وبناء الشخصية، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٣. أحمد فريد، تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، دار البخاري، بريدة، السعودية، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

١٤. الأشموني علي بن محمد، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (١٩٤٧م).

١٥. الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٦. آل مبارك فيصل بن عبد العزيز، تطريز رياض الصالحين، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٧. البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح، حسب ترقيم فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ. الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٨. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٩. تنوير نور الحق، من أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الهجري، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٢٠. الحمد محمد بن إبراهيم، جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، رواية: الشيخ محمد بن موسى الموسى، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٢١. الخطابي أبو سليمان حمد، معالم السنن شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢٢. الخطيب محمد نمر، مرشد الدعاة، الطبعة الأولى، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٢٣. الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، - ١٤٢٠ هـ.

٢٤. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، دار الزاحم.

٢٥. السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٦. الصالح صالح وزوجته أمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية.

٢٧. الصباغ محمد بن لطفي، خواطر في الدعوة إلى الله، الطبعة الأولى المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢٨. الصغير محمد بن عبد الله، ما تحت الأقنعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢٩. الصياصة مصطفى عيد، ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وأثرها في تربية الجيل المسلم، الطبعة الأولى، دار المعراج الدولية، الرياض، ١٤١٢هـ.

٣٠. عبد المجيد محمود عبد المجيد، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، الطبعة الثانية، مكتبة البيان، الطائف، مكتبة السوادي، جدة، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٣١. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٢. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب جمهرة الأمثال، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٣. العلواني محمد جابر، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، الطبعة الأولى، مكتبة المؤيد- الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٣٤. العيني محمود بن أحمد بن موسى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٥. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٦. غلوش أحمد أحمد، قواعد الخطابة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٧. الفاروقي التهانوي محمد بن علي بن محمد، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم

٣٨. فلاتة حنان بنت أبو بكر محمد، منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر، جامعة أم القرى كلية التربية.

٣٩. القحطاني سعيد بن علي بن وهب، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الطبعة الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤٠. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٤١. القشيري مسلم بن الحجاج أبو الحسين، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٢. قطامش عبد المجيد، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، الطبعة الأولى، دار الفكر- دمشق، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

٤٣. القيرواني الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣ م.

٤٤. المحمدي مروان بن عبدالله، الأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك، (جمع ودراسة)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة الكرمة، السعودية، ١٤١٧هـ.

٤٥. المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م.

٤٦. الميداني أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م.

٤٧. النملة علي بن إبراهيم، هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، بيسان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٤ هـ.

٤٨. النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الفكر، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٩. الهاشمي محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، الطبعة الخامسة، دار البشائر، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٠. هاني طاهر محمد حسين، الأمثال النبوية في صحيح البخاري (دراسة لغوية دلالية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٥١. المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٥٢. منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة، إعداد مؤسسة المربي

٥٣. التميز في الخطابة والالقاء، بحث نشر على موقع رابطة أدباء الشام.

البحث رقم (٣)

الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ" لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"

إعداد

د. خالد بن سعد الزهراني

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(٤).

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة. أخرجها الإمام أحمد، وأبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة الحاجة، برقم ٢١١٨ ، والترمذي، في جامعه كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم ١١٠٦ وقال صحيح، والنسائي، كتاب الجمعة، باب الدنو من الإمام يوم الجمعة، برقم ١٧٠٩، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم١٨٩٣، وصححها الألباني في كتابه خطبة الحاجة ص: ٩.

يعتبر إبداء النصح والوصية للأهل والاحباب من أعظم ما يحقق الخير، ومن أعظم ما ينمي مشاعر الألفة والمحبة بينهم؛ وهو طريق لإيصال الحق؛ وهو سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من عباد الله الصلحين؛ قال تعالى مخبراً عن نبيه هود -عليه السلام-: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[1].

وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- النصيحة هي الدين، فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2]وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- " علموا أنفسكم وأهليكم الخير"[3]وقد أرسى معالم النصح والوصية بالخير محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك حين أوصي ابنته فاطمة -رضى الله عنها- فقال " يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئا"[4].

وقد أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن عمه عبد الله بن العباس فقال: "يا غلام أني أعلمك كلامات احفظ الله يحفظك. ."[5] ومن هنا أردت أن أدرس هذه الوصية الرائعة التي قدمها ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه وفلذت كبده، واستنبط منها الدلالات الدعوية رجاء نفع نفسي ومن يطلع عليها من المسلمين.

---

(١) سورة الأعراف، آية ٦٨.

(٢) أخرجه مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم٥٥.

(٣) أثر صحيح أخرجه الحاكم ٤/٤٩٤.

(٤) رواه مسلم باب قوله تعالى "وأنذر عشيرتك الأقربين " رقم ٢٠٤

(٥) رواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم : ٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح وأحمد في مسنده رقم: ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرك رقم: ٦٣٠٤.

أهمية البحث:

لهذا الموضوع أهمية كبرى أجملها في الآتي:

١. عظم شأن ومكانة الوصايا عامة ووصية ابن الجوزي لابنه خاصة.

٢. اتباع ابن الجوزي للسلف الصالح رحمهم الله في نصح الأبناء.

٣. التعرف على ما في نصيحة ابن الجوزي -رحمه الله- من الدلالات الدعوية الرائعة التي تنفع الناصح في نصحه.

أهداف البحث وتساؤلاته:

١. يهدف البحث لتحقيق ما يأتي:

٢. بيان مفهوم الوصية.

٣. إيضاح المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه.

٤. إيضاح أسس منهج ابن الجوزي في وصيته وأساليبه.

يجيب البحث على التساؤلات التالية:

١. ما مفهوم الوصية عموما؟.

٢. ما المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي رحمه الله لابنه؟

٣. ما أسس منهج ابن الجوزي في وصيته، وأساليبه؟

حدود البحث:

ستكون حدود البحث وفق التمهيد والمباحث المحددة في خطة البحث.

منهج البحث:

سيكون المنهج المتبع في هذا البحث- إن شاء الله- قائماً على المنهج الوصفي، بالإضافة إلى إتباع الخطوات المنهجية في كتابة البحث، وهي:

١. عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر الآية وكتابتها بالرسم العثماني.

٢. عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة.

٣. عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة مع بيان اسم الكتاب والمؤلف.

٤. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٥. لا أحيل في النصوص المقتبسة من الوصية، واكتفي بورد نص الوصية كاملة في أول البحث، كما أني اكتفيت بالتخريج والتصحيح والتضعيف، والاحالة في صلب الوصية فقط واترك ذلك في الاقتباس.

٦. قد أكرر الشاهد من الوصية بحسب الحاجة "وهو قليل"، وأعلق على النص إذا رأيت الحاجة إلى ذلك.

٧. لا ألتزم بالتراجم للرجال الواردة أسمائهم في البحث خشية الإطالة.

٨. عمل الفهارس اللازمة كما هو موضح في الخطة.

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة، وتمهيدا. ومبحثين، وخاتمة، والفهارس اللازمة، وفيما يأتي تفصيل ذلك: المقدمة تشتمل على:

- أهمية البحث.
- أهداف البحث.
- تساؤلات البحث.
- حدود البحث.
- منهج البحث.

التمهيد: ويشمل الآتي:

أولاً: مفهوم الوصية لغة واصطلاحاً

ثانياً: تعريف الوصيّة في الشرع.

ثالثا: تعريف الوصية في الاصطلاح:

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بمصطلح الوصية

خامساً: أهمية وصية الأولاد ومشروعيتها.

سادساً: دليل مشروعية الوصية:

نص الوصية كاملة:

المبحث الأول: المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده.

المطلب الأول: المضامين العقدية.

المطلب الثاني: المضامين التعبدية

المطلب الثالث: المضامين الخلقية والسلوكية.

المطلب الرابع: المضامين العلمية.

المبحث الثاني: أسس منهج ابن الجوزي وأساليبه في وصيته لولده

المطلب الأول: الأسس البيانية.

المطلب الثاني: الأسس العلمية لمنهج ابن الجوزي في وصيته لولده.

المطلب الثالث: الأساليب الدعوية لابن الجوزي في وصيته

الخاتمة.

الفهارس:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد: مفهوم الوصية

أولاً: مفهوم الوصية لغة واصطلاحاً:

الوَصِيَّةُ تطلق لغة ويراد بها معنيان :العهد، والوصل والاتصال.

قال ابن منظور: (أوصى الرجل ووصاه عهد إليه)، فالوَصِيَّةُ ما يُوصى به، أو ما أوصَيْتَ به، وجمعها وَصَايا[1]وأصلها: وَصَيْتُ. ووَصَيْتُ الشّيء بالشّيء أَصِيْه من باب وَعَدَ: وَصَلْتُه[2]، قال أبو عبيد وصيت الشيء ووصلته سواء[3].وصّى إليه وله بشيءٍ: جعله له، ووصّى فلانا وإليه: عهِد إليه، ووصّى فلانا جعله وصيَّه يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته، ووصّى بالشيء فلانا: أمره به وفرضه عليه، يقال وصّى الله الناس بكذا وكذا[4]، وأَوْصَيْتُ إليه بمال جعلته له، وأَوْصَيْتُهُ بولده استعطفته عليه وهذا لمعنى لا يقتضي الإيجاب[5] وأوصى فلاناً إليه: جعله وصيه يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته وعهد إليه، وأوصى إليه وله بشيء: جعله له، وأوصى به فلانا: استعطفه عليه،وأوصى فلانا بالشيء أمره به وفرضه عليه يقال أوصى الله الناس بكذا وكذا[6],أَوْصى الرجلَ ووَصَّاه عَهِدَ إليه.[7].

ثانياً: تعريف الوصيّة في الشرع.

تطلق الوصيّة في الشرع، ويراد بها عموما أحدُ معنيين؛ خاصٌ، وعام.

- فأما على المعنى الخاص: فتُعرّف بأنها "عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت"[8]

---

(١) لسان العرب ٢٥٢٥/٢، ٣٩٤/١٥,و المعجم الوسيط ١٠٠/٢، وتاج العروس ٨٦٤٨/١.

(٢) المصباح المنير ٦٦٢/٢.

(٣) تاج العروس ٨٦٤٨/١.

(٤) المعجم الوسيط ١٠٠/٢.

(٥) المصباح المنير ٦٦٢/٢.

(٦) المعجم الوسيط ١٠٠/٢.

(٧) لسان العرب ٣٩٤/١٥.

(٨) نيل الأوطار ٢٥٣/١١.

أو "الأمر بالتصرف بعد الموت والوصية بالمال هي التبرع به بعد الموت"[1]

كأن يقول: إذا متّ فأعطوا فلانا من مالي كذا، أو أعطوا فلانا قطعة من أرض قدرها كذا. وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[2].

وقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[3].

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "ماحقُّ امرئٍ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصيَ فيه إلا ووصيَّته مكتوبة عند رأسه"[4]، وقوله: "إنا لله أعطى كالذي حق حقه فلا وصية لوارث"[5].

---

(١) العدّة شرح العمدة ٢/٥٥.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠.

(٣) سورة النساء آية ١٢

(٤) متفق عليه رواه البخاري باب الوصايا رقم الحديث ٢٧٣٨، ومسلم باب الوصية بالثلث رقم الحديث ١٦٢٧.

(٥) رواه الترمذي باب ما جاء لا وصية لوارث رقم الحديث ٢٠٤٧ وابن ماجه باب لا وصية لوارث رقم الحديث ٢٧١٢.

● وأمّا على المعنى العامّ: فتُعَرَّف بأنّها "العهد بالشيء على وجه الاهتمام"[1].

كما جاء في تفسير القرطبي: "الوصيّة الأمر المؤكّد المقرّر" [2].

وعرفها الحافظ ابن حجر فقال: "ما يقع به الزّجر عن المنهيّات والحثّ على المأمورات"[3].

ثالثا: تعريف الوصية في الاصطلاح:

عرفت الوصية في الاصطلاح بتعاريف عدّة منها:

عرّفها الرّاغب -رحمه الله- بقوله: " الْوَصِيَّةُ التَّقَدُّمُ إِلَى الْغَيْرِ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ" [4].

وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [5].

وعرّفها الألوسي -رحمه الله- بقوله: "هي التقدّم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة، سواء كان ذلك حالة الاحتضار أو لا، وسواء كان ذلك التقدّم بالقول أو بالدلالة"[6].وقيل: "هي نوع من الأدب، غايته التوجيه والإرشاد، والحثّ على اكتساب المحامد، أو التبصير بحسن السياسة، أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق"[7].

---

(١) انظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد ٣٩/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٤/٧.

(٣) فتح الباري ٤١٩/٥.

(٤) نقلا عن تفسير المنار ٣٣٢/٤.

(٥) سورة البقرة آية ١٣٢.

(٦) روح المعاني ٣٨٩/١.

(٧) وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة نقدية، لروناك توفيق ص ١٤.

فهذه التعاريف متقاربة، تبين أسس الوصية؛ حيث تقوم على التوجيه والإرشاد، لما فيه صلاح العبد، مقرونة بالوعظ والترغيب والترهيب.

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بمصطلح الوصية:

١- الموعظة:

الموعظة في اللغة تأتي بمعنى: التذكير، والتخويف، والإنذار، والنصح، والوعظ المقرون بالتخويف، والتذكير بعواقب الأمور(١).

وفي الشرع: قال ابن القيم -رحمه الله-: "الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة" (٢)، وقال القرطبي -رحمه الله-: «الموعظة الحسنة هي: الدعوة إلى الله عز وجل بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف»(٣).

الفرق بين الموعظة والوصية :أنهما يتفقان من حيث إن كلاهما أسلوب يهدف إلى إيصال الخير للغير والتوجيه والإرشاد ويختلفان من حيث إن الوعظ خاص بترقيق القلوب وتهيئتها لقبول الحق، أما الوصية فهي الخير المراد إيصاله. ومنه جاء قول العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إنّ هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ)(٤).

---

(١) معجم مقايس اللغة ١٢٦/٦ لسان العرب ٤٦٦/٧ كتاب العين للفراهيدي ٢٢٨/٢

(٢) مفتاح دار السعادة١٥٨/١ .

(٣) جامع الأحكام٢٠٠/١٠ .

(٤) رواه الترمذي في الجامع باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع،حديث٢٦٧٦وقال: حديث حسن صحيح ج١ص١٥-١٦وابن ماجة في سننه المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين حديث ٤٢و٤٣. وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ج٨ص١٠٧-١٠٩ برقم ٢٤٥٥.

٢- الإنذار:

الإنذار لغة: هو التخويف، والإعلام، والتحذير، والإبلاغ [١]

أما اصطلاحاً: فقد عرّفه المناويّ بقوله: "الإنذار: هو الإعلام بما يحذر، ولا يكاد يكون إلّا في تخويف يسع زمانه الاحتراز (منه)، فإن لم يسع كان إشعارا"[٢].

وقال الكفويّ -رحمه الله-: "الإنذار: هو إبلاغ الأمر المخوف منه، والتّهديد (به)، والتّخويف منه، قال: وذكر الوعيد مع الإنذار واجب لا مع التّهديد[٣].

الفرق بين الإنذار والوصية: أن الإنذار لا يكون إلا منك لغيرك. وتكون الوصية منك لنفسك ولغيرك؛ تقول أوصيت نفسي كما تقول أوصيت غيري. ولا تقول أنذرت نفسي، ومنه قول الخطيب أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وهي من أركان الخطبة كما بين ذلك الإمام النووي -رحمه الله-[٤].

والإنذار لا يكون إلا بالزجر عن القبيح وما يعتقدُ المنذرُ قبحه؛ والوصية تكون بالحسن والقبيح لأنه يجوز أن يوصي الرجلُ الرجلَ بفعل القبيح، كما يوصي بفعل الحسن، ولا يجوز أن ينذره إلا فيما هو قبيح، وقيل النذارة نقيضة البشارة وليست الوصية نقيضة البشارة[٥]

٣- النّصيحة:

النصح في اللغة مشتقٌ من: نصح، ينصح، نصحا، ونصيحة[٦].

قال ابن فارس: النون والصاد والحاء أصل يدل على ملائمة بين شيئين، وإصلاح لهما"[٧].

---

(١) لسان العرب ٥/٢٠٠وتاج العروس ١٤/٢٠١.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٦٤.

(٣) الكليات للكفوي ١/ ٣٣٨.

(٤) انظر المجموع ٤ / ٣٤٩ .

(٥) معجم الفروق اللغوية للعسكري ص ٥٢.

(٦) لسان العربج٢ ص٦١٥.

(٧) معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٣٤٨.

والناصِحُ: الخالص من العسل وغيره، مثل الناصع. وكلُّ شيء خَلَصَ فقد نَصَح. وانْتَصَحَ فلانٌ: أي قبل النصيحة، ومنه التوبة النَصوح، وهي الصادقة[1].فمدار النصح في اللغة على الإخلاص والصدق.

أما في الاصطلاح: قال القرطبي -رحمه الله-: (النصح هو: خلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش)[2].

وقال النووي -رحمه الله-: (النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبه الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلال الثوب.

قال: وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبه والتخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط)[3].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: "النصيحة كلمة جامعة تتضمّن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً"[4].

الفرق بين النصيحة والوصية:

بين النصيحة والوصية تقارب في المعنى، فجميعها يراعى فيه إرادة الخير للمنصوح أو الموصى ودعاؤه إلى ما فيه صلاحه، بيد أنّ النّصيحة يراعى فيها قيد الإخلاص وضدّها الغشّ، أمّا الوصيّة فيراعى فيها المحبّة والتّأكيد ومزيد الاهتمام، وكلاهما يقتضي طرفين أحدهما معطٍ والآخرُ متلقّ فالمعطي هو النّاصح أو الموصي، أمّا المتلقّي فهو المنصوح أو الموصى، أمّا في التّواصي فإنّ كلا الطرفين معط ومتلقّ في آن واحد، لأنّه يوصي غيره ويوصيه غيره في حال حياتهما[5].

---

(١) الصحاح ج٢ ص٢١١.

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ج٧ ص٢٣٤

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ج٢ص٣٧ .

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ص ٧٦.

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- ٣٤٨٩/٨.

خامساً: أهمية وصية الأولاد

كما أن للوالدين على الأولاد حقاً فكذلك على الوالدين حق للأولاد، وكما أن الله عز وجل أمرنا ببر الوالدين أمرنا كذلك بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم هو من أداء لأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غش وخيانة. وتكمن أهمية وصية الأولاد فيما يلي :

١- أنها منهج الأنبياء مع أولادهم عليهم الصلاة والسلام فهذا إبراهيم، ويعقوب عليهما السلام يوصيا أبناءهما. ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[1] وقوله تعالى في يعقوب -عليه السلام-حين أوصى بنيه عند موته بقوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[2].

٢- أنها اقتداء بالصالحين والعلماء، فقد وصى لقمان الحكيم عليه السلام ابنه، ووصى الصحابة أولادهم، وكذلك التابعين ومن سار على هذا النهج إلى يوم الدين[3]، وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهدي السلف الصالحين، قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٣ .

(٣) من وصايا السلف لأبنائهم والتي حفظتها كتب التراجم والتواريخ:

١-فمن الصحابة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن وقاص، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، ومعاذ بن جبل، وعمير بن حبيب، وعقبة بن عامر، وعدي بن الخيار }.

٢- ومن التابعين ومن تبعهم: زين العابدين، وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وطاووس بن كيسان، وعمر بن عبد العزيز، ووهب بن منبه، وأكثم بن صيفي، وخالد بن صفوان، وعيينة بن أبي عمران، وعلقمة العطاردي، وأبو الأسود الدؤلي، وأسماء بن خارجة، والأشعث بن قيس، وصية وأبو الوليد الباجي (رحمهم الله أجمعين) .انظر هذه الوصايا في كتاب: من وصايا الآباء للأبناء، لوائل بن حافظ بن خلف.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (١).

٣- أن الوصايا نوع من أنواع التأديب والتربية القائم على النصح والإرشاد، وهو واجب شرعي على كل من تولى رعاية، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة)(٢).

وذكر ابن القيم -رحمه الله-: "قال بعض أهل العلم إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده فإنه كما أن للأب على ابنه حقا فللابن على أبيه حق فكما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٤). .أي علموهم وأدبوهم... فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم)(٥).

٤- أنها أداء لواجب الشكر لله عز وجل على نعمة الولد، وتعاهد بما يكون سبباً في نماء هذه النعمة وصلاحها، فإن لم يتعاهدها بالنصح والتوجيه فإنها تنقلب عليه نقمة، ويصير الولد عدوا.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فمن أهم لتعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم و لم

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٢) رواه البخاري باب من استرعي رعية فلم ينصح رقم الحديث٦٦١٧.

(٣) سورة لقمان آية ٨ .

(٤) سورة التحريم آية ٦.

(٥) تحفة المولود بأحكام المولود ص٢٢٩.

ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا)[1].

وقد دأب العلماء في شكر هذه النعمة وكتابة الوصايا للأبناء، ومن ذلك ما كتبه عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى ابنه عبد الملك عندما كان في المدينة بوصية قال فيها: (أما بعد. . فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت، وإن أحق من وعى ذلك وحفظه عني أنت. إن الله له الحمد قد أحسن إلينا إحسانا كبيرا بالغا في لطيف أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما غير من النعمة، وإياه نسأل العون على شكرها. فاذكر فضل الله عليك وعلى أبيك)[2].

وقد صرح ابن المقفع بأن واجب الشكر هو الوصية للابن حيث قال: (أي بني لما بشرني المولى تعالى بوجودك، ومن علي بعطائك،وقد أبلغك إلي هذه السنن والحد والرتبة بأن صرت مستعدا لقبول الآداب وقابلا لعدة الفضل، فقد وجب علي أن أُودي شكرا للخالق عز وجل على هذه الموهبة الهنية والعطية السنية، وبمقتضى قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]، أطلب بأداء الشكر مزيد الاستماع والانتفاع ببقائك)[4]

٥- أن في الوصية للأبناء سبيل للانتفاع بهم بعد موت العبد، لذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة: إلاّ من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[5].

فمن أحسن تربية ابنه ووجهه ونصحه وأوصاه فإنه سيكون له وبإذن الله عمل صالح يجري له بعد موته.

---

(١) المرجع السابق ص٢٢٩

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) سورة إبراهيم آية٧

(٤) الأدب الوجيز للولد الصغير لابن المقفعص٣

(٥) رواه مسلم باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد الوفاة رقم الحديث ١٢٩٧.

٦- أن نصح الولد علامة لحب الوالد له، ودليل على إيثاره والإشفاق عليه والرحمة به، وإرشاده إلى ما يسعده في الدنيا والآخرة.

٧- أن بعض الأسر تميزت بالعلم والشرف والسؤدد فتريد أن يستمر ذلك في نسلها جيلا بعد جيل فيحرصون على تعليم الأبناء ما ينفعهم، ويجعلهم خير خلف لخير سلف، قال الألوسي -رحمه الله-: (تواصي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة والشرع المستقيم نسلا بعد نسل)[1].

ومن ذلك وصية الباجي -رحمه الله- لولديه: (وأعلما أننا أهل بيت لم نخلُ بفضل الله ما انتهى إلينا منه من صلاح وتدين وعفاف وتصادق)[2]، فأهل العلم والشرف ما فعلوا ذلك إلا ليستمر الفضل والشرف في أعقابهم بفضل الله ثم بفعل الأسباب مثل الوصية.

٨- للوصيّة الصّادقة تأثير بالغ في النّفس وهي دافع قويّ لتنفيذ الموصى به.

٩- الوصيّة وسيلة من وسائل التّقوى والتّذكّر والتّعقّل، وهي من أعظم الأساليب التربوية والتقويمية.

١٠- من الحكمة في تشريع الوصية أنها تبرأ بها ذمة الموصي مما يحدث بعد موته وبخاصة إذا كان في أماكن يكثر فيها الجهل بعقيدة التوحيد، وتنتشر فيها البدع والمخالفات.

سادساً: دليل مشروعية الوصية:

جاءت نصوص الكتاب والسنة، على مشروعية الوصية عامة - سواء الوصية المالية أو الوصية التأديبية الوعظية - وعلى مشروعيتها انعقد إجماع الأمة "ولن أستطرد فيها لشهرتها" .

---

(١) روح المعاني للألوسي ١/٣٨٩.

(٢) وصية الباجي لولديه ص٣٦.

أما دليل الكتاب: في قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (٢).

وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٤).

وأما دليل مشروعيتها من السنة: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول ذلك إلا وعندي وصيتي)(٥).

أما عن الإجماع: فقد نقل ابن قدامة في المغني الإجماع على جواز الوصية حيث قال: (وأجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصية) (٦).

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٠.

(٢) سورة النساء آية ١١.

(٣) سورة المائدة آية ١٠٦.

(٤) البقرة آية ١٣٢.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري باب الوصايا ٢٥٣٣ ، مسلم باب الوصية بالثلث رقم الحديث ٣٠٤٧.

(٦) المغني ٨/٣٩٠.

نص وصية ابن الجوزي لابنه[1]:" وعليها مدار البحث".

(١) وابن الجوزي اسمه: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق-خليفة رسول الله القرشي التيمي البكري ثم البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف المشهورة، كنيته: أبو الفرج، لقبه: لقب بجمال الدين، غير أنه اشتهر بابن الجوزي نسبة إلى جده الأكبر (جعفر بن عبد الله) وهو الجد التاسع فهو الذي لقب بالجوزي، واختلف المؤرخون في سبب نسبة ابن الجوزي: فمنهم من قال: إن جده جعفراً نسب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها: جوزة وقيل: إن جده جعفراً نسب إلى محلة تسمى محلة الجوز، وقيل غير ذلك. ولد ابن الجوزي بدرب حبيب ببغداد. واختلف في تاريخ ولادته فقيل: سنة ٥٠٠هـ، وقيل: سنة ٥٠٩هـ، وقيل: سنة ٥١٠هـ.نشأ على حب العلم فيقول -رحمه الله-: "فأقول عن نفسي وما يلزمني حال غيري: أنني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبب إلي فن واحد منه، بل فنونه، ثم لم تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه...".حتى تجاوزت مؤلفاته (١٠٠٠) مؤلفا كما قال ابن تيميه -رحمه الله-، توفي ليلة الجمعة بعد المغرب في الثانية عشر من شهر رمضان المبارك سنة سبع وتسعين وخمسمائة (٥٩٧هـ) بالجانب الغربي من مدينة السلام، بدار له قريبة من قبر معروف الكرخي انظر: طبقات المفسرين ٢٧٦/١.ورحلة ابن جبير ص ١٩٦.وتذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤.وذيل طبقات الحنابلة ٤٠٠/١، الأنساب ٣٦٦/٣.وشذرات الذهب ٣٣٠/٤.وذيل طبقات الحنابلة ٤٠٠/١، وفيات الأعيان ١٤٢/٣.وصيد الخاطر (ص٧٦- ٧٧) .، وابنه هو بدر الدين أبو القاسم علي ابن الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن علي بن محمد بن علي الجوزي، ولد في رمضان عام ٥٥١هـ "انظر سير الأعلام ج ٢٢/ص٣٥٢، عرف عنه طلب العلم الشرعي، وهو صحيح السماع ثقة كثير المحفوظ حسن الإيراد صاحب دعابة وطرفة "انظر سير أعلام النبلاء ج٢٢ص٣٥٣، والسبب في نصح ابن الجوزي ابنه أن بدر الدين قد ترك الوعظ وطلب العلم وانتكس على عقبه، ولزم البطالة واشتغل فيما لا يجوز بل كان يسرق من كتب أبيه، وقد قيل أن أباه كان يدعوا عليه، قال ابن النجار "سمعت أباه يقول إني لأدعو عليه كل ليلة وقت السحر "أ.هـ، وهذا قبل ان يُرزق ابن الجوزي بأخيه يوسف محي الدين عام ٥٨٠هـ وكان بارا بأبيه و عالما، قال عنه ابن السباعي: " وهو من العلماء الأفاضل، والكبراء الأماثل، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل. ظهرت عليه آثار العناية الإلهية، منذ كان طفلاً. فعنى به والده. وأسمعه الحديث، ودربه من صغره في الوعظ، وبورك له في ذلك. وصار له قبول تام، وبانت عليه آثار السعادة. "انظر ذيل طبقات الحنابلة ج١ص٢٨٧,والعجيب في الأمر ان هذا الابن أقصد بدر لم يستفد من هذه النصيحة بل استفاد منها أخو يوسف.

الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضّد العشائرَ بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب، أحسنَ التربيةَ في الصغر وحفظ في الشباب، ورزقنا ذريةً نرجو بهم وفورَ الثواب ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[1] أما بعد. .

فإني لما عرفتُ شرفَ النكاح وفضلَ الأولاد، ختمتُ ختمةً وسألتُ الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم فكانوا خمسةً ذكورًا وخمسةً إناثًا، فمات من الإناث اثنتان ومن الذكور أربعة، ولم يبق لي من الذكور سوى ولدي أبي القاسم، فسألتُ اللهَ تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلّغني فيه المنى والمناجح. ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجد في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالة أحثه بها على طلب العلم وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم، وأدله على الالتجاء إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفّق ولا مرشدَ لمن أضلّ، لكنْ قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[3].ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل في فضل العقل ومسؤولية التكليف والحث على طلب الفضائل:

اعلم يا بني – وفقك الله للصواب – أنه لم يميَّزِ الآدميُ بالعقلِ إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعملْ فكرَك، واخلُ بنفسك، تعلمْ بالدليل أنك مخلوق مكلف وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله، ومقدارَ اللبث في الدنيا

(١) سورة إبراهيم آية ٤٠/٤١.

(٢) سورة العصر آية ٣.

(٣) سورة الأعلى آية ٩

قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟ قد رحلَتْ وأبقَت ندمـًا، وأين شهوة النفس؟ نكّسَت رأسًا وأزلّت قدمـًا. وما سعد مَن سعد إلا بمخالفة هواه، ولا شقي مَن شقي إلا بإيثار دنياه، فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد، أين لذةُ هؤلاء وأين تعبُ أولئك؟ بقي الثواب الجزيل والذكرُ الجميلُ للصالحين، والمقالةُ القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما شبع مَن شبِع، ولا جاع مَن جاع. والكسلُ عن الفضائل بئس الرفيق، وحبُ الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة، فانتبه وأتعبْ نفسَك، واعلم أن أداء الفرائض واجتنابَ المحارم لازم، فمتى تعدّى الإنسانُ فالنار النار. ثم اعلم أن طلبَ الفضائل نهايةُ مرادِ المجتهدين، ثم الفضائلُ تتفاوت، فمن الناس مَن يرى الفضائلَ الزهدَ في الدنيا، ومنهم مَن يراها التشاغلَ بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفضائلُ الكاملةُ إلا الجمعُ بين العلم والعمل، فإذا حُصِّلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحرّكاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كلُ مريدٍ مرادًا، ولا كلُ طالبٍ واجدًا، ولكن على العبد الاجتهاد، وكلٌ ميسَّرٌ لما خُلق له[1]، والله المستعان.

الواجبات والفضائل والهمة العالية:

وأول ما ينبغي النظر فيه معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلومٌ أن من رأى السماء مرفوعة والأرضَ موضوعةً، وشاهدَ الأبنية المحكمة، خصوصًا جسدَ نفسه، علِمَ أن لا بد حينئذ للصَنعة من صانعٍ، وللمبني من بانٍ. ثم يتأمل دليل صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- إليه، وأكبرَ الدلائل القرءانَ الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا ثبت عنده وجودُ الخالق وصدقُ الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وجب تسليمُ عِنانه إلى الشرع، فمتى لم يفعل دل على خللٍ في اعتقاده. ثم ينبغي له

(١) إشارة إلى حديث صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخرجه البخاري باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله رقم ١٣٦٢.

أن يعرف ما يجب عليه من الوضوء والصلاة، والزكاة إن كان له مال، والحج، وغير ذلك من الواجبات، فإذا عرف قدرَ الواجب وقام به فينبغي لذي الهمة أن يترقى إلى الفضائل، فيتشاغلَ بحفظ القرءان وتفسيره، وبحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبمعرفة سِيَرِه وسِيَر أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخيّر مرتبةَ الأعلى فالأعلى. ولا بد من معرفة ما يقيمُ به لسانَه من النحو ومعرفةِ طرفٍ من اللغة مستعمَلٍ والفقهُ أمُ العلوم، والوعظُ حَلواؤها وأعمها نفعًا. وقد رتبتُ في هذه المذكورات وغيرِها من التصانيف ما يغني عن كل ما سبق من تصانيف القدماء وغيرِها، بحمد الله ومنته [1]، فأغنيتُك عن تطلّبِ الكتب، وجمْعِ الهِمَمِ للتصنيف. وما تقف همةٌ إلا لخساستها، وإلا فمتى علتِ الهمةُ لم تقنع بدون. وقد عرفتُ بالدليل أن الهمةَ مولودةٌ معَ الآدمي، وإنما تقصُرُ بعضُ الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثَّتْ سارت. ومتى رأيتَ في نفسك عجزًا فسلِ المنعِمَ، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيرًا إلا بطاعته، ولا يفوتُك خيرٌ إلا بمعصيته، ومَنِ الذي أقبلَ عليه فلم يرَ كلَّ مرادٍ لديه ؟ ومَن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه؟ أوما سمعتَ قول الشاعر[2]:

بالليل ما جئتُكم زائرًا إلا رأيتُ الأرض تُطوى لي
ولا ثنيتُ العزمَ عن بابكم إلا تعثّرْتُ بأذيالي

فصل واتقوا الله ويعلمكم الله :

وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمَّح كيف حِفظُكَ لها؟ فإنه من راعى رُوعي، ومن أهملَ تُرِك، وإني لأذكر لك بعضَ أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي،

---

(١) قال الحافظ الذهبي -رحمه الله-: "وما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل" التذكرة ص١٣٤٤.

(٢) هذه الابيات منسوبة للمرتضي والد الإمام ابي الفضل محمد بن عبد الله الشافعي مع تغير بسيط في سير أعلام النبلاء ٢١/٥٨.

وتسألَ الموفقَ لي. إن أكثر الإنعام عليّ لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همةٌ عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رُزِقتُ عقلاً وافرًا في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ معَ صبيٍ قط، ولا ضحِكتُ ضحكًا جارحًا، حتى إني كنتُ ولي سبعُ سنين أو نحوُها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخيّرُ حلقةَ مشعبذٍ، بل أطلب المحدّث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه. ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر -رحمه الله-، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعني " المسندَ " وغيرَه من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل. ولقد كان الصبيان ينزلون دِجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر ءاخذ جزءًا، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرِّقة فأتشاغلُ بالعلم. ثم أُلهِمتُ الزهدَ، فسردتُ الصوم وتشاغلت بالتقلل وألزمتُ نفسي صبرَها، فاستمرأتُ وشمّرت ولازمت، وأحببتُ السهر، ولم أقنع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتّبع الزهاد. ثم قرأت اللغة ولم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريبًا يقدُمُ إلا وأحضره وأتخيّر الفضائل. وكنت إذا عرض لي أمران أقدّم في أغلب الأحوال حقَ الحق، فأحسن اللهُ تدبيري وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني، وهيأ لي أسباب العلم، وبعث إلي الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهمَ وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، ولم يُعْوِزني شيئًا من الدنيا، بل ساق إلي مقدارَ الكفاية وأزيَد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته. وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جُمّةٍ.

مما يتعاناه الجهال، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع

نفسي من العَدْوِ لئلا أُسبَق، وكنت أصبح وليس لي ما آكل، وأمسي وليس لي شيء، وما أذلني الله لمخلوق، ولكنه ساق رزقي لصيانة عِرضي، ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرح، وها أنا، ترى ما قد آلت الحال إليه، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]

فصل حفظ الأوقات واغتنام اللحظات:

فانتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين، ما دام في الوقت سَعةٌ، واسقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبَتْ لذةُ الكسل فيها، وفاتت مراتبُ الفضائل، وقد كان السلف رحمهم الله يحبون جمعَ كل فضيلة، ويبكون على فوات واحدة منها. قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي ؟ فقال: ما اغبرّتا في سبيل الله تعالى ؛ وبكى ءاخر فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبَت ما قمتها. واعلم يا بني أن الأيام تبسُطُ ساعاتٍ، والساعاتُ تبسُط أنفاسًا، وكلُ نفَسٍ خزانة، فاحذر أن تـُذهِبَ نفسًا في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة فتندم.

وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمُك ! فقال: أمسِكِ الشمسَ وقعد قومٌ عند معروف الكرخي -رحمه الله-، فقال: أما تريدون أن تقوموا، فإن ملَكَ الشمس يجرُّها لا يفتُر. وفي الحديث: " من قال سبحان الله وبحمده غُرسَت له نخلةٌ في الجنة"[2].

فانظر إلى مضيِّعِ الساعات كم يفوته من النخل. وقد كان السلف يغتنمون

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه باب الاذكار رقم الحديث ٨٢٦,وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم.

اللحظات، فكان كَهْمَسُ بن الحسن التميمي يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانت رابعةُ لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعَتْ هجعةً خفيفة وقامت فزِعَةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل.

فصل تُشترى هذه الحياة الابدية:

ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجَد، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة، وعلِم أن اللُبثَ في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا ـــ فرضنا ستين سنة مثلاً ـــ فإنه يَمضي منها ثلاثون في النوم، ونحوٌ من خمس عشر في الصبا، فإذا حسبتَ الباقي، كان أكثرُه في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيرًا، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات ؟!

فصل الانتباه بعد الغفلة:

ولا يؤيسك يا بني من الخير ما مضى من التفريط، فإنه قد انتبه خلق كثير بعد الغفلة والرقاد الطويل، فقد حدثني الشيخ أبو حكيم عن قاضي القضاة أبي الحسن [علي بن محمد] الدامَغاني -رحمه الله-، قال: كنتُ في صبوتي متشاغلاً بالبطالة غيرَ ملتفت إلى العلم، فأحضرني أبو عبد الله [محمد بن علي الدامغاني] -رحمه الله-، وقال لي: يا بني إني لست أبقى لك أبدًا، فخذ عشرين دينارًا وافتح دكانَ خبازٍ وتكسَّبْ ! فقلتُ: ما هذا الكلام؟! قال: فافتح دكان بزّاز ! فقلت: تقول هذا وأنا ابن قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني ! قال: فما أراك تحب العلم ! فقلت: اذكر لي الدرسَ الساعة، فذكر لي، فأقبلتُ على التشاغل بالعلم واجتهدتُ ففتح الله علي. وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد [عبدِ الرحمن بن محمد] الحلواني -رحمه الله-، قال: مات أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، وكنتُ موصوفًا بالبطالة، فأتيتُ أتقاضى بعضَ سكان دارٍ قد ورثتُها، فسمعتهم يقولون: قد جاء المدبَّرُ - أي

الربيط – فقلت لنفسي: يقال عني هذا ! فجئت إلى والدتي فقلت: إذا أردتِ طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب، ولازمتهُ فما خرجتُ إلا إلى القضاء، فصرتُ قاضيًا مدة. قلت: ورأيته أنا وهو يفتي ويناظر.

فصل منهج تربوي في اليوم والليلة:

فألزِم نفسَك يا بني الانتباهَ عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيءٍ من أمور الدنيا.

وقل عند انتباهك من النوم: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرءوف رحيم"(١)، ثم قم إلى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعًا، وقل في طريقك: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبمشاي هذا إليك، إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعة، خرجتُ اتقاءَ سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تجيرني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت "(٢).

واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " عشر مرات، ثم سبّح عشرًا، واحمد عشرًا، وكبّر عشرًا (٣)، واقرأ آية الكرسي وسلِ اللهَ سبحانه قبول الصلاة، فإن صح لك فاجلس ذاكرًا لله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ثم صل واركع ما كتب لك وإن كان ثمانِ ركعات فهو حسن (٤).

فصل العلم أفضل من كل نافلة :

ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها تصحيح قراءة القرءان، ثم الفقه، فإذا

---

(١) هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٨٢/١.

(٢) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة٦٠/١. وفي الادب المفرد ص٤١٦

(٣) الادب المفرد ص٤١٦.

(٤) إشارة لحديث أم هاني في عام الفتح أنه صلى الضحى ثمان ركعات وهو حديث متفق عليه رواه البخاري برقم ١١٧٦ ومسلم ٣٣٦.

أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلّ الضحى ثماني ركعات، ثم تشاغل بمطالعةٍ أو بنسخٍ إلى وقت العصر. ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب، وصل بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جزئين، فإذا صليت العشاء فعد إلى دروسك[1]. ثم اضطجع فسبح ثلاثًا وثلاثين، واحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبر أربعًا وثلاثين. وقل: " اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادَك "[2].وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى الوضوء، وصل في ظلام الليل ما أمكن، والتوسطُ أن تصلي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزئين من القرآن، ثم تعود إلى دروس العلم، فإن العلم أفضل من كل نافلة.

فصل الحذر من الآفات والعوائق:

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب، والنظرَ في سِيَر السلف، ولا تشتغل بعلمٍ حتى تُحكِم ما قبله، وتلمّح سِيَرَ الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر في ذلك:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمامِ

واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورةً تُستَحسَن، وكان عطاءُ بن أبي رباح -رحمه الله- أسودَ اللون ومستوحَشَ الخِلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولداه، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدّثهم وهو معرضٌ عنهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه: " قوما ولا تَنيَا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين

---

(١) والناس في هذا يختلفون كل بحسب مراده وتوجهه، قال المقدسي في منهاج القاصدين "واعلم أن السالك لطريق الآخرة لا يخلو من ستة أحوال : إما أن يكون عابداً، أو عالماً، أو متعلماً، أو والياً، أو محترفاً، أو مستغرقا بمحبة الله عز وجل مشغولاً به عن غيره) مختصر منهاج القاصدين"ص٧٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم ٣٦٠٦

يدَي هذا العبد الأسود "[1].

وكان الحسن البصري -رحمه الله- مولى - أي مملوكاً - وابن سيرين ومكحولٌ وخلق كثير، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى.

فصل العفة عما في أيدي الناس:

واجتهد يا بني في صيانة عِرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها، واقنع تَعِزّ، فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد. وجاز أعرابي بالبصرة فقال: من سيد هذه البلدة ؟ فقيل له: الحسن البصري، قال: وبم سادهم ؟ قالوا: استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه[2]. واعلم يا بني أن أبي كان موسرًا وخلّف ألوفًا من المال، وكان أبوك طفلاً، فأُنفِق عليه من ذلك المال إلى أن بلغ، ولم يرَ بعد بلوغه سوى دارَين، كان يسكن واحدة ويأخذ أجرة الأخرى، ثم أُعطي نحو عشرين دينارًا، وقيل له: هذه التركة كلها، فأخذتُ الدنانير واشتريت بها كتبًا من كتب العلم، وبعت الدارين وأنفقتُ ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيء من المال، وما ذلّ أبوك في طلب الدنيا كذل غيره، ولا خرج يطوف البلدان كغيره من الوُعَاظ، ولا رأى أكابرُ البلدان رِقاعَه عندهم يستعطيهم، وأمورُه تجري على السداد ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[3].

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي١/٣١ وبوب عليه بقوله" ذكر من ارتفع من العبيد حتى جلس مجالس الملوك".

(٢) روى القصة ابن رجب في كتابة جامع العلوم والحكم ص١٥٤.

(٣) سورة الطلاق آية ٢/٣

فصل متى صحت التقوى رأيت كل الخير:

يا بني ! ومتى صحت التقوى رأيتَ كل خير، فالمتقي لا يرائي الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومَن حفظَ حدودَ الله حُفظ. قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنه-: "احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ أمامَك"(١). واعلم يا بني أن يونس -عليه السلام- لما كانت ذخيرته خيرًا نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (٢).

وأن فرعون لما لم تكن له ذخيرةُ خيرٍ لم يجد في شدته مَخلَصًا، فقيل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ (٣) فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى تجدْ تأثيرَها.

وقد جاء في الحديث: "ما من شابٍ اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كِبَرِه(٤).

"قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٥). واعلم يا بني أن أوفى الذخائر غضُ الطرف عن محرَّمٍ، وإمساكُ اللسان عن فضول كلمة، ومراعاةُ حدٍّ، وإيثارُ الله سبحانه وتعالى على هوى النفس، قد عرفتَ حديثَ الثلاثة الذين دخلوا إلى غارٍ فانطبقت عليهم صخرة، فقال أحدهم: اللهم

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم : ٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده رقم: ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرك رقم: ٦٣٠٤.

(٢) سورة الصافات آية ١٤٣/١٤٤.

(٣) سورة يونس آية ٩١

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ١٣٩/٤ بنحوه.

(٥) سورة يوسف آية٢٢.

إنه كان لي أبوان وأولاد فكنت أقف بالحليب على أبويّ فأسقيهما قبل أولادي، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرِج عنا ؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرتُ أجيرًا فتسخَّطَ أجرَه، فاتَّجَرتُ له به فجاء يومًا فقال: ألا تخاف الله ؟! فقلت: انطلق إلى تلك البقر ورعاتها فخذها، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرِج عنا ؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني علِقتُ ببنت عمٍ لي، فلما دنوتُ منها قالت: اتق الله ولا تفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت فعلت لأجلك فافرِج عنا ؛ فرُفعَت الصخرة وخرجوا "[1].

ورؤي سفيان الثوري -رحمه الله- في المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بك ؟ قال: ما كان إلا أن وُضِعتُ في اللحد فإذا أنا بين يدي رب العالمين، فأُمِرَ بي إلى الجنة، فدخلتُ فإذا أنا بقائلٍ يقول: سفيان ؟ قلت: سفيان، قال: تذكرُ يومَ آثرتَ الله تعالى على هواك ؟ قلت: نعم ! فأخذَتني صواني النثارِ من الجنة.

فصل من سير السلف الصالح:

وينبغي أن تسمو همتك إلى الكمال، فإن خلْقًا وقفوا مع الزهد، وخلْقًا تشاغلوا بالعلم، وندر أقوامٌ جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل. واعلم أني قد تصفحتُ التابعين ومَن بعدَهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس: سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل ؛ وقد كانوا رجالاً إنما كانت لهم همٌ ضعُفَت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثير لهم همم عالية، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب " صفة الصفوة "، وإن شئت " أخبار سعيد " و " أخبار سفيان " و " أخبار أحمد بن حنبل "، فقد جمعتُ لكل واحدٍ منهم كتابًا.

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في باب من استأجر أجيرا فترك أجره .. رقم الحديث ٢٢٧٢، ومسلم باب قصة أصحاب الغار الثلاثة رقم الحديث ٢٧٤٣.

فصل الحفظ رأس مالك:

وقد علمتَ يا بني أنني قد صنفتُ مائة كتاب[1]، فمنها " التفسير الكبير " عشرون مجلدًا، و " التاريخ " عشرون مجلدًا، و " تهذيب المسند " عشرون مجلدًا، وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمسَ مجلدات، ومجلدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر ؛ كفيتُك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف. فعليك بالحفظ، فإن الحفظَ رأسُ المال والتصرفَ رِبحٌ، واصدُقْ في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراعِ حدودَه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[2] ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[3] ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[4].

فصل العلم والعمل متلازمان:

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به، فإن الداخلين على الأمراء والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العمل بالعلم، فمُنعوا البركةَ والنفعَ به. وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم، فإن خلقًا من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم. واستر نفسك بثوبين جميلين، لا يُشهِرانكَ بين أهل الدنيا برِفعتهما، ولا بين المتزهدين بضِعَتهما، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة، فإنك مسؤول عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفعُ السامعون، ومتى لم يعملِ الواعظُ بعلمه زلَّتْ موعظتُه عن القلوب كما يزلُّ الماءُ

---

(١) لعل هذه الوصية كُتبت عند تأليف مائة كتاب، وإلا فإنه صنف أكثر من ذلك بكثير وقد عد له شيخ الاسلام ابن تيمية أكثر من ألف مصنف، وارجع إلى أسماء مصنفاته في سير أعلام النبلاء و ذيل طبقات الحنابلة

(٢) سورة محمد آية ٧.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٤) سورة البقرة آية ٤٠.

عن الحجر؛ فلا تعظنَّ إلا بنية، ولا تمشينَّ إلا بنية، ولا تأكلنَّ إلا بنية، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشفُ لك الأمر.

فصل من روائع التصانيف:

وعليك بكتاب "منهاج المريدين" فإنه يعلمك السلوك، فاجعله جليسَك ومعلمك، وتلمَّح كتاب "صيد الخاطر" فإنك تقعُ بواقعاتٍ تُصلِحُ أمرَ دينك ودنياك، واحفظ كتاب "جنة النظر" فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقه، ومتى تشاغلتَ بكتاب " الحدائق " أطلَعَك على جمهور الحديث، وإذا التفتَّ إلى كتاب "الكشف" أبان لك مستورَ ما في الصحيحين من الحديث، ولا تشاغلَنَّ بكتب التفاسير التي صنفَتها الأعاجمُ، وما ترك " المغني " و " زاد المسير" حاجةً إلى شيء من التفاسير، وأما ما جمعتُه لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى زيادة أصلاً.

فصل صفة الواعظ والنافع:

وكن حسَنَ المداراة للخلق، معَ شدة الاعتزال عنهم، فإن العزلة راحة من خُلَطاء السوء، ومُبقيَةٌ للوقار، فإن الواعظ خاصةً ينبغي أن لا يُرى مُتَبَذِلاً، ولا ماشيًا في سوقٍ ولا ضاحكًا، ليَحسُنَ الظنُ به، فيُنتَفَعُ بوعظه. فإذا اضطررتَ إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحِلمِ عنهم، فإنك إن كشفتَ عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم.

فصل أداء الحقوق:

وأدِّ إلى كل ذي حق حقه، من زوجة أو ولد أو قرابة، وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تُودِعْها إلا أشرفَ ما يمكن، ولا تهمل نفسك وعوِّدها أشرفَ ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه، كما قيل:

يا من بدنياه اشتغل ... وغرّه طول الأمل

الموت يأتي بغتةً ... والقبر صندوق العمل

وراءِ عواقبَ الأمور يهُنْ عليك الصبرُ عن كل ما تشتهي ومـــا تكـــره، وإن وجدتَ من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر وذكِّرها قربَ الرحيل، ودبِّر أمـــرك – واللهُ المدبرُ – في إنفاقك من غير تبذير، لئلا تحتاج إلى الناس، فإن حِفظَ المال مـــن الدين، ولأن تـــخَلِّفَ لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس [1].

فصل خاتمة حسنة:

يا بني واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق -**رضي الله عنه**-، وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وأخباره موثقة في كتاب " صفة الصفوة "، ثم تشاغلَ سلفنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين مَـــن رُزِقَ همـــةً في طلب العلم غيري، وقد آل الأمر إليك، فاجتهد أن لا تخيّب ظني فيما رجوتـــــُه فيك ولك. وقد أسلمتك إلى الله سبحانه، وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمـــل، وهذا قدر اجتهادي في وصيتي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالـــة يتكففون الناس" متفق عليه رواه البخاري باب رثاء النبي -**صلى الله عليه وسلم**- لـــسعد ج٥ص٤٣ رقم ١٢١٣ ورواه مسلم كتاب الوصية باب الوصية بالثلـــث ج٨ص٣٩٥ رقـــم ٣٠٧٦

المبحث الأول

المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده

جاءت وصية ابن الجوزي رحمه الله لولده؛ شاملة في مضامينها، لمراتب الدين الثلاثة: عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً؛ إضافة إلى المضامين العلمية المتمثلة في الحث على طلب العلم، ورسم المنهج الأمثل في ذلك؛ وفيما يأتي إبراز لمعالم الشمولية الموضوعية في وصية ابن الجوزي -**رحمه الله**- لولده:

المطلب الأول

المضامين العقدية

إنّ مدار الوصايا الشرعية؛ للأنبياء والصالحين لأبنائهم وأتباعهم، هي الوصية بتقوى الله وبتوحيده والنهي عما يضاده من الشرك والعصيان؛ والشواهد على ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن نماذجها: قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

قال الألوسي -رحمه الله-: "والتوصية التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة. لبيان تواصي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة والشرع المستقيم نسلاً بعد نسل، وذكر يعقوبُ الدينَ في توصيته لبنيه وهو والملة أخوان. ..وخص البنين لأنه عليهم أشفق وهم بقبول وصيته أجدر ولأن النفع بهم أكثر"[2]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٢.

(٢) روح المعاني ١٥/٢.

(٣) سورة لقمان آية ١٣.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده. .. وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا، ثم قال محذرًا له: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } أي: هو أعظم الظلم"(١).

وهكذا جاءت السنة النبوية بالوصية بالتقوى والإيمان في مقام تعليم الصبية والأولاد،وأولُ ما يلقّن الطفل كلمة التوحيد، ويغرس في قلبه الإيمان؛ فإذا وقر الإيمان في قلبه عُلِّم القرآن؛ فيزداد يقيناً وبصيرة؛ وفي هذا المسلك اقتفاء لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعن جندب بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: "كنّا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن فتيان حزاورة(٢).

فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا"(٣).

وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنه- المشهور أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له موصياً: "يا غلام أني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك... "(٤).

وقد ضمّن ابن الجوزي -رحمه الله- وصيته لولده الوصية بتقوى الله وتوحيده ونبذ الشرك وأسبابه؛ وهذه معالم الوصية بالتقوى والتوحيد من خلال ما وردة في وصيته(٥):

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٣٣٦.

(٢) أي: قاربنا البلوغ، انظر: "النهاية في غريب الأثر" ١/٩٥٢.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه المقدمة باب في الإيمان رقم الحديث٦٠ والطبراني في المعجم الكبير رقم الحديث ١٦٧٩، والبيهقي في الشعب رقم الحديث٥١،وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجة" ١/١٦.

(٤) رواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، رقم: ٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده، رقم الحديث ٢٧٦٣،والحاكم في المستدرك، رقم الحديث ٦٣٠٤.

(٥) وقد أوردت وفق تسلسلها في الوصية أولاً بأول.

١- صرف الحوائج لله وحده:

من أصول الإيمان دعاء الله وحده، وصرف الحوائج إليه دون غيره؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]، وفي وصية ابن عباس -رضي الله عنه- المتقدّمة: "وإذا سألت فاسأل الله".

وابن الجوزي -رحمه الله- قد ألمح إلى هذا المعنى في مستهل وصيته وفي أثنائها وخاتمتها بأساليب متعددة:

حكاية الحال: في قوله: "وسألتُ الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم . .. فسألتُ اللهَ تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلّغني فيه المنى والمناجح"، وقوله في ختام وصيته: وقد أسلمتك إلى الله سبحانه، وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل، وهذا قدر اجتهادي في وصيتي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". وحكاية الحال هي من باب التعليم بالقدوة الحسنة.

الوصية بالالتجاء إلى الله في قوله: "وأدُلّه على الالتجاء إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفّق ولا مرشدَ لمن أضلّ". ويقول أيضاً: "ومتى رأيتَ في نفسك عجزًا فسلِ المنعِمَ، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيرًا إلا بطاعته، ولا يفوتُك خيرٌ إلا بمعصيته، ومَنِ الذي أقبلَ عليه فلم يرَ كلَّ مرادٍ لديه ؟ ومَن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه ؟".

٢- زرع رقابة الله في النفس:

من أوثق عرى الإيمان ومنازل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وتستحضر رقابته في كل شأنك، كما جاء في حديث جبريل المشهور: "قال: فأخبرني عن

(١) سورة غافر آية ٦

الإحسان ؟، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(١).

وابن الجوزي -رحمه الله- قد أكد على هذا الأصل في وصيته في مواطن كثيرة: منها قوله: "وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله".

٣- التسليم لقضاء الله وقدره:

من أصول الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره، كما جاء في حديث جبريل المشهور: "فأخبرني عن الإيمان؟، قال:. . وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٢).

والتسليم للقضاء والقدر؛ يبعث في القلب راحة وطمأنينة؛ ورضا بالله عز وجل.

وقد نبّه ابن الجوزي إلى ضرورة التسليم بقضاء الله وقدره، في قوله: "وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له، والله المستعان". فما على العبد إلاّ التسليم، مع بذل الأسباب والله هو الموفق والمسدّد.

٤- التوحيد هو أوّل مطلوب وأفضل مرغوب:

أوّل ما يكلف به العبد، ويخاطب به المكلّف هو توحيد الله جلّ وعلا، ونبذ الشرك، وهذا سمت الأنبياء ونهجهم، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾(٣)، وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(٤).

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يرسل الدعاة آمراً إياهم بالبداءة في الدعوة إلى التوحيد؛ لأنه مدار الفلاح، وأساس النجاح في الدنيا والآخرة، وقبول

---

(١) رواه مسلم باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج١ ص٨٧ رقم الحديث ٩.

(٢) الحديث السابق.

(٣) سورة النحل الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

الأعمال منوط بصلاح التوحيد، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

ولما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذ بن جبل -رضي الله عنه- إلى اليمن داعياً قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله.... »[2].

وابن الجوزي قد ركّز في وصيته على ضرورة إصلاح التوحيد أولاً؛ فقال -رحمه الله-: "وأول ما ينبغي النظر فيه معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلومٌ أن من رأى السماء مرفوعة والأرضَ موضوعةً، وشاهدَ الأبنية المحكمة، خصوصًا جسدَ نفسه، علِمَ أن لا بد حينئذ للصَنعة من صانعٍ، وللمبني من بانٍ". فأشار إلى أن أول مطلوب على المكلّف هو معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ وذلك من خلال النظر في الآيات المشهودة من خلق السماوات والأرض، والنظر في آيات الله المتلوّة، من خلال كتابه الكريم، فيعرف الله أولاً بربوبيته وملكه وتدبيره، ثم يرتقى بعد ذلك لتوحيد الألوهية.

٥- الإيمان بالنبوّة:

الإيمان بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه مرسل من ربّ العالمين لهداية الخلق أجمعين، وأنه خاتم المرسلين، هو شطر شهادة التوحيد، ولا يقوم للتوحيد قائم إذ انخرم هذا الأصل والركن. والإيمان بالأنبياء والرسل أصل من أصول الإيمان التي قرّرها القرآن والسنّة. وابن الجوزي رحمه الله حثّ في وصيته على وجوب الإيمان بالنبي إيماناً جازماً، وذلك من خلال النظر في معجزاته وآياته الدالة على صدقه، وأعظمها

---

(١) سورة الزمر آية ٦٥

(٢) متفق عليه رواه البخاري باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ج٥ص٢٨٩رقم الحديث ١٣٦٥، واللفظ له، ومسلم باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١ص١١٢رقم الحديث ٢٨.

القرآن الكريم. قال -رحمه الله-: "ثم يتأمل دليل صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- إليه، وأكبرَ الدلائل القرءانَ الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله". كما بيّن رحمه الله أنّ لازم الإيمان بالنبي هو التسليم لشرعه والإذعان لأمره؛ إذ لا إيمان مع الاعتراض على شرعه وتنكب منهجه. كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] قال -رحمه الله-: "فإذا ثبت عنده وجودُ الخالق وصدقُ الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وجب تسليمُ عِنانه إلى الشرع، فمتى لم يفعل دل على خللٍ في اعتقاده".

٦- فضل التقوى:

لازم الإيمان وفسطاطه هو تقوى الله وخشيته، و"التقوى اسمٌ جامع لطاعة الله، والعمل بها في ما أمر به، أو نهى عنه، فإذا انتهى المؤمن عن ما نهاه الله، وعمل بما أمره الله، فقد أطاع الله واتقاه، والتقى اسمٌ أيضاً لخشية الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]، فمن خشي الله واتقاه، وانتهى عن ما نهاه، وقام بما افترض عليه فهو العالم بشهادة الله له بذلك "[3].

وقد أشاد ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته بفضل التقوى؛ مبيناً أنها مدار الخير كله، وأنّ ذهابها مؤذن بالوبال والهلاك. قال -رحمه الله-: "يا بني! ومتى صحتِ التقوى رأيتَ كل خير، فالمتقي لا يرائي الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومَن حفظَ حدودَ الله حُفِظ". "فمن نوّر الله قلبه بالتقوى قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام قلبه، واطمأنت به نفسه، وتفجّرت ينابيع الحكمة من لسانه، فكان مسدّداً في قوله

---

(١) سورة النساء آية ٦٥.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٣) الاستذكار لابن عبد البر ٥٨٧/٨.

وفعله، ودعوته وإرشاده، على بصيرة ونور من الله تعالى"[1].

(١) انظر: الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذي، ص ٩٣.

المطلب الثاني

المضامين التعبدية

الإيمان اعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[1]؛ فالعبادة الخالصة لله وحده هي ترجمة الإيمان الصادق بالله وحده لا شريك له، فهي شجرة باسقة طلعها. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[3].

ووصية ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه لم تكن خلواً من المضامين التعبدية، وإنما شملت جوانب عديدة من النصائح في المجال التعبّدي، رسم بها المنهج السوي في عبادة المؤمن ربه منذ يقظته إلى منامه، موشحاً إياها بما ينبغي التلفّظ به من الأذكار الشرعية، على النحو الآتي:

١- الحث على الذكر عند الاستيقاظ:

قال -رحمه الله-: "وقل عند انتباهك من النوم: " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرؤوف رحيم"[4].

---

(١) انظر العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص١٦١،الإيمان لابن منده ج١ص٣١٥-٣٦٣،وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ج٢ ص٩١١-٩٣٣ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦

(٣) سورة إبراهيم آية ٢٤ – ٢٥.

(٤) هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٨٢/١.

٢- الحث على المحافظة على الطهارة والسنن الراتبة وصلاة الجماعة:

قال -رحمه الله-: "ثم قم إلى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعًا، وقل في طريقك: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبمشاي هذا إليك، إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعة، خرجتُ اتقاءَ سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تجيرني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"»[(١)].

٣- الحرص على الأذكار دبر الصلوات:

قال -رحمه الله-: "واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[(٢)] عشر مرات، ثم سبّح عشرًا، واحمد عشرًا، وكبّر عشرًا، واقرأ آية الكرسي وسلِ الله سبحانه قبول الصلاة، فإن صح لك فاجلس ذاكرًا لله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ثم صل واركع ما كتب لك وإن كان ثمانِ ركعات فهو حسن[(٣)].

٤- الحث على الجمع بين العلم والتعبّد:

يقول رحمه الله: "ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها تصحيح قراءة القرءان، ثم الفقه، فإذا أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلّ الضحى ثماني ركعات، ثم تشاغل بمطالعةٍ أو بنسخٍ إلى وقت العصر، ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب، وصل بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جزئين، فإذا صليت

---

(١) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧٢، وضعه الألباني في ضعيف ابن ماجة ١/٦٠. و في الادب المفرد ص٤١٦

(٢) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧٢،وابن ماجة في سننه، وضعه الألباني في ضعيف ابن ماجة ١/٦٠.وفي الادب المفرد ص٤١٦

(٣) إشارة لحديث أم هاني في عام الفتح أنه صلى الضحى ثمان ركعات وهو حديث متفق عليه رواه البخاري صلاة الضحى في السفر برقم ١١٠٥ ومسلم باب استحباب صلاة الضحى ٣٣٦.

العشاء فعد إلى دروسك، ثم اضطجع فسبح ثلاثًا وثلاثين، واحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبر أربعًا وثلاثين، وقل: "اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادَك"[1]. "وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى الوضوء، وصل في ظلام الليل ما أمكن، والتوسطُ أن تصلي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزئين من القرءان، ثم تعود إلى دروس العلم، فإن العلم أفضل من كل نافلة".

(١) رواه أحمد في مسنده برقم ٣٦٠٦

المطلب الثالث

المضامين الأخلاقية والسلوكية

الخلق هو السجية، قال الجرجاني -رحمه الله-: "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة؛ تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"(١).

والدعوة إلى مكارم الأخلاق هي وصية الأنبياء، ودأب الصالحين والأصفياء، في وصاياهم للناس عامّة، ولأبنائهم خاصة. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: "بعثت لأتمّمّ مكارم الأخلاق"(٢). وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(٣).

وبقدر استقامة العبد في خلقه وسلوكه، بقدر ما يكون رقيه وسؤدده في الدنيا والآخرة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو-رضى الله عنه- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ خياركم أحاسنكم أخلاقاً"(٤)، وعن جابر -رضي الله عنه- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً

---

(١) التعريفات ص ١٠١.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٣٢، وأحمد ٢/٣٨١، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣،وفي التاريخ الكبير ٧/١٨٨، والحاكم ٢/٦١٣، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه مالك ٢/٦٩٠ بلاغاً، وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/٣٣٣-٣٣٤، وهذا حديث يتّصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

(٣) سورة لقمان آية : ١٨ – ١٩.

(٤) متفق عليه، البخاري، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث ٥٥٧٥، واللفظ له، ومسلم، باب: كثرة حيائه -صلى الله عليه وسلم-، رقم الحديث ٤٢٨٥.

يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"[1].

وابن الجوزي -رحمه الله- قد نبّه ولده في وصيته إلى جملة من الأصول الأخلاق الفاضلة مرغباً فيها، ومحذراً من أضداده، مما رآه ألزم وأكثر مناسبة لولده، ومن نماذجها ما يأتي:

١- الحث على القناعة:

القناعة هي الرضا بالقسم، والاجتزاء باليسر من العيش[2]، وهي كنزٌ لا يفنى، ولا يصفو عيشٌ لغير قنوع، وهي خلق فاضل، وقد جاء الحث على القناعة وبيان فضائلها في نصوص كثيرة: عن فضالة بن عبيد -رضي الله عنه- أنّه سمع رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- يقول: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافا وقنع»[3].

وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص-رضى الله عنه- أنّ رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنّعه اللّه بما آتاه»[4].

فالقناعة تحفظ ماء الوجه، وتصون عرض العبد، كما قال الشافعي -رحمه الله-[5]:

رأيت القناعة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها ممتسك

فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به منهمك

---

(١) رواه الترمذي في سننه باب ما جاء في معالي الأخلاق رقم ١٩٤١وقال الترمذي "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٤١٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه باب من رضا بالكفاف وصبر عليه رقم الحديث ٢٥٢٢ وقال الترمذي حسن صحيح

(٤) رواه مسلم في صحيحه باب في الكفاف والقناعة رقم الحديث ٢٤٧٣.

(٥) ديوان الشافعي ص ١٠٢.

فـــصرت غنيّـــا بـــلا درهـــم أمرّ على النّاس شـــبه الملـــك

وقد نبّه ابن الجوزي -رحمه الله- ولده في وصيته إلى هذه المعـــاني، فبـــيّن أنّ صيانة العرض، من هوان الذلّ، وطريق العزّ إنما يكون بالقناعة، مستشهداً بحـــال السلف رحمهم الله، كيف عزّوا وبزّوا حينما قنعوا بما قُسم لهم، قال -رحمه الله-: "واجتهد يا بني في صيانة عِرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها، واقنـــع تـــعِزّ، فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد وجاز أعرابي بالبصرة فقال: من سيد هذه البلدة ؟ فقيل له: الحسن البصري، قال: وبم سادهم ؟ قالوا: استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه".

٢- الحث على العزلة والتحذير من الخلطة السيئة:

العزلة عن الفتن والشرور وأهلها، من حميد الخصال، وطيب الخلال، بـــشرط أن لا تفوّت هذه العزلة واجباً، ولا تصد عن حقّ، قال ابن الجـــوزي -رحمه الله-: "كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبّد، إلاّ أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة، ولا جماعة، ولا عيادة مريض، ولا شهود جنازة، ولا قيـــام بحق، وإنما هي عزلة عن الشرّ وأهله، ومخالطة البطالين"(١)، وقال أيضاً: "وأما الانقطاع فينبغي أن تكون العزلة عن الشر لا عن الخير، والعزلة عن الشر واجبة على كـــل حال"(٢).

فالعزلة عن الشر وعند الفتن محمودة: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتـــن»(٣).

قال الخطابي -رحمه الله-: "والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وعصمة الأوليـــاء،

---

(١) تلبيس إبليس ص ٣٥٢.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩-٩٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه باب من الدين الفرار من الفتن رقم الحديث ١٨.

وسيرة الحكماء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذراً، لا سيما في هذا الزمان القليل خيره، البكيء درُّه، وبالله نستعيذ من شره وريبه"[1].

أما العزلة عن الخير فهي مذمومة: فعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[2].

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "كم فَوَّتَتْ العزلة علماً يصلح به أصل الدين، وكم أوقعت في بليّة هلك بها الدين، وإنما عزلة العالم عن الشرّ فحسب"[3]. وقد أوجز ابن الجوزي وأجاد في عبارات يسيرة هذه المعاني والمقاصد في العزلة فقال في وصيته: "وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء".

٣- الحثّ على المداراة والحلم:

المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة[4]، والحلم هو: "ضبط النّفس والطّبع عند هيجان الغضب"[5].

وحينما حرص ابن الجوزي على ما يديم الألفة بين ولده وبين الناس، أوصاه بأعظم مفاتيحها وهي المداراة والحلم، فقال -رحمه الله-: "وكن حسَنَ المداراة للخلق، معَ شدة الاعتزال عنهم، فإن العزلة راحة من خُلَطاء السوء، ومُبقِيَةٌ للوقار، فإن الواعظ خاصةً ينبغي أن لا يُرى مُتَبَذِلاً، ولا ماشيًا في سوقٍ ولا ضاحكًا،

---

(١) العزلة للخطابي ص ٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه باب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم الحديث ٢٤٣١، وابن ماجه باب الصبر على البلاء رقم الحديث٤٠٢٢واللفظ له وصححه الألباني في السلسلة رقم الحديث٩٣٩.

(٣) صيد الخاطر ص ١٢٨.

(٤) فتح الباري ٥٢٨/١٠.

(٥) مفردات الراغب ص ١٢٩.

ليَحسُنَ الظنُ به، فيُنتَفَعُ بوعظه. فإذا اضطررتَ إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحِلمِ عنهم، فإنك إن كشفتَ عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم".

٤- الوصية بأداء الحقوق إلى الناس:

من أعظم صور الأمانة ومنازلها أداء الحقوق إلى أهلها، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه، وتعظم الأمانة كلما قويت الصلة والقرابة، فأداء حقوق الزوجة والولد والقرابة هي أعظم منازل الأمانة، فعن أبي جحيفة السّوائيّ وهب بن عبد اللّه -رضي الله عنه- قال: "آخى النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- بين سلمان وأبي الدّرداء، فزار سلمان أبا الدّرداء، فرأى أمّ الدّرداء متبذّلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدّرداء ليس له حاجة في الدّنيا. فجاء أبو الدّرداء، فصنع له طعاما فقال له: كل. قال: فإنّي صائم، قال: ما أنا بآكل حتّى تأكل. قال: فأكل، فلمّا كان اللّيل ذهب أبو الدّرداء يقوم، قال: نم، فنام. ثمّ ذهب يقوم، فقال: نم. فلمّا كان من آخر اللّيل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا. فقال له سلمان: إنّ لربّك عليك حقّا، ولنفسك عليك حقّا، ولأهلك عليك حقّا، فأعط كلّ ذي حقّ حقّه. فأتى النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-، فذكر ذلك له، فقال له النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «صدق سلمان»[1].

وقد أشار ابن الجوزي إلى هذا المعنى البديع في قوله -رحمه الله-: "وأدِّ إلى كل ذي حق حقه، من زوجة أو ولد أو قرابة".

(١) رواه البخاري في صحيحه باب من أقسم على أخيه أن يفطر في التطوع رقم الحديث ١٨٦٧.

المطلب الرابع

المضامين العلمية

أساس وصية ابن الجوزي -رحمه الله-؛ والتي أبان عن مرادها وكنهها في مستهلّ وصيته؛ هو حث ولده على طلب العلم، وخوض غماره، قال رحمه الله: "ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجِد في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالة أحثه بها على طلب العلم وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم". لأجل هذا نرى ابن الجوزي يطيل النفس في المجال العلمي، تحقيقاً للمقصد والمراد، وقد تضمنت وصيته جملة من درر الفوائد في المجال العلمي، من أبرزها ما يأتي:

١- الحثّ على إعمال الفكر والعقل:

وهب الله تعالى بني آدم عقولاً للتفكر والتبصر، وقد أشاد الله في كتبه بذوي البصائر والعقول، وذمّ من عطّل عقله عن التفكر والتبصر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [(٢)].

وقال في معرض الذمّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [(٤)].

---

(١) سورة الرعد آية ٣

(٢) سورة الزمر آية ٤٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠

(٤) سورة المائدة ٥٨.

ولهذا بيّن ابن الجوزي نعمة العقل، والغاية منه، وهو العمل بمقتضاه، في جلب المنافع ودفع المضار، فقال -رحمه الله-: "اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميَّزِ الآدميُ بالعقلِ إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعملْ فِكرَك، واخلُ بنفسك".

٢- بيانه فضل العلم:

فضل العلم يربوا كلّ فضل، فهو سبيل الرفعة، وطريق المجد لمن رام العلياء، ولهذا كان أهل العلم هم صفوة الخلق، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، فهو ميراث الأنبياء، وزاد الأتقياء، ولا طريق لصحة العمل إلا من طريق العلم، ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2].

وقد وفّق ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته، لاستثارة همة ولده، ببيان فضل العلم الناجز والناسئ، فقال -رحمه الله-: "واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورةً تُستَحسَن، وكان عطاءُ بن أبي رباح أسودَ اللون ومستوحَشَ الخِلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولداه، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدّثهم وهو معرضٌ عنهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه: " قوما ولا تَنسَيا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين يدَي هذا العبد الأسود " وكان الحسن البصري مولى - أي مملوكاً - وابن سيرين ومكحولٌ وخلق كثير، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى".

٣- الحث على طلب العلم والنظر في الكتب:

خير جليس في الأنام كتابٌ، فهو ينبوع الحكم، ومصدر المعارف، وقد كان ابن الجوزي -رحمه الله- شغوفاً بالكتب بلغ في ذلك الغاية القصوى.

قال ابن الجوزي -رحمه الله- عن نفسه في «صيد الخاطر»:- أثناء حديثه عن

---

(١) سورة المجادلة آية ١١

(٢) سورة محمد آية ١٩

المطالعة والإكثار منها-: "وإني أُخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعتُ على كنز. ولقد نظرتُ في ثَبَتِ الكتب الموقوفة في المدرسة النِّظَامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلَّد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحُمَيدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب بن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشَّاب - وكانت أحمالاً - وغير ذلك من كلِّ كتاب أقدر عليه. ولو قلت: إني طالعتُ عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعدُ في الطَّلب"[1].

ولهذا نجده يحثّ ولده على إدمان النظر في الكتب، والانقطاع بها عن الخلق، فيقول -رحمه الله-: "وليكن جلساؤك الكتب، والنظرَ في سِيَر السلف".

ويقول -رحمه الله-: "وعليك بكتاب " منهاج المريدين " فإنه يعلمك السلوك، فاجعله جليسَك ومعلمك، وتلمَّح كتاب " صيد الخاطر " فإنك تقعُ بواقعاتٍ تُصلِحُ أمرَ دينك ودنياك، واحفظ كتاب " جنة النظر " فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقه، ومتى تشاغلتَ بكتاب " الحدائق " أطلَعَك على جمهور الحديث، وإذا التفتَّ إلى كتاب " الكشف " أبان لك مستورَ ما في الصحيحين من الحديث، ولا تشاغلَنَّ بكتب التفاسير التي صنفَتها الأعاجمُ، وما ترك " المغني " و " زاد المسير " حاجةً إلى شيء من التفاسير، وأما ما جمعتُه لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى زيادة أصلاً". ويقول في موضع آخر: "وقد علمتَ يا بني أنني قد صنفتُ مائة كتاب، فمنها " التفسير الكبير " عشرون مجلدًا، و " التاريخ " عشرون مجلدًا، و " تهذيب المسند " عشرون مجلدًا، وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمسَ مجلدات، ومجلدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر ؛ كفيتُك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف".

(١) صيد الخاطر ص ١٤٩.

٤- التدرّج في طلب العلم:

ينبغي لطالب العلم من التدرج في طلبه؛ بحيث يبدأ بالأصول قبل الفروع، وبالمحكم قبل المتشابه، ولا ينتقل من علم إلى آخر حتى يحكمه. ولهذا نزل القرآن على قلب النبي منجماً مفرقاً، لأن ذلك أوعى لاستيعابه وحفظه، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[٢].

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: "طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل من تعداها مجتهداً زل"[٣].

وقد ألمح ابن الجوزي **-رحمه الله-** إلى هذا المعنى في وصيته بقوله: "ولا تشتغل بعلمٍ حتى تُحكِم ما قبله".

ومن أصول التدرج في طلب العلم: البدء بحفظ القرآن أولاً، ثم الاشتغال بحديث رسول الله رواية ودراية، قال ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته: "فيتشاغلَ بحفظ القرءان وتفسيره، وبحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبمعرفة سِيَرِه وسِيَر أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخيّر مرتبةَ الأعلى فالأعلى. ولا بد من معرفة ما يقيمُ به لسانَه من النحو ومعرفةِ طرفٍ من اللغة مستعمَلٍ، والفقهُ أمُ العلوم، والوعظُ حَلواؤها وأعمها نفعًا".

ونجد هذه الوصية تتكرر مع ابن الجوزي في كتبه، فيقول رحمه الله في كتابه صيد الخاطر: "وقد علم قصر العمر، وكثرة العلم، فيبدأ - أي الطالب - بالقرآن

---

(١) سورة الإسراء آية ١٠٦

(٢) سورة الفرقان آية ٣٢.

(٣) جامع بيان العلم وفضله الجامع ١٦٦/٢.

وحفظه، وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفي عليك بذلك منه شيء. وإن صح له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتدأ بأصول الحديث من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك... وتشاغل بأصول الفقه، وبالفرائض وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم"(١).

٥- قوام العلم الحفظ والصدق والإخلاص:

إخلاص النية وصدق الطوية من أعظم أسباب نيل العلم، لأنها عنوان التقوى، التي هي مفتاح كل خير، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (٢).

وقد جاء الوعيد الشديد لمن شاب نية طلبه للعلم بشوائب الرياء والمباهاة وغيرها، كما في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من تعلّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم"(٣).

وللإخلاص أثر عجيب في بركة العلم، وفي أثره، ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: "من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه، وجرت على لسانه"(٤).وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: "الإخلاص لله يورث الفهم عن الله"(٥).

أما الحفظ: اعلم الذي لا يستحضره صاحبه متى أراد؛ لا يعد علماً، ولهذا قال

---

(١) صيد الخاطر ص ١٦٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٣) رواه ابن ماجه باب من سأل عن علم فكتمه رقم الحديث ٢٥٦,وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ١١٠.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٥٢/١٠.

(٥) اقتضاء العلم العمل ص ٣٢.

عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله أنه قال: "كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علماً"(١).وأنشد أبو الفتح هبة الله بن عبد الواحد البغدادي لبشار(٢):

علمي معي أينما يممت يتبعني ... بطني وعاء له لا بطن صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وقد أكّد ابن الجوزي -رحمه الله- على هذه المقومات والأصول في وصيته حيث يقول:

"فعليك بالحفظ، فإن الحفظَ رأسُ المال، والتصرفَ رِبحٌ، واصدُقْ في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراعِ حدودَه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾(٣) ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ۝١٥٢﴾(٤) ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾(٥).

٦- وجوب اقتران العلم بالعمل:

العلم لا يراد لنفسه وإنما يراد للعمل بمقتضاه؛ فالعمل هو ثمرة العلم وزكاته، لأجل هذا جاء ذمّ من ترك العمل بما علم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٦).

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٢٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة محمد آية ٧.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٥) سورة البقرة آية ٤٠.

(٦) سورة الجمعة آية ٥.

جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه "[1].

والعلم شرط في صحة العمل، لذلك بوب الأمام البخاري في صحيحة باب "العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: " فاعلم أنه لا إله إلا الله وقد بيّن ابن الجوزي -رحمه الله- هذا الأصل في وصيته في قوله: "ثم اعلم أن طلبَ الفضائل نهايةُ مرادِ المجتهدين، ثم الفضائلُ تتفاوت، فمن الناس مَن يرى الفضائلَ الزهدَ في الدنيا، ومنهم مَن يراها التشاغلَ بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفضائلُ الكاملةُ إلا الجمعُ بين العلم والعمل، فإذا حُصِّلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحرّكاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كلُ مريدٍ مرادًا، ولا كلُ طالبٍ واجدًا، ولكن على العبد الاجتهاد".

وقال -رحمه الله-: "وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم، فإن خلقًا من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم".

(١) رواه الترمذي باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص رقم الحديث ٢٣٤١.

المبحث الثاني

أسس منهج ابن الجوزي وأساليبه في وصيته لولده

المطلب الأول

الأسس البيانية

أولاً: روعة البيان:

إن روعة البيان، تُعدّ من أعظم مقومات المواعظ والوصايا لأنّ من استجمع الفصاحة والبيان استحوذ على القلوب، واستولى على العقول، وأثّر في النفوس أيما تأثير، ولذا جاء في حديث عمار -رضي الله عنه- قول النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (....وإنّ من البيان لسحراً)[1].

"وفي الحديث مدحٌ للبيان، لأنّ الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان، وشبهه-صلى الله عليه وسلم- بالسحر، لميل القلوب إليه"[2]. وقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم والناصحين من بعده، بعظة الناس بالقول البليغ الفصيح، قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[3].أي:(مؤثّرا واصلاً إلى كُنْه المراد، مطابقاً لما سيق له من المقصود)[4].

قال ابن سيرين -رحمه الله-:"لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان"[5].

والبيان والفصاحة من أبرز مقومات المواعظ والنصائح والوصايا؛ لأنّ لها وقع في القلوب، واثر في النفوس، وفي هذا يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: "إن الكلام

---

(١) رواه البخاري باب ان من البيان لسحرا رقم الحديث ٥٣٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٧/٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٤) تفسير أبي السعود ١٩٦/٢.

(٥) ذكره ابن عبد البر في أدب المجالسة، ص ٤٥.

المستحسن له وقع في النفوس، ولا يلتفت إلى متزهد جاهل يقول: هذا تصنّع، فإن التصنع المباح لاستجلاب القلوب لا يذم وقد كان لرسول الله خطيب فصيح يقال له ثابت بن قيس وشاعر هو حسان، فإذا جاءه خطيب أو شاعر من قبل المشركين قاوماه. ولو أن واعظا قال الحمد لله واقتصر على هذا في الخطبة ثم قال اتقوا الله واقتصر على إعادة هذه الكلمة لم يقع قوله موقع من يأتي بالكلام المستحسن واللفظ الرائع. ومن تأمل القرآن وما فيه من الكناية والتجوز والاستعارة عرف موقع الفصاحة من القلوب"[1].والمتأمل في وصية ابن الجوزي رحمه الله يدرك ما تضمنته من روعة بيان، وبديع، وفصاحة، وهذه وقفات مع روعة البيان في وصية ابن الجوزي -رحمه الله-:

١- السجع المحمود:

السَّجْعُ هو تماثل الحروف في مقاطع الفصول[2]. وهو محمود إن كان بعيداً عن التكلّف والتعسّف والتصنّع؛ قال الغزالي رحمه الله: "ولا يدخل-السجع المذموم- في تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير، من غير إفراط وإغراب، فإنّ المقصود منها تحريك القلوب، وتشويقها، وقبضها، وبسطها، فلرشاقة اللّفظ تأثير فيه، فهو لائق به"[3].

والناظر في هذه الوصية يجد بعضا من السجع غير المتكلف؛ مما زاد الوصية رونقاً وبهاء، ومن ذلك قوله: الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضّد العشائرَ بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب. .

٢- الاستعارة والكناية:

هي الكلمة المستعملة لغير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى

---

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٦١.

(٢) سر البلاغة لابن سنان الخفاجي ص ٢٤٢.

(٣) إحياء علوم الدين ١٢٢/٣.

الأصلي[1] والاستعارة مما يزيد المعنى وضوحاً، والفكرة بهاءً، والوصية قوة وأثـراً. وقد استخدم ابن الجوزي هذا الأسلوب في مواطن من وصيته، ومن ذلك قولـه: "والكسلُ عن الفضائل بئس الرفيق": ففي هذا تشبيه للكسل بالرفيق السيئ بجامع المضرة وقوة التأثير في الرفيق. وقوله: "والفقهُ أمُ العلوم، والوعظُ حَلواؤها وأعمها نفعًا": ففي هذا تشبيه لعلو كعب الفقه بعلو الأم وفضلها، وتشبيه لأثر الوعظ بأثر الحلواء وعموما نفعها.

٣- الجمع بين الأسلوب الخبري والإنشائي:

الوصية والنصيحة إن كانت ممن له فضل ورسوخ قدم في العلم؛ أمكن الجمع فيها بين الأسلوبين الخبري والإنشائي. ولهذا نرى ابن الجوزي رحمه الله، يستخدم أسلوب التعميم في الوصية والنصيحة؛ لأنّ النـصح بـالتعريض دون التـصريح، وبالتعميم دون التخصيص، يُعَدُّ من أعظم آداب الموعظة والنصيحة، ومـن أكـبر عوامل قبولها، لأنّ النفس البشرية مجبولة على الأنفة والكبر والاعتداد بالذات، فهي لا تحبّ أن يواجهها أحد كائناً من كان بعيوبها صريحة مكشوفة، لأنها تعتبر ذلـك إهانة لها وتحقيراً، فتلجأ إلى العناد والمحادّة والمشاقّة[2].

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعمّم في موعظته ونصيحته. فعن عائـشة -رضى الله عنها- قالت: "كان رسول -صلى الله عليه وسلم- إذا بلغه عن الرجل شيء، لم يقل: لم قلت كذا وكذا، ولكنه يَعُمُّ فيقول: ما بال أقوام"[3].

ومن ذلك قوله: وأول ما ينبغي النظر فيه. ..، وينبغي معرفة مـا يقـيم بـه لسانه...ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجد. .. وغير ذلك. ونراه في أحيان أخرى يستخدم بعضاً من صيغ الإيجاب والأمر والإلزام، والنهي؛ لأنها وصية مـن والـد

(١) البلاغة الواضحة ص ٧١.

(٢) انظر منهج السلف في الوعظ ص ٣١٥

(٣) رواه أبو بكر القرشي في مكارم الأخلاق ص ٣٦.

لولده، ومن منعم لمنعم عليه، ومن هذه الصيغ تمثيلاً: وانظر يا بني..، واعلم يا بني..، وانتبه يا بني..، فالزم نفسك يا بني..، وقل عند انتباهك..، ثم قم إلى...، ثم تشاغل بما يمكن. .، وعليك بالعزلة,. ..واجتهد يا بني. ..، وينبغي أن تسمو همتك..، وإياك أن تقف..، وعليك بكذا...، وراع عواقب الأمور... وغيرها.

ثانياً: حسن الابتداء وروعة الاستهلال:

إنّ براعة الاستهلال تجعل بين المتكلّم والمستمع جسرا من المودة والألفة، والإنصات من أول وهلة.

وقد اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، بحيث توجز المعاني التي يراد إيضاحها فيما يستقبل من الكلام، فتشدّ السامع شدّاً، وتوقظ قلبه وجوارحه(١).

قال أبو هلال العسكري: "وإذا كان الابتداء حسنا بديعا، ومليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"(٢). ويقول ابن المقفع: "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك"(٣).

والفصاحة والبيان في الاستهلال لها مقومات إذا توافرت في الوصية أدت إلى الغرض والمأمول من التأثير والاستجابة، ومن هذه المقومات التي توافرت في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- ما يأتي:

ابتداؤه بالحمد والثناء على الله: اقتداء بالكتاب والسنة، وجاء الترغيب في ذلك في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد اللّه تعالى فهو أقطع»(٤).

---

(١) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب الحموي ص ٣٠.

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٤٩٦.

(٣) انظر: البيان والتبين للجاحظ ص ١١٦.

(٤) رواه أبو داود ١٧٢/٥ رقم ٤٨٤٠ وابن ماجة١/٦١٠ وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٩

قال الشّافعيّ -رحمه الله-: "أحبّ أن يقدّم المرء بين يدي خطبته وكلّ أمر طلبه حمد اللّه تعالى والثّناء عليه سبحانه وتعالى والصّلاة على رسوله -صلى الله عليه وسلم- "[1].

والحمد هو اعتراف بالمنعم وشكر لنعمائه، والعبد لا يؤثر بمجرد مقاله ونصحه، مهما حبّره ودبّجه بحلل المعاني، وإنما يؤثر بتوفيق الله تعالى.

استفتاحه بألفاظ مخصوصة تلميحاً للمقصود من الوصية وهي نصح الولد، حيث يقول: (الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضّد العشائرَ بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب، أحسنَ التربيةَ في الصغر وحفِظ في الشباب، ورزقنا ذريةً نرجو بهم وفورَ الثواب).

انتقاؤه للعبارات الدالة على نعمة الأبوة والبنوّة، وحقوقها: حيث يقول في مطلعها: (اعلم يا بني وفقك الله..)، ومن المعلوم أنّ التلطف في النداء مستجلب لميل القلوب لسماع النصح والوصايا، كما جاء في وصية لقمان وموعظته لابنه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، فهو نداء إشفاق وعطف [3].

ثالثاً: حسن الختام:

العبرة بالخواتيم، إذ أنّ ما يعلق في الأذهان من النصح والكلام، والمواعظ والوصايا، هو آخر ما يطرق الأسماع؛ "فإذا كان آخر ما ارتسم في ذهن المستمع

---

(١) مغني المحتاج ٢٤/١

(٢) سورة لقمان آية ١٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٣٦/٣.

والقارئ بليغا حسنا، تلقاه بعناية القبول، واستلذ به، فالعبرة بالخواتيم"[1].

قال أبو هلال العسكري: "الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعًا مونقين"[2].

ومن خلال ما سطره ابن الجوزي في خاتمة وصيته:

- تذكيره لشرف نسبه: وأنه من بيت علم وفضل من ذرية أبي بكر الصديق، ليشحذ همّته للتشبه بالأصل.
- بيانه أنّه قد عُقد فيه الأمل والرجاء: بإحياء ما اندرس من تشاغل قرابته عن العلم، وانصرافهم عنه، وفي هذا أبلغ التحفيز، وأعظم الترغيب.
- دعاؤه الله عز وجل أن ينفع ولده بهذه الوصية، وأن يوفقه لحسن العلم والعمل، مع بيانه أنه قد استنفذ الجهد في تحبيرها، مع الاعتماد على الله في ذلك أولاً وآخراً.

رابعاً: السهولة والبعد عن التكلّف:

من شأن هذا الأمر أن يستجلب سمع الموصى إليه، ويؤثّر فيه غاية التأثير، لأنّ القلوب تكون مقبلة على سماع الوصية، مشتهية لها، محيطة بمراميها ومقاصدها. قال أبو هلال العسكري رحمه الله: "فمدار البلاغة على تخيّر اللفظ، وتخيُّرُه أصعب من جمعه وتأليفه"[3].

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "وكان السلف يقتنعون من المواعظ باليسير من غير تحسين لفظ، أو زخرفة نطق"[4].ومن خلال ما دوّنه ابن الجوزي في وصيته نجده ينأى بنفسه عن التكلّف والتصنع في العبارة، رغم أنه استجمع الفصاحة

(١) انظر البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع، لمحمد رمضان ص ٢٢٣.

(٢) الصناعتين ص ٤٨٩.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٥٨.

(٤) انظر: أبجد العلوم ٢/٥٣٥.

والبيان، وكان بليغاً مفوّهاً، فنجد عباراته سهلة سلسلة، دون تقعّر أو تشدق، أو استعمال لحوشي الألفاظ وغريب الكلمات.

خامساً: التدّرج في الوصية، بالبدء بالأهم فالمهم:

لقد سلك العلماء والناصحين والمربين إلى أسلوب التدرج من الأدنى إلى الأعلى ليسهل على السامع أو المتلقي فهم المراد، واستيعاب المحتوى، ولاسيما إذا كان المحتوى مركبا أو معقد أو يلقى على من لا يفهمه جملة واحده، وهذا من الأساليب الناجحة في إفهام المستمع، يقول ابن خلدون -رحمه الله-: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً، إذا كان على التدريج، شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً،...وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم)[1].

وهذا ما نلحظه في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه حيث تدرج معه في الموعظة والوصية حتى يكون على الطريق المستقيم الذي يرضاه الله، فتدرج معه في هذه الوصية فجعلها مقسمة على أمور منها: استحضار العقل في الغايةِ من الخلق، ثم حثّه على طلب الفضائل،وطلب العلم والحث على الاجتهاد في الطاعة، وإعطاء المثل من نفسه. ثم تدرج معه إلى الحث في تعجيل التوبة، واستدراك ما فات، واغتنام العمر. ثم وصيّة له بالعزلة والزهد. والتقوى فإنّها خير زاد. ثم ذكر له بعض الكتب المفيدة ليغتنم الوقت في النظر فيها وختم الوصيّة بحفظ حقوق الناس. ومن مقتضيات هذا التدرج الرفق بالمتعلم، وعدم أخذه بالشدة حتى يحصل له الفهم والتحصيل.

قال ابن خلدون -رحمه الله-: (الشدة على المتعلمين مضرة بهم وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضمر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة)[2]. ومن هذا نعلم حرص ابن الجوزي على أبنه الوحيد حيث تدرج معه، وقسم له النصيحة، وجزئها له أجزاء لكي يحسن فهمها وتطبيقها.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٥٣١

(٢) المرجع السابق ص٥٤٠

المطلب الثاني

الأسس العلمية لمنهج ابن الجوزي في وصيته لولده

تمتاز وصية الإمام ابن الجوزي رحمه الله لولده، بالأثرية والشمولية في أسسها وطرائق استدلالها، من أبرزها ما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم:

يتبوأ القرآن الكريم المكانة الأولى والمقام الأسمى عند السلف رحمهم الله، لأنه كلام الله العظيم[1]، وصراطه المستقيم، ودستوره القويم، ورسالته الخالدة، ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل بما فيه هُدي إلى صراط مستقيم، أنزله الله عز وجل على نبيه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2]، وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: "فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في وصف منهج السلف: "هم أهل الكتاب والسنّة: لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدّمون هدي

---

(١) فالسلف رحمهم الله متفقون على أنّ القرآن كلام الله على الحقيقة ليس بمخلوق وأنّ الله تكلّم به بحرف وصوت مسموع وأنّه محفوظ من التحريف والتبديل ولا يجوز إنكار حرف منه ومن فعل ذلك فهو كافر انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢٧٢/١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٤) رواه الترمذي في سننه باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي رقم ٢٨٥٠ وقال: "هذا حديث حسن غريب".

محمد -صلى الله عليه وسلم- على هدي كل أحد، ويتّبعون آثاره ز باطناً وظاهراً"[1].

وعلى منهج السلف الصالح رحمهم الله سار الإمام ابن الجوزي في وصيته هذه، لذا نجد الإمام ابن الجوزي رحمه الله يؤثر كلام الله في وصيته على غيره، فجاءت الوصية مليئة بالنصوص القرآنية.

ولابن الجوزي منهج فريد في الاستشهاد بآي الكتاب، تتلخّص في الآتي:

أ- الاستشهاد الصريح:

وذلك عن طريق الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم:

- إمّا أن يصدر المعنى الذي يريد أن يوضحه بالاستشهاد بآية جامعة تدلّ على المراد والمقصود، ليجعل منها أصلاً، يستحضر السامع لوصيته.

- أو أن يذكر كلاما أو مقطعاً من وصيته، ثم يردفه بذكر آيات جامعة تدلّ على المراد والمقصود، وله في ذلك مسلكان:

الأول: أن يذكر كلام له ثم يعقبه بذكر الآية الجامعة للمعنى، دون أن يصرح بذلك، ومثاله: عند ذكره لنعمة الولد، وأن الحافظ لهم هو الله، ثم ختم كلامه هذا بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[2]

الثاني: أن يذكر كلاماً له، ثم يصرح بأن هذا المعنى تجمعه الآية الفلانية، ومن ذلك:

لما ذكر أنّ من أسباب تحصيل العلم التقوى والتعلق بالله، قال رحمه الله عقب ذلك: وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

(١) مجموع الفتاوى ٣/٤٥٧.

(٢) سورة إبراهيم الآية٤٠/٤١

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (١).

- أو أن يذكر المراد من وصيته، بذكر آيات من كتاب الله، دون تقديم أو تعقيب، ومن ذلك، ما ذكره في مستهل وصيته، في أنّ الله هو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولكن واجب النصح والتذكير هو الذي حداه لكتابة هذه الوصية، حيث أوجز هذا المعنى بذكر آيات تدل عليه، حيث قال: "لكنْ قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ (٣).

- أو أن يذكر قصة من القصص على سبيل الاستدلال والاقتداء، ثم يردفها بالآيات الدالة على ذلك، ومثال هذا: واعلم يا بني أن يونس عليه السلام لما كانت ذخيرته خيرًا نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ (٤).

ب- الاستشهاد الضمني:

وذلك بأخذ مضمون الآية القرآنية، وصياغتها بأسلوبه، وهو ما سار عليه في أغلب وصيته؛ إذ القرآن الكريم هو مصدر العلوم كلها كما صرّح بذلك في كتبه حيث يقول: "..ومتى كان الواعظ عالما بتفسير القرآن والحديث وسير السلف والفقه، عرف الجادة" (٥).

وأمثلة ذلك كثيرة، منها: قوله: "الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب"، فهذا مستلٌ من قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ (٦).

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) سورة العصر آية ٣.

(٣) سورة الأعلى آية ٩

(٤) سورة الصافات آية ١٤٣.

(٥) القصاص والمذكرين ص٣٧٠.

(٦) سورة الطارق آية ٥/٧

وقوله: وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب؛ مستل من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[1].

ثانياً: السنّة النبويّة:

السنّة النبويّة هي المعين والرافد بعد -القرآن الكريم- للوصية عند الإمام ابن الجوزي، وهذا واضح جليٌّ لمن وقف على وصيته لولده. وهذا منهج سار عليه ابن الجوزي -رحمه الله- في خطبه ومواعظه ووصاياه؛ قال رحمه الله: "ينبغي للواعظ أن يكون حافظاً لحديث رسول الله، عارفاً بصحيحه وسقيمه ومسنده ومقطوعه ومعضله"[2].

وقال في الحثّ على الاعتماد على السنّة في مقام الخطابة: "ولـيكن أكثر اعتماده - أي الخطيب والواعظ- على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين"[3].

وطرائق استشهاد ابن الجوزي رحمه الله بالسنّة النبويّة في ووصيته على ضربين:

استشهاد بأقوال المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، واستشهاد بأفعاله وأحواله وسيرته.

أ- الاستشهاد بأقوال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

كانت أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- ومواعظه النبراس الذي يستضيء به، والمعين الذي ينهل منه ابن الجوزي في خطبه ووصاياه، إذ أنّ أقواله وحي يوحى وتشريع يتّبع، مع ما أوتيه -صلى الله عليه وسلم- من بليغ القول وجوامع

(١) سورة الرحمن آية ٣/٤.

(٢) القصاص والمذكرين، ص١٨٢.

(٣) المرجع السابق ص٣٧٢

الكلم، وسلك -رحمه الله- في استشهاده - بأقوال المصطفى في وصيته- مسلكين اثنين:

١- الاستشهاد الصريح: والمقصود بذلك إيراد قوله -صلى الله عليه وسلم- أو موعظته في ثنايا الوصية.

ومن نماذج ذلك:

- حينما بيّن فضل التقوى وأنه خير زاد للعبد؛ استشهد عقب ذلك بحديث ابن عباس المشهور: "احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ أمامَك"[١].

- وحثّ -رحمه الله- على التعجيل بالتوبة والندم واستدراك ما فات واغتنام ما بقي من العمر، ثم استدل على ذلك بحديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، قال -رحمه الله-: وفي الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده غُرِسَت له نخلةٌ في الجنة "[٢] فانظر إلى مضيِّع الساعات كم يفوته من النخل".

٢- الاستشهاد الضمني: فقد أشرب قلب ابن الجوزي سنّة -صلى الله عليه وسلم- ففاضت ينابيع الحكمة من فيه، فلا تكاد تقف على موعظة له إلا وتجد لها شاهداً من سنّة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال -رحمه الله-: " فإني - بحمد الله - لما كان أكثر اشتغالي بالحديث وعلومه لم يكد يذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول صحيح أو حسن أو محال ولي في كتبي الوعظية - بحمد الله - أعمال عجز عنها من تقدم"[٣].ومن شواهد ذلك:

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم الحديث ٢٥٠٠ وقال: حديث حسن صحيح وأحمد في مسنده رقم الحديث ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرك رقم الحديث ٦٣٠٤.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه باب الاذكار رقم الحديث ٨٢٦، وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم

(٣) القصاص والمذكرين ص٣٧٣.

- قوله: "وما سعِد مَن سعِد إلا بمخالفة هواه، ولا شقِي مَن شقي إلا بإيثار دنياه"، مستلٌ من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[1].

وقوله: وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمَّح كيف حِفظُكَ لها ؟ فإنه من راعى رُوعي، ومن أهملَ تـُرِك، مستلٌ من حديث ابن عباس المشهور: احفظ الله يحفظك.

٣- إيراده للأذكار الشرعية والسنن النبوية:

جاءت وصية ابن الجوزي رحمه الله، مليئة بالأذكار الشرعية، والسنن النبوية، حيث رسم لولده عمل اليوم والليلة، من أذكار الصباح والمساء، ومن النوافل الرواتب، وغيرها، كلٌ ذلك مقتصراً فيه على أحاديث النبي وسنته القولية والفعلية.

٤- مؤاخذات على أساليب ابن الجوزي في بعض استدلاله بالحديث النبوي:

تنوعت أساليب ابن الجوزي -رحمه الله- في إيراده للأحاديث النبوية في وصيته، فنجده:

- يذكر الحديث أحيانا بلفظه الوارد في كتب الصحاح والسنن، مثل حديث ابن عباس —رضى الله عنه- المشهور، وكذا الشأن في الأذكار التي أوردها.

- وأحياناً أخرى يذكر الحديث بالمعنى: كما في حديث الثلاثة الذين آوهم المبيت في غار فانسد عليهم؛ فدعا كل واحد منهم بصالح عمله، وحديث فإن حِفظَ المال من الدين، ولأن تـُخَلِّفَ لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس [2]

---

(١) خرجه البيهقي في " المدخل "١٨٨/١رقم (٢٠٩) والخطيب في " تأريخه"٢١/٦، والبغوي رقم (١٠٤) قال الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، رَويناهُ في كتابِ "الحُجَّة "بإسنادٍ صحيح .

(٢) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" متفق عليه

- وأحيانا يذكر الحديث ولا يوجد له أصل يروى به، مثل حديث: ما من شابٍ اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كِبَرِه" فلا يوجد له أصل.

- ونجده يذكر الصحيح من الأحاديث، مثل حديث ابن عباس، وحديث الغار، وغيرها.

وأحيانا أخرى يورد الضعيف منها: مثل حديث: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي. .." وهو حديث ضعيف [1].

ونرى ابن الجوزي -رحمه الله- يتساهل في رواية الاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال، علما أن في الصحيح غنية، وفيه أيضا سدا لفتح باب الاستدلال بالمكذوب وغيره.

ثالثاً: سير السلف الصالح رحمهم الله:

كانت مواعظ المتقدمين من السلف وسيرهم مادة خصبة ومعيناً فيّاضاً، للوصية ابن الجوزي -رحمه الله-، لذا نجده يحثّ على النقل والاستفادة والاستشهاد بأخبار السلف ومقالاتهم. قال -رحمه الله-: "فينبغي للواعظ أن يكون عالما بالتواريخ، وسير السلف، حافظا لأخبار الزهاد"[2].وقال أيضاً: "وليكن أكثر اعتماده على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين"[3].

وقد أكثر ابن الجوزي وهو -الجامع لأخبار الصالحين من السلف ومقالاتهم، كما في كتابه صفة الصفوة، من الاستشهاد بمقالات ومواعظ وسير السلف الصالح رحمهم الله في مواعظه ووصاياه.

قال -رحمه الله- عند ذكر جمعه لآلات الوعظ -: "وصنفت كتبا في أخبار الأخيار فمنها كتاب فضائل عمر بن الخطاب وكتاب فضائل عمر بن عبد العزيز و

(١) ضعه الألباني في ضعيف ابن ماجة ١/٦٠. و في الادب المفردص٤١٦.

(٢) القصاص والمذكرين ص١٨٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٢.

الحسن والفضيل وأحمد بن حنبل ومعروف وبشر وإبراهيم بن أدهم وغيرهم من الصالحين وكتاب عيون الحكايات فيه خمس مائة حكاية مسندة"[1].ومن شواهد استدلال بأقوال وأحوال السلف رحمهم الله في وصيته ما يأتي:

١- الاستشهاد بمقالات السلف رحمهم الله وأحوالهم:

- ومثاله: في حديثه عن تعجيل التوبة والندم واستدراك ما فات واغتنام ما بقي من العمر؛ استشهد ببعض آثار السلف، فقال: "قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي ؟ فقال: ما اغبرّت في سبيل الله تعالى؛ وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبَت ما قمتها".

- وأحيانا يستدل بأفعال السلف رحمهم الله، ليحصل بذلك الاتساء والاقتداء، كما في قوله: "وقد كان السلف يغتنمون اللحظات، فكان كَهْمَسُ [بن الحسن التميمي] يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانت رابعةُ لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعَتْ هجعةً خفيفة وقامت فزِعَةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل".

- ونجده في مواطن أخرى يستدل بسمت السلف عموماً، دون نسبة لأحد منهم، كما في قوله: "فالزم نفسَك يا بني الانتباهَ عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيءٍ من أمور الدنيا".

---

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٧٢.

المطلب الثالث

الأساليب الدعوية لابن الجوزي في وصيته

تنوعت الأساليب الدعوية التي استخدمها ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته؛ وهذا بغرض التأثير والإقناع، إذ أن لكل أسلوب ميزته وأثره، ومن أبرز هذه الأساليب، ما يأتي:

أولاً: الموعظة، والترغيب والترهيب:

الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب(١).

والترغيب هو: "هو الخطاب المفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"(٢).والترهيب هو: "هو كلّ ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، وعدم الثبات عليه، وعدم قبوله"(٣).

وقد جاء الحث على استخدام هذا الأسلوب في مقام الدعوة والنصح والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾(٤). وقد أطنب الإمام ابن الجوزي في وصيته في استعمال هذا الأسلوب الدعوي؛ لأنه أليق بالوصية، وأشدّ تأثيراً في متلقيها، ولأن ابن الجوزي رحمه الله كان حامل لواء الوعظ بلا منازع. ومن نماذج ذلك ما يأتي:

- قوله -رحمه الله- في موعظته ولده في ضرورة محاسبة النفس واستغلال الوقت في صالح العمل حيث قال: "وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله، ومقدارَ اللبث في الدنيا قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١٥٧/٣.

(٢) هداية المرشدين ص ١٩٢.

(٣) أصول الدعوة ص ٤٣٧.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥

فأين لذة أمس؟ قد رحلَتْ وأبقَت ندمـًا، وأين شهوة النفس؟ نكّسَت رأسًا وأزلّت قدمـًا".

- ويقول أيضاً: "واعلم يا بني أن الأيام تبسُطُ ساعاتٍ، والساعاتُ تبسُط أنفاسًا، وكلُ نفَسٍ خزانة، فاحذر أن تـُذهِبَ نفسًا في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة فتندم". ويقول -رحمه الله- في الترهيب من سبيل المترفين والترغيب في سبيل الصالحين-: "فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد، أين لذةُ هؤلاء وأين تعبُ أولئك ؟ بقي الثواب الجزيل والذكرُ الجميلُ للصالحين، والمقالةُ القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما شبع مَن شبِع، ولا جاع مَن جاع ".

- ويقول -رحمه الله- في الترغيب في التوبة: "فانتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين، ما دام في الوقت سَعةٌ، واسقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبَتْ لذةُ الكسل فيها، وفاتت مراتبُ الفضائل، وقد كان السلف رحمهم الله يحبون جمعَ كل فضيلة، ويبكون على فوات واحدة منها"

- ويقول عند بيانه لحقيقة الدنيا والترهيب من الاغترار بها: "ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجَد، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة، وعلِم أن اللُبثَ في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا ـــ فرضنا ستين سنة مثلاً - فإنه يَمضي منها ثلاثون في النوم، ونحوٌ من خمس عشر في الصبا، فإذا حسبتَ الباقي، كان أكثرُه في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيرًا، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات ؟! ".

ثانياً: الأمثال:

المثل هو: جملة من القول مقتضية من أصلها، أو مرسلها بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كلّ ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها"[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: المثل: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر[2].

ولضرب الأمثال أثناء العظة والوصية أكبر الآثار، فهي أوقع في النفوس، وأبلغ في التأثير، وأقوى في الزجر[3]، وتظهر أهمية ضرب الأمثال في الوصية، من خلال دقة المثل ووضوحه وقدرته على الإقناع، ومن خلال أغراضه وأثره. ومن جملة ما استشهد به ابن الجوزي رحمه الله من الأمثال لتقريب المعاني: قوله رحمه الله: "وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم". وهذا شطر بيت سار مسار الأمثال يضرب للدلالة على علو الهمة وسمو النفس في طلب المعالي، وقد أتى به ابن الجوزي رحمه الله عند حديثه عن علو همة العبد، وضرورة طلب المعالي وبذل الوسع في ذلك. وقال -رحمه الله-: "من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد"، وهذا مثل يدلّ على فضل القناعة، وسمو القانعين.

ثالثاً: الشعر:

من تدبّر الأشعار وقلّب النظر فيها، وجد أنّ منها ما تكون فيه حكَمٌ صائبةٌ، وعبَرٌ بانيةٌ، تزكّي النفوس وتشحذ الهمم، كما أن فيها ذكرٌ للخير وترغيبٌ فيه، وتعريضٌ بالشر وتحذيرٌ منه. وإنّ توشية الوصية بالأشعار الجميلة الرائقة مما تهتز له النفوس، ويحسن وقعه على الأسماع، خصوصاً إذا كان الاستشهاد مناسباً ملائماً، فيحسن أن تُجَمَّل

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي ١/٢٠.

(٢) أمثال القرآن لابن القيم ص١٧٤ .

(٣) هداية المرشدين ص ١٧٧.

الخطب أحياناً بما يناسب المقام، ويتّصل بالموضوع. والشِّعر أعلق في الذهن من المنثور، فإذا كانت الخطبة متضمّنة لأشعار رائقة، فإنّ ذلك أدعى لطول بقاء أثرها في نفس السامع، لأنّ النفس تستحضر المنظوم من القول أكثر من استحضارها المنثور منه. ولقد كان لابن الجوزي اليد الطولي في قرض الشعر الزهدي، والاستشهاد بشعر من تقدّمه، ومواعظه ووصاياه. كما نجده يحث الخطباء على الاستشهاد بالشعر في الوصايا المواع فيقول: "ولا بأس أن ينشد الأبيات الزهديّات فإنّ من الشعر حكمة"[1].ومن نماذج ما أورده من أشعار في وصيته: قوله -رحمه الله-: أو ما سمعتَ قول الشاعر:

بالليل ما جئتُكم زائرًا إلا رأيتُ الأرض تُطوى لي

ولا ثنيتُ العزمَ عن بابكم إلا تعثّرْتُ بأذيالي

وهذه الأبيات أتى بها في معرض ذكره سعة فضل الله، وإجابته دعاء من دعاه، وكشف كرب من التجأ إليه. ويقول -رحمه الله-: وتلمّح سِيَرَ الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر في ذلك:

و لم أرَ في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمامِ "

وفي هذا استشهاد بالشعر من باب الحث على علو الهمة وطلب المعالي. ويقول -رحمه الله-: "وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه، كما قيل:

يا من بدنياه اشتغل وغرّه طول الأمل

الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العمل"

وفي هذه الأبيات ترهيب من الاغترار بطول الأمل، والتقاعس عن العمل.

رابعاً: إبراز القدوة الحسنة:

الأسوة والقدوة هي: الحالة الّتي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره إن حسنا وإن قبيحا وإن سارّا وإن ضارّا[2].

---

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٦٥.

(٢) التوقيف لمهمات التعريف للمناوي ص ٥١.

وقد جاء الترغيب في ضرورة الاقتداء بالأخيار من الأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[1].

والناظر في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- يجده قد أسهب في ذكر القدوات الصالحة لابنه حتى يحصل الاقتداء بسمتهم ومنهجهم، حيث يقول: "وتلمّح سِيَرَ الكاملين في العلم والعمل". ومن نماذج ذلك:

١- الحث على الاقتداء بحال الأنبياء:

يقول -رحمه الله-: واعلم يا بني أن يونس -عليه السلام- لما كانت ذخيرته خيرًا نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[2].

٢- الحث على الاقتداء بحال السلف رحمهم الله:

يقول -رحمه الله-: "واعلم أني قد تصفحتُ التابعين ومَن بعدَهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس: سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل ؛ وقد كانوا رجالاً إنما كانت لهم همٌ ضعُفَت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثير لهم همم عالية، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب " صفة الصفوة "، وإن شئت " أخبار سعيد " و " أخبار سفيان " و " أخبار أحمد بن حنبل "، فقد جمعتُ لكل واحدٍ منهم كتابًا".

٣- إبراز القدوة في نفسه:

السير على خطا الأسلاف من الآباء والأجداد إن كانوا على السمت الصالح، من أعظم ما يعين العبد على سلوك طريق الخير والرشاد. وقد جعل ابن الجوزي في

---

(١) سورة الممتحنة آية ٦

(٢) سورة الصافات آية ١٤٣/١٤٤.

هذه الوصية من نفسه قدوة لولده، وأكثر من ذكر محلّ القدوة في ذلك، لأنّ الولد صنو أبيه، والتشبّه بالكرام فلاح.

قال -رحمه الله-: "وإني لأذكر لك بعضَ أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي، وتسألَ الموفقَ لي، إن أكثر الإنعام عليّ لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همةٌ عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رُزِقتُ عقلاً وافرًا في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ معَ صبيٍ قط، ولا ضحكتُ ضحكًا جارحًا، حتى إني كنتُ ولي سبعُ سنين أو نحوُها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخيّرُ حلقةَ مشعبذٍ، بل أطلب المحدّث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه. ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعني " المسندَ " وغيرَه من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصبيان يترلون دِجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر ءاخذ جزءًا، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرِّقة فأتشاغلُ بالعلم.

ثم أُلهمتُ الزهدَ، فسردتُ الصوم وتشاغلت بالتقلل وألزمتُ نفسي صبرَها، فاستمرأتُ وشمّرت ولازمت، وأحببتُ السهر، ولم أقنع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتّبع الزهاد. ثم قرأت اللغة ولم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريبًا يقدُمُ إلا وأحضره وأتخيّر الفضائل.

وكنت إذا عرض لي أمران أقدّم في أغلب الأحوال حقَ الحق، فأحسن اللهُ تدبيري وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني، وهيأ لي أسباب العلم، وبعث إلي الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهمَ وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، ولم يُعْوِزني شيئًا من الدنيا، بل ساق إلي مقدارَ

الكفاية وأزيَد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته. وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جُمّةٍ مما يتعاناه الجهال. ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي من العَدْوِ لئلا أُسبَق، وكنت أصبح وليس لي ما آكل أمسي وليس لي شيء وما أذلني الله لمخلوق، ولكنه ساق رزقي لصيانة عِرضي ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرح وها أنا ترى ما قد آلت الحال إليه".

٤- إبراز القدوة بذكر النسب:

طيب الأصل مؤذن بطيب الفرع ولهذا يستدل بصلاح الفرع بصلاح الأصل قال تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1].

ولهذا نادى ابن الجوزي -رحمه الله- في ختام وصيته ينبّه ولده إلى شرف النسب حتى يحذو حذو الأخيار من القرابة والأجداد، قال -رحمه الله-: "يا بني واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر -رضي الله عنه- وأخباره موثقة في كتاب " صفة الصفوة " ثم تشاغلَ سلفنا بالتجارة والبيع والشراء فما كان من المتأخرين مَن رُزِقَ همةً في طلب العلم غيري وقد آل الأمر إليك، فاجتهد أن لا تخيّب ظني فيما رجوتُه فيك ولك".

(١) سورة مريم آية ٢٨

الخاتمة

ها أنذا - بحمد الله - ألقي عصا التسيار متمّماً ما بدأته من البحث في الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لولده المشهورة بـ" لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"

وأختم ببيان الأمور التالية:

١- الوصايا الشرعية لها أهمية بالغة في توجيه الأبناء والأحباب إلى الخير وتحذيرهم من الشر وبيان عاقبته.

٢- الوصية المبرّزة لها صفات عديدة؛ دائرة بين التأصيل العلمي، والحث على التقوى والاستقامة، والتحلّي بكريم الخصال وطيب الفعال.

٣- اتّسمت وصية ابن الجوزي لولده بخصائص عظيمة: فهي تجمع بين الأصالة في مصادرها، والتنوّع في أساليبها ومضامينها، والقوة في بيانها وتراكيبها.

٤- بلغت عناية ابن الجوزي بوصيته لولده الغاية القصوى، واجتمعت فيه آلا الوعظ العلمية والأخلاقية والإيمانية، حتى غدت وصيته علماً مبرّزاً وقدوة يقتدى بها.

٥- نوع ابن الجوزي رحمه الله تعالى في النصح لابنه حتى شملت العقيدة الصافية والعبادة الصحيحة والأخلاق الحميدة،والحث على طلب العلم الشرعي الذي به قوام الدنيا والدين.

٦- ظهرت قوة ابن الجوزي -رحمه الله- في هذه الوصية في براعة الاستهلال وحسن الختام وسهولة الألفاظ وتراكيب الكلام.

وفي الختام أوصي نفسي وإخوتي على نهج منهاج ابن الجوزي في النصح للأبناء فهو نعم الاستثمار في الحياة وبعد الممات وانقطاع الأعمال.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. .

فهرس المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي. ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار .

٢. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط/دار المعرفة - بيروت.

٣. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. شركة مصطفى الحلبي - مصر- ١٣٩٣هـ، ط/٤، تحقيق: مصطفى السقا

٤. أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري. دار الصحابة للتراث - طنطا - ١٤٠٩، ط/١، تحقيق: سمير حلبي

٥. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/٣، ١٤٠٩هـ.

٦. الأدب المفرد، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩هـ، ط/٣، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي

٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م، ط/١، تحقيق: سالم محمد.

٩. أسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني، مكتبة المتنبي، ط/٢، ١٣٩٩ هـ

١٠. أصول الدعوة، د عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٩، ١٤٢٣هـ.

١١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ط/ دار الجيل بيروت م١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

١٢. أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع تأملات وتدبر، تأليف: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني. ط/٢، دار القلم -دمشق- ١٤١٢ هـ.

١٣. الأمثال في الحديث النبوي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني، الدار السلفيةالهند١٤٠٨هـ، ط/٢، تحقيق: د.عبدالعلي عبد الحميد

١٤. البيان والتبيّن: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار صعب، بيروت، ط/١، ١٩٦٨م، تحقيق: المحامي فوزي عطوي.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، تحقيق: المحامي فوزي عطوي دار مكتبة الحياة، بيروت

١٦. تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان - دمشق، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط/١، ١٣٩١هـ.

١٧. تفسير القرآن العظيم: الحافظ أبو الفداء ابن كثير، ط/ دار الفكر، بيروت، ط/ ١٤٠١هـ.

١٨. تلبيس إبليس، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق وتخريج: محمد علي أيوب العباس، ط/ مكتبة القرآن للطباعة.

١٩. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي. دار الفكر - دمشق - ١٤١٠ هـ، ط/١، تحقيق: د. كمال رضوان.

٢٠. جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكَلِم، الإمام زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط/ ٧، ١٤١٧هـ.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط/ دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٢٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. ط/ دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٣ هـ، تحقيق: د. محمود الطحان.

٢٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/٤، ١٤٠٥هـ.

٢٤. ديوان الإمام الشافعي. دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤١٦ هـ، ط/٣، جمع وتحقيق وشرح: د. اميل بديع يعقوب.

٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي. دار الثقافة للنشر والتوزيع - ط/ الدار البيضاء- تحقيق: محمد حجي، وآخرين.

٢٧. صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، ط/ ١، ١٤٠٨هـ.

٢٨. صحيح سنن النسائي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، ط/ ١، ١٤٠٩هـ.

٢٩. صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠. صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٢٤ هـ، ط/١.

٣١. العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي. المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٩هـ، ط/٢.

٣٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م، ط/٢.

٣٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ المكتبة السلفية.

٣٤. الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤٢١هـ، ط/٢، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي

٣٥. القاموس المحيط: للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٣، ١٤١٣هـ.

٣٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٩ هـ، ط/٣.

٣٧. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. ط/ المكتبة العصرية - بيروت- ١٤٠٦هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم.

٣٨. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، ط/ دار النشر، مؤسسة الرسالة- بيروت-

٣٩. لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، ط/١.

٤٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، وابنه محمد، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٤١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ.

٤٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣هـ، ط/٢، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٤٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسبوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار الفكر، بيروت.

٤٤. المسند، الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشّيباني، ط/ الميمنية، وبهامشه منتخب كتز العمال من سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٢، ١٣٩٨هـ.

٤٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.

٤٦. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٧. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. ط/ دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، عام ١٣٩٢هـ.

٤٨. المغني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن قدامه المقدسي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط/١، عام ١٤٠٦هـ

٤٩. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، ط/ دار الفكر بيروت.

٥٠. مفاتح الغيب: (التفسير الكبير)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ، ط١.

٥١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٢. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. دار القلم - بيروت - ١٩٨٤ م، ط٥.

٥٣. منهج الإسلام في تزكية النفس، وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. أنس كرزون. دار نور المكتبات، دار ابن حزم - جدة، بيروت - ١٤٢١ هـ، ط٣.

٥٤. من روائع النصائح والوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد الإمام الحافظ ابو الفرج بن الجوزي،نصح بها ولده أبا القاسم بدر الدين، شرح وتحقيق أشرف عبد المقصود بن عبد الرحيم عفا الله عنه ط/١عام ١٤١٢هـ، مكتبة الإمام البخاري.

٥٥. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول، إعداد مجموعة من المختصين، إشراف د. صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط/١، ١٤١٨هـ.

٥٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. ط/ المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

٥٧. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني الناشر: ط/ إدارة الطباعة المنيرية

٥٨. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ. دار مصر للطباعة:١٣٩٥ هـ، ط/٧.

البحث رقم (٤)

منهج الدعوة الإسلامية
في تحقيق الأمن الاقتصادي

إعداد

د. تركي بن عبدالله السكران

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث نبيّه محمداً -صلى الله عليه وسلم- مؤيّداً بكتابه وكلامه الحق المبين الذي لا ريب فيه،هدى ونوراً ورحمة للعالمين، وحجة بالغة على الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[4] فبلّغه -صلى الله عليه وسلم- أتمّ بلاغ، وأقام الحجّة به على الإنس والجن أجمعين، وتركهم على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن فضله تعالى أنه لم ولن تَخل الأرض من قائم بالدين بحجّة، وداع إلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٠ – ٧١).

(٤) سورة المائدة، الآية: (١٦).

سبيله على بصيرة، هم الطائفة المنصورة، الذين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهم فيما رواه معاوية -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك[1].

وقد قام رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- بواجب البلاغ كما أمره الله تعالى، وكان من جملة ما بلغه ودعا إليه؛ الجانب الاقتصادي لما له من أهمية لا تخفى في حياة الناس.

وقد تتابع الدعاة إلى الله تعالى من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم في بيان منهج الدعوة الإسلامية في تأصيل وتحقيق الأمن الاقتصادي، لما لذلك من تأثير إيجابي فاعل في حياة الناس.

وبالتتبع والاستقراء لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب عن بيان " منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي " ، فعقدت العزم بعد استخارة واستشارة في الكتابة حول هذا الموضوع، سائلا الله أن تسد هذه الدراسة نقصا، أو تكمل بناء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

لدراسة هذا الموضوع أهمية تظهر من خلال ما يلي:

١- حماية الاقتصاد الإسلامي والعمل في ازدهاره.

٢- تشجيع اليد العاملة على تطوير الاقتصاد الإسلامي وتنويع مصادره.

٣- تثقيف الخاصة والعامة في أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي.

٤- إن اتباع ما أنزل الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم- هو سبيل السعادة والفلاح والحياة الطيبة، فيما يتعلق بالأمن الاقتصادي، وترك ذلك سبب للخسران المبين للحياة الكريمة التي منحها الله تعالى لعباده.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب (٤/ ٢٠٧/ برقم: ٣٦٤١).

٥- مما يشاهد في وقتنا المعاصر أن الأمة الإسلامية تواجه كثيراً من التحدّيات الرامية إلى ضرورة التدخّل السريع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأموال المتناثرة التي لم تُستعمل لدعم الجياع من أبناء الأمة الإسلامية، ولا في الدعوة الإسلامية، ولا لدعم أي قطاع يخدم الأمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٦- بيان أن الحفاظ على الأمن الاقتصادي هو العامل الرئيس للنهوض والرُّقي نحو الازدهار، ذلك أن القوة الجوهرية لأي أمة تكمن في قوة عقيدتها واقتصادها.

٧- إظهار جانب من منهج الدعوة الإسلامية في الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وتوظيف الاقتصاد كأداة ووسيلة للدعوة إلى الله تعالى حسب السياسة الشرعية.

أسباب اختيار الموضوع:

جملة أسباب دعت الباحث لدراسة هذا الموضوع، من أهمّها:

١- المساهمة في إيجاد حلول جذرية لحماية الأمن الاقتصادي في المجتمع المسلم نتيجة للظروف الطارئة التي تمرّ بالاقتصاد الإسلامي.

٢- محاولة رسم سبل ووسائل لضبط الإخلال بالأمن الاقتصادي للحيلولة دون المزيد من الانهيارات الاقتصادية سواء من الناحية الأمنية أو الأخلاقية أو العلمية كما هو مشاهد اليوم.

٣- تساهم هذه الدراسة بإذن الله تعالى في بيان منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.

٤- أن من ضمن واجبات الدعاة إلى الله المساهمة في رسم آلية علاجية لما قد تتعرض له الأمة الإسلامية من مشكلات رئيسة، يمثّل الجانب الاقتصادي عنصراً رئيساً فيها.

تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيس، ويتفرع عن هذا السؤال التساؤلات التالية:

١ - هل للدعوة الإسلامية منهج في تحقيق الأمن الاقتصادي؟

٢ - ما مفهوم الأمن الاقتصادي؟

٣ - ما منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في تحقيق الأمن الاقتصادي؟

٤ – ما الخطر الناجم عن العبث بالأمن الاقتصادي؟

٥ – ما دور الدعاة إلى الله في التصدي للعابثين بالأمن الاقتصادي؟

٦ – ما أثر تحقيق الأمن الاقتصادي على الفرد والمجتمع؟

خطوات إجراءات الدراسة:

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وفق خطوات بحثية أهمها:

١ – عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية وكتابتها بالرسم العثماني.

٢ – تخريج الأحاديث، فإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما، فيكتفي بالإشارة إلى مواطنها فيهما، وإن كانت في غيرهما فَيخرّج، وتذكر أقوال أهل العلم في بيان درجتها حسب الإمكان.

٣ – عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة، مع بيان اسم الكتاب، والمؤلف.

٤ – وضع الفهارس الفنية لهذه الدراسة.

خطة الدراسة:

تشتمل الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث، وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة.

الخطة التفصيلية للدراسة:

تتكوّن هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشمل التعريف بمصطلحات الدراسة الرّئيسة.

المبحث الأول: ويشمل الأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، والدروس الدعوية المستفادة من ذلك.

المبحث الثاني: ويشمل خطر الاسراف المادي والعبث بالاقتصاد وأثر ذلك على الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث: دور الدعاة إلى الله تعالى في التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي.

الخاتمة: وتشمل ملخص الدراسة، وأهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

ويشمل التعريف بمصطلحات الدراسة (الأمن- الاقتصاد).التمهيد

أولاً: تعريف الأمن لغة واصطلاحاً:

الأمن لغة: الأمن: ضد الخوف، والأمانة: ضد الخيانة، والإيمان: ضد الكفر، والإيمان: بمعنى التصديق، وضده التكذيب، يُقال: آمن به قومٌ وكذب به قومٌ[1].

الأمن نقيض الخوف، أَمِنَ فلانٌ يأمن أمنا وأمنا[2].

وأيضاً، الأمن: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[3].

ويتّضح خلال التعريفات السابقة أنّ الأمن ضدّ الخوف، وأنّ الأمن هو الطمأنينة في النَّفس، وراحة في البال.

وأما الخوف فهو ضدُّ ذلك، وهو عدم الطمأنينة في النفس، والقلق، والفزع، والهول، والاضطراب النَّفسي الدَّائم.

ويزيد ما سبق وضوحاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾[4].

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٢١/١٣) الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣/١٤١٤هـ، وانظر: العين، لخليل الفراهيدي، (٣٨٨/٨) وانظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي، (٦١٧/١)، وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، (٢٠٧١/٥)، وانظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٣٣/١).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢١/١٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ص (٦٣) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط١/١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٤) سورة النساء، الآية: (٨٣).

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (إذا جاءهم أمر أنهم قد أمنوا من عدوِّهم، أو أنهم خائفون منهم، أذاعوا بالحديث حتى يبلغ عدوَّهم أمرُهم)[1].

ويُلاحظ أن الله تعالى أَمَّن مكة المكرمة لعباده، من أجل ارتياح النفوس فيها لعبادته سبحانه وتعالى، من صلاة، وطواف، وذكر، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[2] والمراد به (مكة المكرمة).

قال مقاتل -رحمه الله-: يعني مكة يأمن فيه كل خائف، وكل أحد في الجاهلية والإسلام ولا تقام فيه الحدود فأقسم الله عز وجل بهؤلاء الآيات الأربع[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[5] فهذه تهيئة للعباد الذين سيفدون إليها، لتكون نفوسهم في غاية الطمأنينة والأمن للإقامة فيها وأداء العبادات المتعددة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن﴾ ﴿لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[6].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (٢٥٣/٧) تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١/١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٢) سورة التين، الآية: (٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، (٧٥١/٤) المحقق: عبدالله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط١/- ١٤٢٣هـ.

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٢٥).

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٢٦).

(٦) سورة الحج، الآية: (٢٦).

الأمن اصطلاحاً: لا يختلف معنى الأمن اصطلاحاً بمعناه اللغوي، ومُلخّص معنى الأمن اصطلاحاً، هو: (الوقاية من كل شرٍّ)، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1].

قال البغوي -رحمه الله-: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم، الذي يخافون، ولقاهم نضرة، حسنا في وجوههم، وسرورا، في قلوبهم)[2].

اتّضح من خلال المعنى الاصطلاحي أن الأمن ضدّ الخوف كما في المعنى اللغوي، ويظهر ذلك في قوله (فوقاهم الله شر ذلك اليوم الذي يخافون)، وأن مفهوم الأمن اصطلاحاً، هو: (نضرة حسنة تظهر على الوجوه، وسرور مُنْبَثِق من القلب)، وقد أشارت الآية الكريمة على كلا المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

ثانياً: تعريف الاقتصاد لغة واصطلاحاً:

الاقتصاد لغة: هُوَ التَّوَسُّط بَين الإِسْرَاف والتقتير[3].

قال الزبيدي: الاقتصاد، يُقال: فلان مُقتصد في المعيشة وفي النفقة، وقد اقتصد، واقتصد في أمره: استقام، وفي البصائر للمصنف: واقتصد في النفقة: توسَّطَ بين التقتير والإسراف.

ومن الاقتصاد ما هو محمود مطلقا، وذلك فيما له طرفان: إفراط وتفريط، كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل، وكالشجاعة، فإنها بين التهور والجبن، وإليه

---

(١) سورة الإنسان، الآية: (١١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) (١٩٢/٥) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١/١٤٢٠ هـ.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، ص (١٦٠) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ.

الإشارة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾[1][2].

والاقتصاد: الأموال القابلة للتملُّك والتقويم والمحدودة الكمية والثَّروة القومية مجموعة القوى المنتجة في الدولة[3]. ويمكن تلخيص معنى الاقتصاد لغة أنه: علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع[4].

الاقتصاد اصطلاحاً: هو الاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، الاعتدال في الدُّخول والإنتاج والمنصرفات، لضمان بقاء الحياة الاقتصادية في جوٍّ معتدل بعيدًا عن التَّدهور والكساد[5].

ويمكن تحديد معنى الاقتصاد من الناحية الاصطلاحية أنه:

"مجموعة من الثروات والأموال والنقود والأثمان والموارد التي يستعملها الإنسان كمصدر للعيش الكريم، بما فيها من صنوف الزروع والمياه أو غير ذلك من الموارد ذات الصِّلة من غير إسراف ولا تبذير فيها".

كما يمكن تعريف الأمن الاقتصادي بأنه: " الثقة في إمكانية الانتاج والتوزيع بطريقة عادلة وبدون معوقات " [6].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٦٧).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ص (٣٦/٩) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر / محمد النجار) (٩٥/١) باب: الثاء، الناشر: دار الدعوة بدون تاريخ، وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي، (٦٢/١).

(٤) المرجع السابق، (٢/ ٧٣٨).

(٥) خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، محمد إبراهيم برناوي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١/١)تاريخ الطبعة، ربيع الآخر-رمضان ١٤٠١هـ، بدون عدد الطبعة.

(٦) منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، إعداد: معن خالد عبد الله القضاة، وأصل هذا البحث، رسالة علمية قدمه صاحبه استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي من كلية الشريعة في جامعة اليرموك، ص (٦) تاريخ ١٩٩٦م-١٤١٧هـ.

ويمكن للباحث إجمال معنى الأمن الاقتصادي بأنه:

"ضمان ازدهار العوامل الانتاجية المتعلقة بالثروات والحفاظ على مستوى المتانة الاقتصادية ومنع ركودها، ومكافحة تضخُّمِها".

المبحث الأول

الأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك

توطئة:

لم يضع الشَّارع الحكيم مصلحة للإنسان إلا لخدمته، وهذا يظهر كرامة الله التي حظي بها الإنسان، وهي من نعم الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2].

ومن نعم الله تعالى على عباده أن بسط لهم الرِّزق الطَّيب بقدر ما يُبقيهم طائعين لله خاضعين له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

ومن الملاحظ أن الله تعالى قارن بين عبادته وبين الرزق، فإذا حظي العبد برزق الله تعالى وجب عليه أن يُكرّس ذلك في شكره سبحانه وتعالى ويتضمّن شكره عبادته، لأنهما متلازمان.

قال تعالى حكاية عن طبيعة نفس البشر وما يعتريها من وساوس الشيطان ونزغاته التي تُفضي به إلى الانفلات من طاعته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٣٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٧٠).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (١٧).

(٤) سورة الشورى، الآية: (٢٧).

ومع هذا القدر المحكَّم من لدن حكيم خبير، فقد بغى بعض الخلق لتوظيفهم رزق الله تعالى الذي رزقهم به في معصية الله تعالى وبما فيه الإسراف والإخلال بتأمين هذا الرزق الحسن الرَّبَّاني، فأصبح ذلك ضرراً عليهم وعلى الفقراء والمساكين، حيث لا هم استفادوا من أموالهم في وجه حقٍّ، ولا هم اعطوا الفقراء والمساكين حقوقهم كما هو مُقرّر شرعاً.

أولاً: النصوص الشرعية من القرآن الكريم الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[1].ووجه الاستدلال بالآية الكريمة:

قال أبو الليث السمرقندي: (قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ يعني: دروع الحديد، وذلك أن داود عليه السلام خرج يوماً متنكراً ليسأل عن سيرته في مملكته، فاستقبله جبريل عليه السلام على صورة آدميّ فلم يعرفه داود فقال: كيف ترى سيرة داود في مملكته؟ فقال له جبريل عليه السلام: نِعْمَ الرجل هو، لولا أن فيه خصلة واحدة! قال: وما هي؟ قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال، وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده، فرجع داود عليه السلام وسأل الله عز وجل أن يجعل رزقه من كدّ يديه، فألان له الحديد، وكان يتّخذ منها الدروع ويبيعها ويأكل من ذلك، فذلك قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ يعني: ألهمناه، ويقال: عَلَّمْناهُ بالوحي ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[2] يعني: يمنعكم

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

قتال عدوكم[1].

ومما يُقوّي هذه الرواية التي أوردها أبو الليث السمرقندي في تفسيره، أنه ثبت في صحيح البخاري من حديث المقدام عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده)[2].

ومن أوجه الاستشهاد بالآية أيضا:

أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[3] وما فيها من تعليم الله تعالى لداود عليه السلام صنعة لبوس يُفسّر نظرية الاقتصاد المعروفة بمبدأ (الانتاج مُقدَّم على الاستهلاك) لأن الله تعالى أراد من عبده داود عليه السلام أن يكون مُنتجاً لا مُستهلكاً، بجامع أنَّ عملية الانتاج تُؤمِّن الاقتصاد وتُحافظ على ازدهاره، بخلاف الاستهلاك فإنه عامل ركود إن لم تُصاحبه دوّامة الانتاج.

ويتَّضح منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي من خلال هذه الآية بالآتي:

١- أنَّ على الداعية أن يكون حريصًا على الاكتفاء الذاتي، فيما يتعلق بزاد الداعية واحتياجاته اليومية لدعم الدعوة، ومنهج الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله خير قدوة للدعاة، وما جاء عن داود عليه السلام خير دليل على ذلك.

٢- وكما أنّ على الداعية أن يدعوا الناس الى عبادة الله وحده ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فعليه أيضاً أن يدعوهم ويحثُّهم على اصلاح الاقتصاد

---

(١) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) (٢/ ٤٣٥). بدون تاريخ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (٣/٥٧/٢٠٧٢).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

والعمل الرامي إلى الانتاج، وتوعيتهم بمخاطر الاستهلاك الذي يُؤدِّي في النهاية إلى الركود الاقتصادي إذا ما ركّز الناس على الاستهلاك فقط دون الإنتاج.

٣-كما تدل الآية الكريمة أيضاً على أولوية الانتاج وأهميته في حياة الفرد والمجتمع، وأن الدعوة الإسلامية تهدف فيما تهدف إليه إلى إصلاح شؤون حياة للناس وفق الشريعة الإسلامية، وأن القاعدة المعمول بها في هذا، هي (عدم التفريق بين الحياة والدين) بخلاف مَن زعم أن الحياة والدين شيئان مُضادَّان، والرّد على هذه النظرية أن داود عليه السلام إنما أُرسل إلى قومه لإبلاغ دين الله تعالى، ومع ذلك فإنّ الله تعالى خاطب نبيَّه وأمرَهُ في الآية بـ ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهذا يرمي إلى شؤون الدّين والحياة معاً وذلك لِسَبَبَيْن:

١- أمَّا ما يرمي إلى شؤون الحياة في الآية الكريمة، فإنَّه يمكن انتاج ما يتم صنعه من لبوس لتوفير المال وجعْل ذلك ضمن الموارد الاقتصادية تُعين الداعية على العيش الكريم والاكتفاء الذاتي، والانفاق على المستحقين من الفقراء والمساكين من المدعوين.

٢- أمَّا ما يرمي إلى شؤون الدِّين المحضة، قوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾[1] أي: يمنعكم قتال عدوِّكم[2]، وهذا في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد من الدّين، وهو سنة الأولين والآخرين للأنبياء والرسل عليهم السلام ولأتباعهم، وهو من أهمّ ركائز الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان لحماية الدعوة والمدعوين إذا ما لزم ذلك.

فاتّضح ممَّا سبق التَّلازم من خلال هذا التحليل العلمي بين الحياة والدين وتعذَّرَ التَّفريق بينهما.

---

(١) سورة الأنبياء: (٨٠).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٤٣٥).

٢- قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1].

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ قال أبو الحسن الواحدي -رحمه الله-:(أما السبع بقرات السمان فإنها سبع سنين مخصبات وذوات نعمة، وأنتم تزرعون فيها، وهو قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾أي: فازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ قال ابن عباس: متوالية.

والدَّأب: استمرار الشَّيء على عادة، وهو دائب يفعل كذا، أي: استمرَّ في فعله، وقد دأب يدأب دأبًا ودأبًا.

والمعنى: زراعة مُتوالية في هذه السِّنين على عادتكم فَمَا حَصَدْتُمْ مما زرعتم ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾يعني: ما أردتم أكله فدوسوه، ودَعُوا الباقي في السُّنبل، لأنه أبقى له وأبعد عن الفساد ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني: سبع سنين مجدبات، والشّداد: الصّعاب التي تشتدُّ على الناس يَأْكُلْنَ يذهبن ويفنين ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾في السّنين المخصبة: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون وتُدَخِّرون[2].

---

(١) سورة يوسف، الآية: (٤٧ - ٤٩).

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، (٦١٦/٢) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ د. عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

وجه الاستشهاد بالآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ يُفيد الحث على استمرارية الانتاج ودوّامته، وبيان أهميته، والهدف من هذا الحفاظ على استقرار الاقتصاد المحلي واحتياطية الغذاء التي تضمن حفظ استمرارية حياة الناس عندما يأتي وقت الجدب.

قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾يُفيد الحث على تأمين المحصول المنتوج، وهذا التحليل العلمي يُفسِّر نظرية (**تدوير الْمُنْتَج**) الاقتصادية، ليكون الاقتصاد أكثر متاناً وثباتاً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾يُفيد الحِفاظ على القدر الكافي لاحتياج الإنسان اليومي، والكف عن استهلاك ما دون الحاجة، وهذا ضمن مفهوم مصطلح (الأمن الاقتصادي) وهذا ما ورد في الحديث الشريف من حديث مقدام بن معدي كرب، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)[1].

ذلك أن استهلاك ما فوق الحاجة إسراف وتبذير ويُسبّب هذا إنهاك الاقتصاد وركوده، ويتناقض ذلك مع مفهوم كلمة (الاقتصاد) ومقاصدها.

ويتَّضح منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي خلال هذه الآية:

١- أنَّ على الداعية (أن لا يتأخّر عن البيان في وقت الحاجة)، وهذا من القواعد الأصولية التي يُستفاد منها في تحقيق الدعوة الإسلامية في الوقت المناسب،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، (٤/٥٩٠/٢٣٨٠)، وأخرجه ابن ماجه، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (٢/١١١١/٣٣٤٩) وقال ناصر الألباني رحمه الله حديث صحيح، انظر: رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (١/٢٣٩/٥٢١) الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، تحقيق: محمد ناصر السدين الألباني.

وهذا ما فعله يوسف عليه السلام حيث استفتى الفتى يوسفَ عليه السلام عن رؤية رآها في نومه، فبيَّنَ يوسفُ عليه السلام مآل قومه، بالإضافة إلى إيجاد حلولٍ لهم حين تقع الواقعة.

٢- أنّ على الداعية التخوُّل بالدعوة وأن لا يكون تركيزه في الدعوة على أمر واحد، بل يُنوِّع مسار دعوته في جميع شؤون الحياة، لأن يوسف عليه السلام لم يدع مجالاً من مجالات الدعوة إلا واستدمه، ومن ذلك تعبير الرُّؤيا لما في ذلك من مصالح الناس إذا كان الداعية مُلمًّا بذلك، فقد ورد من حديث أبي قتادة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها، فإنها لا تضره)[1].

٣- أنَّ على الداعية أن يُحذِّر المدعوين من مخاطر وعواقب العقوبات العامة التي تنزل بالناس بعمل الخاصة، وهذا بالنظر إلى ما أرادت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام، وعاقبة فعلها على العامة.

٤- أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ يُفيد الأمن الاقتصادي، وهو استعمال الاقتصاد على قدر الحاجة، وتأمين ما لا تدعو الحاجة إلى استعماله واستهلاكه.

وهذا ما يؤيِّده الحديث الشريف، حيث قسَّم النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- ما تدعوا الحاجة إلى استهلاكه بوضع قاعدة عامة له، وهي:

الثُّلث: لطعامه.

والثُّلث: لشرابه.

والثُّلث: لنفسه.

وهذا التَّقسيم الثُّلاثي يضمن تأمين ما لا تدعو الحاجة إلى استعماله، إلى حين احتياج المستهلك إليه، وهو المفهوم الحقيقي لكلمة (الاقتصاد)، لأن مفهوم الاقتصاد يرمي إلى نبذ فساد الثروة من دون حاجة، وتبعات هذا الفساد على

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية (٧/١٣٣/٥٧٤٧).

النُّمُوّ.

٣- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[١].

وجه الاستدلال بالآية الكريمة: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ يفيد الحثّ على الانتاج، لأن الحرث المراد في الآية هو الكسب عن طريق انتاج المزروع.

قال ابن قتيبة -رحمه الله-: الحَارِث الكاسب يُقَال حرث فلَانٌ إِذا كسبَ واحتراث المَال كَسبه وَلَيْسَ من أحد إِلَّا وَهُوَ يحرث قَالَ الله عز وجلّ: { مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا }[٢] أَي من كَانَ يُرِيد كسب الآخِرَة نضاعف لَهُ كَسبه يُرِيد تَضْعِيف الحسَنَات وَمن كَانَ يُرِيد كسب الدُّنْيَا نؤته مِنْهَا[٣].

وفي الحديث: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يقولنَّ أحدُكم: زرعتُ ولكن ليقل: حرثتُ" قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[٤][٥].

---

(١) سورة الواقعة، الآية: (٦٣ – ٦٥).

(٢) سورة الشورى، الآية: (٢٠).

(٣) غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، (٢٨٦/١) المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، ط١/ ١٣٩٧هـ.

(٤) سورة الواقعة، الآية: (٦٤).

(٥) أخرجه ابن حبان في الإحسان، (٥٧٢٣/٣٠/١٣) وأخرجه ابن جرير الطبري في " التفسير " (٢٧/ ١١٤) والبزار (١٢٨٩) والطبراني في " الأوسط " (١/١٤٩/١- الظاهرية)، وأبو نعيم في " الحلية " (٨ / ٢٦٧) والسهمي في " تاريخ جرجان "(٣٦٩)، والبيهقي في " السنن " (٦ /

ويُلاحظ هنا أنَّ من حكمة الله تعالى أنه لم يقل (أفرأيتم ما تأكلون) لأنَّ الخطاب لو جاء بهذا النحو لكان الحثّ على الاستهلاك مُقدّماً على الحث على الانتاج، وهذا نقيض مفهوم الاقتصاد، بل جاء الخطاب في التَّأكيد على أهمية الانتاج والاستكثار، وهذا ما ذكرتُه سابقاً ضمن قواعد علم الاقتصاد المعروفة بـ (الانتاج مُقدَّم على الاستهلاك) وهذا ما ورد في الآية الكريمة.

وبناءً على قاعدة: (بضدِّها تتبيَّن الأشياءُ) فقد جاء هذا الضّد في الآية الكريمة لتكون المقاصد أكثر وضوحاً، وهو قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ فالآية السَّابقة كانت تُحثّ على الانتاج وتبلوُر الاقتصاد وتأمينه، فعُرف أهمية ذلك بضدِّه وهي العواقب الناجمة عن عدم حصول الاقتصاد على التأمين بعد انتاجه واستثماره، فجاءت في هذه الآية الكريمة قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ فعُلم أن العاقبة تكون وخيمة إذا خلى الاقتصاد من التَّأمين والحفظ.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذي زرعناه حُطامًا، يعني هشيمًا لا يُنْتفع به في مطعم وغذاء)[1].

وقال الماوردي -رحمه الله-: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ يعني الزرع، والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به، فنبَّه بذلك على أمرين:

---

١٣٨) وفي " شعب الإيمان " أيضا (٤ / ٢٨٠١) كلهم، من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرمي، قال ناصر الدين الألباني: حديث صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (٦/٧١٥/٢٨٠١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (١٣٩/٢٣) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

أحدهما: ما أولاهم من النِّعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه.

الثَّاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم[1].

بناءً على هذا التَّنبيه على الأمرين المذكورين على لسان الماوردي -رحمه الله- اللَّذَين جاء تقسيمهما على قسمين الانتاج والاستهلاك بإيراد قاعدة (بضدِّها تتبيَّن الأشياء) سابقاً.

ثانياً: النُّصوص الشَّرعية من السُّنة النَّبوية الشَّريفة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك:

جاءت أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي في السنة النبوية الشريفة، من ذلك:

قوله -صلى الله عليه وسلم-: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا، في غير إسراف ولا مخيلة، وقال ابن عباس:" كلْ ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف، أو مخيلة"[2].

وجه الاستدلال بالحديث النبوي:

قوله -صلى الله عليه وسلم-، (كلوا واشربوا.....في غير إسراف ولا مخيلة).

يُفيد أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ونبذ الإخلال بأمنه بإسراف أو مخيلة أو سائر أوجه التبذير المنهي عنه شرعاً.

"وما ورد في السنة المطهرة، من ضبط لعناصر الإنتاج والتوزيع والاستهلاك في المجتمع المسلم، حتى يتحقق له الأمن الاقتصادي، وهو جانب مهم من الأمن

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، (٥/٤٦٠) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. بدون تاريخ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٧/١٤٠).

الشامل الذي يحققه الإسلام للمجتمع المسلم"[1].

ومن المؤيّد لما سبق أنَّ الحديث الشريف شمل جميع جوانب الاقتصاد، من:(انتاج، وتوزيع، واستهلاك)، سواء كانت الشُّمولية منطوقةً أم غير منطوقة.

أما الانتاج: فهو منطوق في الحديث، وذلك في قوله -صلى الله عليه وسلم- (كلوا واشربوا) والأكل والشرب من الاستهلاك، والقاعدة الاقتصادية تقول: (الانتاج مُقدَّم على الاستهلاك) وتقديم الاستهلاك هنا على الانتاج، ليس على إطلاقه، ذلك أن الحاجة دعت إلى تربية الناس على كيفية الاحتفاظ بالْمُنْتَج بعد انتاجه فلم يَعُدْ لذكر الانتاج فائدة هنا، فتقدّم الاستهلاك على الانتاج مجازاً، وتقدَّمَ الانتاج على الاستهلاك مفهوماً، لأنّه من المعلوم أن الأكل والشرب لا يَسْبِقُهُمَا الانتاج، وهذه الدقّة العلمية تدلّ على جوامع الكلم النَّبوية الشريفة.

أما التوزيع: فهو غير منطوق إلا أنه من لوازم الاقتصاد بعد الانتاج، لضمان استمرار التبلور الاقتصادي، وهو (التصدير)، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (كلوا واشربوا) يُفسّر ذلك، إذِ الأكل والشرب يَتِمَّان بعد توزيع الْمُنْتَج.

أما الاستهلاك: فهو منطوق أيضاً وهو ضمن مفهوم الأمن الاقتصادي، وهو استهلاك القدر المحتاج من الْمُنْتَج دون إسراف، وهذا ما ورد في الحديث النبوي الشريف في قوله: (.....في غير إسراف ولا مخيلة)، إذِ الإسراف والمخيلة من دون حاجة يُعدّ إخلالاً بالأمن الاقتصادي وحاجزاً لنموّه وتحفيزه.

ويتّضح منهج الدّعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي من خلال الحديث الشّريف السَّابق.

بأنَّ على الداعية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك توعية

---

(١) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، من منشور وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، (٧٠/١)، بدون تاريخ، وانظر: الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري، الناشر: وزارة الأوقاف، (١٧/١) بدون تاريخ.

المدعوين بخطر الإسراف والعواقب الوخيمة الناجمة عن الإسراف وعدم المبالاة بالأمن الاقتصادي، وهذه العواقب قد تكون عقوبة جماعية، إذ قد يكون السبب في ذلك عمل الخاصة وسكوت العامة عنه، فتعمُّ العقوبة على الجميع، أو أن تكون العقوبة نتيجة عمل العامة، وهذا أشدّ من الأول، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[1]، ذلك أنَّ كُفر النِّعم المذكورة في الآية كان عملاً ارتكبه الجميع من أهل القرية، فعمّهم العقاب، وهو أشدّ العقوبة مُقارنة بعقوبة العامة بفعل الخاصة.

قال الماوردي -رحمه الله-: (قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾يريد بالقرية أهلها ﴿ءَامِنَةً﴾ يعني من الخوف،﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ بالخصب والدعة،﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾فيه وجهان:

أحدهما: أقواتها.

الثاني: مرادها،﴿رَغَدًا﴾**فيه وجهان:**

أحدهما: طيباً.

الثاني: هنيئاً.

﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني منها بالزراعة، ومن غيرها بالتجارة، ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعمُّ في النّعمة عليها.

{فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ} يحتمل وجهين:

أحدهما: بترك شكره وطاعته.

الثاني: بأن لا يُؤدّوا حقّها من مُواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات، وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً أقاويل:

---

(١) سورة النحل، الآية: (١١٢).

أحدها: أنها مكة، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون كالبوادي[1].

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾وسماه لباساً لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللّون وسوء الحال ما هو كاللباس، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز[2] وهو الوبر يخلط بالدم، والقِد أديم يؤكل، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: أنها المدينة آمنت برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها من الفتن، وهذا قول عائشة وحفصة-رضى الله عنهما-.

الثالث: أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى[3].

ومن المهمّ أن نعلم أهمية ما ذهب إليه الإمام الماوردي رحمه الله في تفصيل هذه الآية، وفكّ غموضها وفق مقاصد الشارع.

أما قول الماوردي -رحمه الله-: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾**يحتمل وجهين:**

أحدهما: بترك شكره وطاعته.

الثاني: بأن لا يُؤدّوا حقّها من مُواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات).

فهذا يدلّ على خطر كُفر النِّعم المذكور في الآية، وهذه الآية تتلازم من حيث المقصد بما ورد في الحديث، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: (**كلوا واشربوا**

---

(١) النكت والعيون، للماوردي (٣/٢١٨).

(٢) قال أبو الهيثم فيما أخبرني عنه المنذري: العلهز: دم يابس يدق به أوبار الإبل في المجاعات ويؤكل، وأنشد: عن أكلي العلهز أكل الحيس، انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، (٣/١٧١) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.

(٣) النكت والعيون، للماوردي (٣/٢١٨).

والبسوا وتصدَّقوا، في غير إسراف ولا مخيلة) ومن الخطأ أن يتغافل المرء الغني عن حقّ الفقير، وهذا الذي حثّ عليه الحديث، أن تأكل وتشرب وتتصدّق على المحتاج، فإن التغافل عن ذلك، يُعدّ كفراً للنّعم المعطاة.

والسياسة الشرعية في حفظ الأمن الاقتصادي ومنهج الدعوة الإسلامية في ذلك، هي إنفاق الاقتصاد في وجهه الصحيح الذي أمر به الشارع، وإلا فإن التغافل عن ذلك، يُسبب الكدّ في العيش للطبقات الفقيرة، وهذا نقيض مراد الله تعالى في الآية، ويُحتمل إحلال العقوبة لحسم التبلور الاقتصادي والقضاء عليه كُلّيًا، بالإضافة إلى انهاء رغد العيش في المجتمع، وإحلال الكد محل الرغد وكافة الظروف الصعبة في الحياة.

ومن الأحاديث الواردة في عقوبة العامة بفعل الخاصة:

عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: قال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[1].

وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (١٠٥).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، (٤٦٧/٤) قال ناصر الدين الألباني ~، هذا حديث صحيح، انظر: (صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني ٣٩٨/١).

المبحث الثاني

خطر الإسراف المادي والعبث على الاقتصاد وأثر ذلك على الفرد وا لمجتمع

توطئة:

من المهمّ أن يعلم العبد أن الإسراف منهيٌ عنه، سواء في الجانب الاقتصادي أو الجوانب الأخرى.

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[1].

قال ابن عباس –رضى الله عنه– في تفسير هذه الآية: (قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ ﴾ قال: هم الذين ينفقون المال في غير حقه[2].

وهذا عينُ التحذير من خطر الإسراف المادي والعبث بالاقتصاد، ومن الخزي على المسرف والعابث بالاقتصاد أنه دخل في وصف الله تعالى له (بإخوان الشّياطين).

وما أحسن ما قاله الإمام البيهقي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية حيث قال: (وقال في صفة الذين سماهم عباد الرحمن ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[3] فاشتملت هذه الآيات كلها على الأمر بالاقتصاد والنهي عن الإسراف وذلك موافق للنهي عن الإسراف في الأكل والشرب؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[4] فإذا كان الإسراف في الأكل والشرب ممنوعًا، وجب أن يكون الإسراف في الإنفاق ممنوعًا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٢٦ – ٢٧).

(٢) الدر المنثور، للسيوطي (٥/٢٧٤)الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٦٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٣١).

لأن ذلك إنما يكون بصرف المال في أكثر مما يحتاج إليه من المأكول والمشروب، وذلك الأكثر ممنوع من أكله فينبغي أن يكون صرف المال في الممنوع ممنوعًا وحدُّ السَّرف في الأكل أن يجاوز الشبع ويثقل البدن حتى لا يمكن معه أداء واجب ولا قضاء حق إلا بحمل على البدن وليس السرف في الإنفاق كل ما ذكرنا، لكن في المسكن والملبس والمركب والخدام من السرف مثل ما في الطعام والشراب، فأما الإنفاق فيما يبقى وينمو فليس بسرف كشرى الضياع والمواشي للنسل لأن هذه تغل وتنمو، فيزداد بما يصرف فيها أضعافه[1].

وقال البيهقي أيضاً: (ومما يدخل في جملة التبذير والإسراف أن لا يبالي الواحد فيما يشتري ويبيع كأن يغبن أو يغبن فيبيع بوكس ويشتري بفضل، وبسط الكلام فيه إلى أن حكى عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[2] قال الرجل: يشتري المتاع فيرده ويرد معه دراهم، قال: وكل هذا ممنوع وهذا الوجه هو الموجب للحجر وكذلك الإنفاق في الملاهي والشهوات المحرمة من التبذير الموجب للحجر والوقف فأما إذا اشترى طعاما أكثر من حاجته أو لباسا أو خادما أكثر من حاجته فهو وإن كان سرفا فليس من السرف الموجب للحجر لأنه يستبدل بالملك ملكا يوازنه، وإنما ينبع الإسراف منه في الانتفاع بما ملكه")[3].

ويتّضح مما سبق نقله أهمية الحفاظ على الانفاق، وخطر الإسراف المادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع على حد سواء.

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، (٤٨٨/٨)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١/ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٨).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) (٤٨٩/٨).

خطر الإسراف المادي والعبث الاقتصادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع:

يمكن بيان خطر الإسراف المادي والعبث الاقتصادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع من خلال ما يأتي:

١- أنَّه يمنع إيصال الحقوق المشروعة للفقراء والمساكين، ويَنْجُم عن ذلك عقوبة تَحِلُّ بالمانع، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

قال المراغي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (أي ولا يظنّ أحدٌ أن بُخْلَ الباخلين بما أعطاهم الله من فضله ونعمه هو خيرا لهم، لأنهم مطالبون بشكران النعم، والبخل بها كفران لا ينبغي أن يصدر من عاقل.

والمراد من البخل بالفضل البخل به في أداء الزكاة المفروضة، وفي الأحوال التي يتعين فيها بذل المال كالإنفاق لصد عدو يجتاح البلاد ويهدد استقلالها، ويصبح أهلها أذلة بعد أن كانوا أعزة، أو إنقاذ شخص من مخالب الموت جوعًا.

ففي كل هذه الأحوال يجب بذل المال، لأنه يجرى مجرى دفع الضرر عن النفس.

وليس الذّم والوعيد على البخل بما يملك الإنسان من فضل ربه، إذ أن الله أباح لنا الطيبات لنستمتع بها، ولأن العقل قاض بأن الله لا يكلف الناس بذل كل ما يكسبون ويبقون عراة جائعين، ومن ثَمَّ قال في حق المؤمنين المهتدين ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2] وجاءت الآية بطريق التعميم ترغيبًا في بذل المال بدون تحديد ولا تعيين، ووكل أمر ذلك إلى اجتهاد المؤمن الذي يتبع عاطفة الإيمان التي في قلبه، وما

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣).

تحدثه في النفس من أريحية بذل الواجب والزيادة عليه، إذا هو تذكَّر أن في ماله حقا للسائل والمحروم.

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي هو شرٌّ عظيم لهم، وقد نفى أولاً أن يكون خيرًا ثم أثبت كونه شرًّا، لأن المانع للحق إنما يمنعه لأنه يحسب أن في منعه خيرا له، لما في بقاء المال في يده من الانتفاع به في التمتع باللّذات، وقضاء الحاجات، ودفع الغوائل والآفات، ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي سيجعل ما بخلوا به من المال طوقًا في أعناقهم، ويلزمهم ذنبه وعقابه، ولا يجدون إلى دفعه سبيلاً، كما يقال: طوَّقني الأمر أي ألزمني إياه.

وخلاصة هذا إن العقاب على البخل لازم لا بدّ منه)[1].

وقال السمرقندي -رحمه الله-: (قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي بما أعطاهم الله من المال، يبخلون ويمنعون الزكاة والصدقة وصلة الأرحام، فلا يظنوا أن ذلك ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ يعني: أن البخل شرٌّ لهم، ويقال: الفضل شرٌّ لهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾يقول سيوثقون مَا بَخِلُوا بِهِ من الزكاة كهيئة الطوق، وروي عن ابن عباس أنه قال: يأتي كترُ أحدهم، شجاع أقرع له زبيبتان طوقاً في عنقه، يلدغ خديه ويقول: أنا الزكاة التي بخلت بي في الدنيا وروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحو هذا فذلك قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ويُقال: هو طوق من نار في عنقه، ويقال: هو على وجه المثل، يعني وبال ذلك في عُنقهم كما قال في آية أخرى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[2][3].

---

(١) تفسير المراغي، (١٤٦/٤)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

(٢) سورة الإسراء، الآية: (١٣).

(٣) بحر العلوم، للسمرقندي (٢٦٩/١).

وفي الحديث:(عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾[1].

٢- إنَّ الإسراف والعبث بالاقتصاد يكون أثره على الفرد العقوبة العاجلة قبل الآجلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[2].

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم ﴿مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾، يقول: أعطى الله عهدًا ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالاً ووسَّع علينا من عنده.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾، يقول: لنخرجنَّ الصَّدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربُّنا ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، يقول: ولنعملنّ فيها بعَمَل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله، يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله وأتاهم من فضله ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾، بفضل الله الذي آتاهم، فلم يتصدّقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه في حق الله ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾، يقول:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٠)، والحديث من صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مانع الزكاة (٢/١٠٦/١٤٠٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٧٥ – ٧٧).

وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، عنه ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ الله ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدُوا الله، ونقضهم عهدَه في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾، من الصَّدقة والنَّفقة في سبيله ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾، فيقيلهم، وحَرَمهم التَّوبة منه، لأنَّه جلَّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنَّه أعقبهم إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا[1].

٣- إنَّ الإسراف والعبث الاقتصادي بوجه غير شرعي، بما في ذلك عدم إنفاقه على الفقراء والمساكين وإخراج زكاته، يعود على مالك المال بشرٍّ محتومٍ.

وفي الحديث الشريف: عن جابر -رضي الله عنه-، قال: قال رجل من القوم: يارسول الله، أرأيتَ إذا أدَّى رجلٌ زكاةَ ماله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من أدَّى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شرُّه)[2].

وقد جاء الشّر هنا نكرةً، لتُغَطِّي كافة أنواع الشّر المحتملة.

٤- إنَّ أهمّ خطر بالغ للإسراف والعبث الاقتصادي هو تعاطي الرّبا المنهي عنه شرعاً، وينجم ذلك تعرُّض المجتمع على الحرب من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (٣٦٩/١٤) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، (ت: ٣٦٠هـ)، (١٥٧٩/١٦١/٢) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، وقال ناصر الدين الألباني: حديث حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، (١٨٢/١) الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط٥/ بدون تاريخ.

وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[1].

قال الخازن -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (فإن لم تفعلوا أي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه فأذنوا قرئ بكسر الذّال والمدّ على وزن آمنوا ومعناه: فأعلموا غيركم أنه حرب لله ورسوله.

وقرئ فأذنوا بفتح الذّال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، قال ابن عباس يُقال لآكل الرِّبا يوم القيامة: خذْ سلاحَك للحرب، قال أهل المعاني:

حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب، وقيل: بل المراد منه نفس الحرب وذلك أن من أصر على أكل الربا وعلم به الإمام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس إلى أن تظهر منه التوبة وإن كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية، قال ابن عباس: من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع أي تاب وإلا ضرب عنقه وإن تبتم أي إن تركتم أكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال، ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال)[2].

وقد فصَّل أبوبكر الجزائري تفسير هذه الآية حيث قال: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا ﴾اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الرِّبوية.

﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ ﴾ اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم سلاح فإنكم المهزومون الهالكون.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٨ – ٢٧٩).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٢١٢/١) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/١٤١٥هـ.

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بعد التوبة مالكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا.

معنى الآيات:

بمناسبة ذكر عقوبة آكل الربا في الآيات السابقة نادى الله تعالى عباده المؤمنين آمراً إياهم بتقواه تعالى، وذلك بطاعته وترك معصيته، وبالتخلي عما بقي عند بعضهم من المعاملات الربوية مذكراً إياهم بإيمانهم إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه فعل ما يأمره به وترك ما ينهاه عنه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ثم هدد المتباطئين بقوله: فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب قاسية ضروس من الله ورسوله، ثم بيَّن لهم طريق التَّوبة وسبيل الخلاص من محنة الرِّبا بقوله: وإن تبتم بترك الربا فلكم رؤوس أموالكم لا غير لا تظلمون بأخذ زيادة، ولا تظلمون بنقص من رأس مالكم، وإن وجد مدين لكم في حالة إعسار فالواجب انتظاره إلى ميسرته، وشيء آخر وهو خير لكم أن تتصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلها تطهيراً لأموالكم التي لامسها الربا وتزكية لأنفسكم من آثاره السيئة، ثم ذكر تعالى سائر عباده يوم القيامة وافيه من أهوال ومواقف صعبة حيث يتم الحساب الدقيق وتجزي فيه كل نفس مؤمنة أو كافرة بارة أو فاجرة ما كسبته من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم أو زيادة سيئاتهم)[1].

ولهذه الآية فوائد من أهمّها:

١- وجوب تجنُّب الرّبا بكافة أشكاله، بما فيه آكله وموكله وشاهده وكلّ ما

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (٢٧٢/١) ط٥/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وانظر: الفتاوى الاقتصادية، لمجموعة من المؤلفين، مصدر الفتاوى، المكتبة الشاملة، (١٣٠٤/١).

له صلة به.

٢- أن الرّبا يلحق بصاحبه الهلاك عاجلاً وآجلاً.

٣- أنّه يستوجب على المسلم نصح الآخرين بخطر تعاطي الرّبا للخروج من عهدة التكليف الذي إذا سكت المرء عنه استوجب عقابًا جماعياً.

٤- أن تجنّب الرّبا هو من أهمِّ سبل الأمن الاقتصادي، وضمان نجاح الخلاص من عقاب الله تعالى وسخطه.

٥- أن الرّبا هو العامل الأساس في الإخلال بالأمن الاقتصادي، بالإضافة إلى ركوده وعدم تبلور الانتاج بما يضمن نيل كافة شرائح المجتمع ما يلزم لهم من احتياجاتهم المعيشية.

٦- أن الرّبا يُسبّب ضياع الحقوق الملكية للمجتمع، وترجع هذه الحقوق فور التّوبة منه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

لأن رؤوس المال للإنسان هي الحقوق الْمِلْكية الأولى له.

٧- حلول أشدّ وعيد وعذاب بمانعي الإنفاق الصحيح، وهذا من الخطر النّاتج عن الإسراف والعبث الاقتصادي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[2].

ومما يُشير إلى شناعة هذا الموقف، أن الله تعالى قارن شأن الذين يكترون

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٨ - ٢٧٩).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٣٤ - ٣٥).

الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله بشأن علماء اليهود، وقد اشتبهت هذه النقطة أعني تلك المقارنة على بعض الصحابة-رضى الله عنهم-، فظنّ البعض أنّ المعنيين بها هم اليهود فقط، وظنّ البعض أنّ المعنيين هم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فقط.

والصحيح أنهما معاً، وقد قارن الله تعالى مُكْنِزي الذّهب والفضّة بأعمال اليهود، لأنّ من دَأْب اليهود التّمرّد على الطّاعة والعصيان الدّائم في العبادات، فكذلك مَن سلك مسلكهم فهو منهم.

ومن المعلوم أنّ الزّكاة كانت ضمن شريعة أكثر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، فكذلك فإنّها ضمن شريعتنا.

فحصل التلازم على أن المعنيين هم اليهود الذين لم يُؤدّوا أمانة إيتاء الزكاة، وكما أن الزكاة ضمن شريعة محمّدية فإنّ أمّته داخلون في هذه الآية.

ويثبت ذلك ما أورده الإمام الطبري -رحمه الله- حيث قال: (حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن زيد بن وهب قال: مررت بالرَّبَذة، فإذا أنا بأبي ذر قال قلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشأم، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: فقال: نزلت في أهل الكتاب، فقلتُ: نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم، عن حصين)[1].

وهذا هو صميم مقاصد الله تعالى في هذه الآية الكريمة.

والعلّة الجامعة بين الفريقين، هي وجوب الزّكاة في شريعة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، وكذلك وجوبها أيضاً في شريعة النبي الخاتم محمد -صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) تفسير الطبري، (٢٢٨/١٤).

وقد جاء شأن الزكاة ضمن شريعة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

ومحل الشَّاهد في الآية: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فدلّ أنَّ الزَّكاة ليست حديثة في شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- فقط.

(١) سورة المائدة، الآية: (١٢).

المبحث الثالث

دور الدُّعاة إلى الله تعالى في التَّصدِّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي

توطئة:

الدُّعاة إلى الله تعالى ورثة الأنبياء، ومن أهم ما ورثوه عنهم هو الحفاظ على مسار الأمة الصّحيح في كافة المجالات، وقد أثنى الله تعالى على الدّعاة والعلماء الرَّبانيين الذين التزموا بهذا الإرث النبوي المنهجي الدعوي، في الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي لكافة الظواهر السَّلبية التي تُلاحق المجتمعات الإسلامية، وتخلُّ بالأمن الخاص بهم بأنواعه المختلفة.

ولولا هذا الإرث المحمول على عاتق العلماء والتزامهم به في الأداء والتنفيذ لفسد الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

يقول الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية: (ولولا أن الله يدفع ببعض الناس، وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضًا وهم أهل المعصية لله، والشرك به، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداء من بعثة ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر، جالوت وجنوده، لفسدت الأرض، يعني لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو من على خلقه، وتطول عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر)[2].

إذاً فالدّعاة هم دافعو أهل المعاصي بجميع أصنافه، ومُخرجوهم من موج المعاصي إلى برّ الأمان الذي هو الطَّاعة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥١).

(٢) تفسير الطبري، (٤/٥١٤-٥١٥).

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فإذا كان الدّاعية مأموراً بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنَّ التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي أيضاً يُعتبر دعوةً إلى الخير المأمور به ضمن الآية.

وإنكار الداعية لأية ظاهرة من ظواهر الإخلال بالأمن الاقتصادي وحثّ الناس على ضدّه يُعدّ أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر كما سبق بيانه.

واجب الدُّعاة إلى الله تعالى في التَّصدِّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي:

١- إن من واجب الدعاة في هذا الجانب توعية الناس بأهمية الالتزام بالأمن الاقتصادي، والسّر الإلهي في هذا الأمر، أن الأمن الاقتصادي مُرتبط بالالتزام بشعائر الله وأوامره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢).

ومن الملاحظ أن الآيات المذكورة في هذا الشأن بدأت بذكر أهمية الالتزام بشعائر الله، وأصل هذه الشَّعائر المأمور بها، الإيمان به سبحانه وتعالى وتوحيده، حيث جعل الله تعالى الإيمان به شرطاً لفتح أبواب الرِّزق لأهل القرى، ثُمَّ عقب الشَّارع بعد ذلك بذكر مآل غير المؤمنين به سبحانه وتعالى، وكيف سيخلّ عندهم الأمن الاقتصادي بعد تكذيبهم للدعاة من الرّسل والأنبياء، ومحل الشَّاهد لذلك قوله سبحانه وتعالى في النّاتج ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٩٦ – ٩٩).

قال الواحدي -رحمه الله- في تفسير هذا المقطع من الآية: (ولكن كذَّبوا الرُّسلَ فأخذناهم بالجدوبة والقحط)[1].

و العواقب الوخيمة التي لحقتْ بغير المؤمنين بالله بعد دعوة الرسل لهم هي التي ذُكرت لاحقاً، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾

قال الزجاج: (أي أفَأمنت الأمةُ التي كذبت النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بَأْسُنَا بَيَاتًا، أي ليلاً)[2].

هذا وإن كان الخطاب في الآية مُوجَّهاً إلى نبي الأمة -صلى الله عليه وسلم- كما ذهب إليه الزجاج، فإنَّ الخطاب هنا ليست العبرة به بخصوص سببه بل بعموم لفظه، فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إمام الدعاة، فإنَّ وَرَثَتَهُ من دعاة أمّته تابعون له صلوات الله وسلامه عليه.

وفي حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه-: قال (سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم،.....وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[3].

ومحل الشاهد في الحديث: قوله: (...وإن العلماء ورثة الأنبياء...) والعلماء

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، (٣٨٩/٢) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٦٠/٢) الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١/١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم، (٣٦٤١/٣١٧/٣) والترمذي، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٢/٤٨/٥) وقال ناصر الدين الألباني: (حسن لغيره) انظر: صحيح الترغيب والترهيب، (١٧/١) الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط٥/ بدون تاريخ.

هم الدُّعاة.

ثم يقول الله تعالى بعد ذلك: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾.

قال الواحدي -رحمه الله-: (قال المفسرون: مكر الله استدراجه إياهم بالنعمة والصحة ليبطروا ويتمادوا في المعصية والغي، فيكون ذلك في الحقيقة إضرارًا بهم من حيث لا يشعرون)[1].

وهذا الاستدراج تكون حُجَّة الله على أهل المعاصي بعد رفع الدُّعاة عُهدة التَّكليف عن أنفسهم بدعوتهم، لتكتمل الحُجَّة الإلهية بإحلال العقوبة بهم.

وفي الآية الكريمة السابق ذكرها فوائد من أهمِّها:

١- وجوب تصدّي الدُّعاة إلى الله تعالى لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، لما في ذلك من حماية المجتمع المسلم من العقوبة العامة، والضّابط في منع حدوث ذلك بإذن الله تعالى، هو اهتمام الدعاة بدعوة الناس وتوعيتهم بخطورة الإخلال بالأمن الاقتصادي، وإخطارهم بأثر ذلك على المجتمع المسلم، وتأدية الداعية لهذه المهمّة يُعدّ رفعاً لعهدة التكليف عن الداعية نفسه وعن المجتمع المطيع قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[2].

فكانت النّجاة والعُقبى للذين آمنوا وكانوا مُتَّقين.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[3].

قال الطبري -رحمه الله-: (فلما تركت الطّائفة التي اعتدت في السّبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيَّعت ما وَعظتْها الطّائفةُ الواعظة وذكَّرتها به، من تحذيرها عقوبةَ الله على معصيتها، فتقدّمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (٢/٣٩٠).

(٢) سورة النمل، الآية: (٥٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٦٥).

الله الذين ينهون منهم عن"﴿عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾"يعني عن معصية الله، واسْتحلال حرْمه " ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾"، يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا في السّبت، فاستحلّوا فيه ما حرَّم الله من صيد السّمك وأكله، فأحلَّ بهم بأسَه، وأهلكهم بعذاب شديد بئيس بما كانوا يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو "الفسق"[1].

ولخّص ابن عباس –رضى الله عنه– معنى هذه الآية الكريمة فقال: (نجا النَّاهون، وهلك الفاعلون)[2].

٢- ومما يجب على الداعية في التصدِّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، أن يسلك طريق الحكمة في دعوته للناس، وبيان خطورة الإخلال بالأمن الاقتصادي وعواقب ذلك عاجلاً وآجلاً، وخاصة إذا ما كان الداعية في أوساط المجتمع المسلم المختلط مع غير المسلمين، فيجب اتباع بعض القواعد لدعوتهم، وهي بيان المصالح الدنيوية والأُخْرَوِيَّة معاً مُقابل المفاسد الدنيوية المحتملة، لأن غير المسلم لا يؤمن بالغيبيات، فتجريد الدعوة من الناحية الأُخْرَوِيَّة حينئذٍ تقلُّ أهميتها في نظر غير المسلم، وفي ذلك على الداعية اتباع بعض القواعد في ذلك، وهي كالتالي:

القاعدة الأولى:

- "سَائرُ العبادات فيها فوائد أُخْرَوِيَّة، وهي العامَّةُ، وفوائد دنيوية"[3].

وهذه القاعدة تُعدُّ استدلالاً عقلياً ونقليًّا في آن واحد، فعلى الداعية استعمالها وهو أن يُعلِّمَ مَن يجهل هذه الحقيقة أن العبادات إنما وُضعت لتحصيل المصالح، ولها فوائد أُخروية، وفي نفس الوقت لها فوائد دنيوية، وأولوية ما قُصد لها هي الفوائد

---

(١) تفسير الطبري، (١٣/١٩٩).

(٢) المرجع السابق (١٣/١٩٤).

(٣) الموافقات، للشاطبي (٦/٤٤٦) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الأُخروية، وثانوية ما قُصد لها هي الفوائد الدنيوية، وبينهما تلازم، ومثال ذلك:

الفوائد النَّقْلية الأوَّلية (الأُخْروية) المتعلقة بتحريم الخمر: هي الفلاح في الآخرة بدخول الجنة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

الفوائد العقلية الثّانوية (الدُّنيوية) المتعلقة بتحريم الخمر: هي الحفاظ على سلامة الضَّرورات الخمس للإنسان المكفولة شرعاً، وأوَّلها حفظ الدِّين، وإن كان غير المسلم قد لا يعترف بذلك لكونه غير مُتديِّن بدين يُؤهِّله إلى قبول ذلك، إلا أنَّه من الْمُسَلَّم أن يعترف ببقية الأربعة التي يستدعي العقل السليم القبول بها حتماً وهي: حفظ النَّفس والمال والعقل والعرض، وصحَّ مَن قال: العقل مناط التكليف، والأمثلة على ذلك:

رُوي عن جعفر الطّيار -رضي الله عنه- أنه كان لا يشرب الخمر في الجاهلية، وكان يقول: (الناس يطلبون زيادة العقل، فأنا لا أنقص عقلي)[2].

وقال الشاعر:

شَرِبْتُ الإثمَ حتَّى ضلَّ عقلي كذاك الإثم يذهَبُ بِالعُقُولِ[3]

ويقصد الشاعر: بـ(شربتُ الإثمَ) أي شربتُ الخمر، والعاقبة الناتجة عن شرب الخمر أَنْ ضلَّ عقله.

وقال السيوطي -رحمه الله-: كان أبو بكر -رضي الله عنه- أعف الناس في الجاهلية.

وقد أخرج ابن عساكر بسند صحيح في تاريخ دمشق عن عائشة ‹، قالت: (والله ما قال أبو بكر شعرًا في جاهلية ولا إسلام لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٩٠).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/١٤٤).

(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

في الجاهلية)[1].

وبناءً على القاعدة السابقة وهي: (سَائِرُ العِباداتِ فيها فوائِد أُخْرَوِيَّة، وهي العامَّةُ، وفوائد دنيوية).

يتبيَّن أنَّ من واجبات الداعية أَنْ يدعوا كافة أصناف المدعوين خلال دعوته إلى أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وبيان عواقب الإخلال بذلك دنيوياً أو أُخروياً، وعلى الداعية استعمال الأدلة النقلية والعقلية لإيصال مقاصد تلك الدعوة إلى المدعوين.

القاعدة الثانية:

عَمَل أَعْلَى المصلحتين عند التَّعارض:

وهذه القاعدة مردُّها إلى حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:(كان أبو طلحة لا يصوم على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- من أجل الغزو، فلما قبض النبي -صلى الله عليه وسلم- لم أره مفطرا إلا يوم فطر أو أضحى)[2].

ففي هذا الحديث دلالة على أفضلية الجهاد في سبيل الله على صوم التطوّع، وذلك أن الصحابة-رضى الله عنهم- عاشوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في ساعة العُسرة وهم بالمدينة، سعياً منهم لبناء الدولة الإسلامية التي كانت مُهدّدة من قبل مناوئي الدعوة، فكان على الصحابة الحفاظ على بقائها بقوّة النّفس، والمال، والروح.

ومن دلالة الحديث: بيان فقه الصحابة للمقاصد الإلهية، وتقديم الأهم على المهمّ، وهم السَّلف والقدوة بالنسبة للخلف في فهم النصوص الشرعية والمقاصد الإلهية.

ويتبيَّن مما تقدّم أنَّ من واجب الداعية إعلام المدعوين أنَّه إذا تعارضت

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٣٤/٣٠) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اختار الغزو على الصوم، (٢٨٢٨/٢٤/٤).

مصلحتان قدَّم أعلاهما بحيث إذا كان الإخلال بالأمن الاقتصادي مصلحة للمدعو، فالواجب عليه اختيار المصلحة الأعلى، وفي ذلك أن يتنازل عن المصلحة الخاصة به التي هي الإخلال بالأمن الاقتصادي، لما في ذلك من محافظة أمنه، وذلك هو أعلى المصلحتين، وهذا هو المعنى المراد من القاعدة، ومن القواعد ذات الصِّلة هي: (أن المصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصة).

ويُفهم من القاعدة المذكورة آنفاً أن صوم التطوع مصلحة خاصة، لأن ثوابه يرجع للصائم وحده، بخلاف الجهاد، فإنه حماية للدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ومستقبل الأمة الإسلامية، فكان تقديم الجهاد أولى حُكماً وعقلاً من صوم التطوع.

الخاتمة

أولاً: مُلخَّص الدِّراسة:

جاءت هذه الدِّراسة في مقدّمة وتمهيد، وثلاثة مباحث:

شملت المقدِّمة: على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث.

أما التَّمهيد: فهو مشتمل تعريف معنى الأمن لغة واصطلاحاً، وكذلك معنى الاقتصاد من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ومن ثَـمَّ التعريف بجملة (الأمن الاقتصادي) ومقاصده المرادة دراستها في هذا البحث.

واحتوى المبحث الأول: على إيراد الأدلة القرآنية الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وبيان الأدلة من السنة النبوية المؤيِّدة لذلك، بالإضافة إلى منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.

أما في المبحث الثاني: فقد تمَّت دراسة خطر الاسراف المادي والعبث على الاقتصاد وأثرهما على حياة الفرد والمجتمع بإيراد الأدلة التي تُبيِّن حقيقة تلك المخاطر والعواقب المصاحبة لذلك.

وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن واجب الدعاة إلى الله تعالى في التصدّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، ودور الدُّعاة إلى الله في ذلك.

ثانياً: نتائج الدِّراسة:

تمثَّلت نتائج الدراسة على نحو التالي:

١- اتّضح للباحث أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي من خلال ما تمَّ إيراده من الأدلة الشرعية من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٢- اتَّضح للباحث وجوب حفظ الكيان الاقتصادي للمجتمع المسلم، لما ينعكس ذلك إيجابيًا على الفرد والمجتمع.

٣- تبيَّن للباحث المخاطر النَّاجمة عن الإخلال بالأمن الاقتصادي، وآثارها السيئة على المجتمع الإسلامي.

٤- تبيَّن من خلال هذه الدراسة أهمية المتانة الاقتصادية للمجتمع المسلم، وما ينتج من ذلك من تعزيز مكانة الدّول الإسلامية من النَّاحية السياسية، والاجتماعية، والفكرية، والثَّقافية.

٥- يتبيَّن للقارئ الكريم من خلال ما تمَّ تناوله في هذا البحث، ما يجب على الداعية اتّخاذه من سبل ووسائل لردع العابثين بالاقتصاد والمسرفين به، و طريقة دعوتهم للحيلولة دون الانكماش الاقتصادي وركوده.

٦- إنَّ هذه الدراسة قليلة الأوراق، كثيرة المنافع، إذْ تركَّزتْ على الموضوعية، وفَكُّ غموض التَّضخُّم الاقتصادي والتَّقعيد العلمي لحلّ عُقده، ووضع الحلول المناسب لذلك، بالإضافة إلى بيان السياسة الشرعية التي تقتضي محاسبة المرء في كل صغير وكبير، وما فيها من علاقة الدِّين بالحياة.

ثالثاً: أهم التوصيات:

١- إيجاد مراكز بحثية علمية تُعنى بدراسة الاقتصاد الإسلامي، وحمايته من الركود والتّضخُّم.

٢-توعية الفرد والمجتمع بأهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، بالإضافة إلى تثقيفهم بأهمية استقرار النظام الاقتصادي الإسلامي وما ينتج من ذلك من تقدُّم وازدهار.

٣-تسخير سبل علاج الإخلال بالأمن الاقتصادي سواء من الناحية العلمية أو العملية، أما من الناحية العلمية، فيكمن ذلك، بتقديم البرامج التلفزيونية العلمية التثقيفية، وتخصيص الأوقات المناسبة لبثّها تعميماً للفائدة.

أما من الناحية العملية فيكمن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقارن والخاص بمنع الإخلال بالأمن الاقتصادي في الشوارع، والأسواق، بالإضافة إلى مراقبة الشركات المنتجة والمؤسسات الحكومية والأهلية ذات الصّلة حفظًا لمتانة الاقتصاد الإسلامي وصموده الدَّائم.

٤-إعادة النظر في المناهج العلمية الدراسية في جميع المستويات ابتداءً من الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، وكافة المراحل الجامعية والعليا وذلك بوضع نصيب علمي مفروض لكل مرحلة أو مستوى تذكيراً للدارس بأهمية نظام الاقتصاد في الإسلام ودوره في الحفاظ على مكانة الدول الإسلامية دينياً، وسياسياً، واجتماعياً، وثقافياً، وأمنياً.

٥- إيجاد البرامج التَّوعوية الخاصة بالنَّاشئة، تُعنى بإبراز جوانب أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، حتى لا ينشئ النَّاشئة على الإسراف والعبث بالاقتصاد.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري، الناشر: وزارة الأوقاف، بدون تاريخ.

٣- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، من منشور وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، بدون تاريخ.

٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط٥/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) بدون تاريخ.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

٧- تاريخ جرجان، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (المتوفى: ٤٢٧هـ)، المحقق: تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٨- تاريخ دمشق، ابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م.

٩- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١/١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٠-تفسير الماوردي النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، (٤٦٠/٥) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. بدون تاريخ.

١١-تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

١٢-تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث — بيروت، ط١/- ١٤٢٣ هـ.

١٣-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.

١٤-التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر : دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الدمام

١٥-التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط١/ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦-الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

١٧-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت

١٩-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها- دار الكتاب العربي - بيروت، - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، - دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

٢٠-خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، محمد إبراهيم برناوي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تاريخ الطبعة، ربيع الآخر-رمضان ١٤٠١هـ، بدون عدد الطبعة.

٢١-الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.

٢٢-رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بدون تاريخ.

٢٣-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦عام النشر:، جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤-سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

٢٥-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ.

٢٦-السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٧-شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

٢٩- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط٥/ بدون تاريخ.

٣٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

٣١- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٣٢- الفتاوى الاقتصادية، لمجموعة من المؤلفين، مصدر الفتاوى، المكتبة الشاملة.

٣٣- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ.

٣٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١/١٤١٥هـ.

٣٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر - بيروت، ط٣/١٤١٤هـ.

٣٧- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٣٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١/١٤٢٠ هـ.

٣٩- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١/١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٤٠- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، بدون تاريخ.

٤١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) باب: الثاء، الناشر: دار الدعوة بدون تاريخ.

٤٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.

٤٣- منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، إعداد: معن خالد عبد الله القضاة، وأصل هذا البحث، رسالة علمية قدمه صاحبه استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي من كلية الشريعة في جامعة اليرموك، تاريخ ١٩٩٦م-١٤١٧ه.

٤٤- الموافقات، للشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ. د. عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

البحث رقم (٥)

استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين

"الاستراتيجية التضامنية أنموذجا"

إعداد

د. مصطفى بن عبدالرحمن البار

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

المبحث التمهيدي:

أهمية البحث:

إن الحرص والسعي عموماً لمحاولة تحقيق تواصل إنساني فعّال، وبناء علاقات إيجابية؛ تسهم في جلب الخير والطمأنينة للمجتمع، من الأهمية بمكان، وتزداد هذه الأهمية، وتتأكد الحاجة لها في الحقول والميادين التي تتطلب اتصالاً مباشراً مع الناس على اختلاف قدراتهم وثقافاتهم؛ كميادين الدعوة والتربية والتعليم، والتي تحتاج مع العلم إلى قدر كبير، ومهم من جودة الأداء المبني على مهارات وسلوكيات راقية.

وعليه، فإن حرص الداعية، على حسن اختيار الاستراتيجية المناسبة، التي يبني عليها خطابه؛ من شأنه أن يسهم في إقامة تواصل يفضي إلى التقارب، والتعاون، والاحترام المتبادل، والتأثير الإيجابي على المدعوين، بمختلف شرائحهم وتوجهاتهم.

ومن تلك الاستراتيجيات المهمة، ما يسمى بالاستراتيجية التضامنية، والتي يحاول أن يتناولها هذا البحث من منظور دعوي؛ كونها تعنى بالدرجة الأولى بالتعامل الإنساني الأخلاقي، مع الاهتمام والاعتناء أيضاً بطرق تبليغ القصد، وحسن التعبير عنه، التي من مسوغات استعمالها: بناء علاقة وديه بين طرفي الخطاب، أو إعادتها عند تعرضها لما قد يضعفها، وفي ميادين الدعوة والتعليم تستعمل كذلك؛ بحيث يكون حسن الخلق والتأدب، وسيلة لتيسير الفهم وتسهيله على المدعوين، إضافة إلى نشر المحبة، والقبول إلى غير ذلك.

ويمكن محاولة رصد، وفهم، وتحليل نوعية الاستراتيجيات المستخدمة، من قبل الداعية وغيره، من خلال صيغ خطاباته، ومواقفه المختلفة، والتي منها فيما يخص هذه الاستراتيجية، استخدام الأسماء، والكنى، والتصغير، والاعجاب والثناء الصادق، وعبارات التلطف والتودد، والتضامن والمصارحة، والمزاح المباح إلى

غير ذلك.

وإن من نافلة القول وأهميته أيضاً، الإشارة أولاً، إلى أن لكل استراتيجية (سواء منها التضامنية (محل البحث والدراسة) أو التوجيهية أو التلميحية أو الإقناعية الحجاجية) صيغ ومسوغات، فُينتقى منها ما هو أكثر ملائمة، وأن يكون ثانياً، استعمال هذه الاستراتيجية التضامنية متوازناً مصحوباً بالاحترام، وإنزال، الناس منازلهم(١) والتي ثالثاً، من أهم مؤشرات نجاحها، وفاعليتها التجرد، والإخلاص عن كل غرض يعيبها، فالمتلقي يدرك ذلك غالباً، ويلمسه في الخطاب الدعوي الموجه إليه؛ ولذا على الداعية أن يحرص دوماً على مراقبة وتقييم خطابه، وفعله مما يشينه شرعاً وعقلاً، وأن يجتهد في المحافظة على عُرى التواصل مع المدعو، بما يجعله مقبلاً على سماعه، وفهم مراده؛ وأن يبادله الحرص على استمرار ذلك التواصل، للوصول أو الاقتراب من تحقيق الهدف المرجو منه(٢) وقديماً قيل في تأكيد هذا المعنى: " الكلمة إذا خرجت من القلب، وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان"(٣).

وبشيء من التتبع والاستقراء لسيرة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- فيما يتعلق بهذه الجوانب، نجد ما يثير الهمة، ويؤكد الرغبة العلمية، بإجراء المزيد من الدراسات المعاصرة؛ لمحاولة استنباط منهج تواصل إبداعي شامل، مصحوباً بالنماذج والأمثلة الواقعية؛ للتأمل والوقوف على مواطن اللطف والحكمة، والتأثير،

---

(١) انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن ٢٢٣، ط: ١ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م) واستراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري ٢٥٧ – ٢٦٣، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

(٢) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري ٢٦٠ – ٢٦١، والبيان والتبيين، الجاحظ ٨٧/١ عند حديثه عن أحسن الكلام وتأثيره، ط: د (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ ٨٨/١.

والرقي في التواصل مع الآخرين، من ناحية، والتعرف على مقومات النجاح التي صاحبت تلك الدعوة المباركة، وتعزيز التأسي والاقتداء به -صلى الله عليه وسلم- من ناحية أخرى.

ولأهمية هذا الجانب، والحاجة إليه، فقد تم اختيار هذا الموضوع بعنوان: استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين، الاستراتيجية التضامنية أنموذجا، حيث سيتم التطرق بمشيئة الله تعالى إلى دراسة ومعالجة عدد من النقاط المشار إليها في خطة البحث، كاستخدام الكنى والثناء والاعجاب، ولطيف العبارات مع المدعوين، والمحافظة على عُرى التواصل معهم، وتنقيتها مما قد يشوبها ويُضعفها؛ محاولة لاستخلاص رؤى، ونماذج يقتدى بها من حياة الأسوة الحسنة -صلى الله عليه وسلم-، وصحبه الكرام -رضى الله عنهم-، الذين رأوا وقتئذ ذلك الخطاب، والتواصل النبوي الكريم الرائع، مطبقاً في مختلف نواحي حياتهم، وبالإمكان أن يراه ناس اليوم حال حرصهم على محاولة تلمسه والتعرف عليه، والسعي للتأسي به.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتتبع لم أجد حسب علمي دراسة مستقلة لهذا الموضوع، وإنما توجد دراسات وأبحاث قليلة مهمة في بابها وتخصصاتها، ومنها ما يلي:

• الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية(١) وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم الحوار ومرادفاته، ومفهوم الاستراتيجية، والأساس الشرعي للاستراتيجيات التخاطبية، وتم التطرق إلى أربعة أنواع وهي: الاستراتيجية التضامنية، الاستراتيجية التوجيهية، الاستراتيجية التلميحية، والاستراتيجية الحجاجية في حوارات الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وذلك بالتعريف بكل استراتيجية، ومسوغات استعمالها،

(١) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ. م. د إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل (المجلد ٨، الإصدار ١٥/٢، الصفحات ٥٣٢ – ٥٦٣، السنة ٢٠١٤م).

والتمثيل لها، وفيما يتعلق بجانب الدراسة الحالي، وهي الاستراتيجية التضامنية، فقد تطرق لها الباحث الكريم في قرابة ست صفحات، واستشهد لها بأربعة نماذج من السيرة النبوية.

• ومن الدراسات السابقة في هذا المجال دراسة بعنوان: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي(١) وقد ضبطت الباحثة الكريمة هذه الدراسة بصحيح البخاري - رحمه الله- وكان التركيز فيها على الاستراتيجية التوجيهية، حيث تم التطرق إلى ملامحها عند العرب، والغرب قديماً وحديثاً، وآليات التوجيه في الحديث النبوي الشريف، كما تناولت في جزء من بحثها استراتيجية الاقناع، وآلياتها في الحديث النبوي.

• ومن الدراسات المهمة في بابها: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية(٢) حيث تناول الباحث الكريم في الباب الأول: مفهوم استراتيجية الخطاب ومعايير تصنيفها، والعوامل المؤثرة فيها، وضمنه ثلاثة فصول، الأول: مفهوم استراتيجية الخطاب، الثاني: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب، الثالث: العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب، والباب الثاني عن أنواع الاستراتيجيات، وضمنه أربعة فصول، الأول: الاستراتيجية التضامنية، الثاني: الاستراتيجية التوجيهية، الثالث: الاستراتيجية التلميحية، الرابع: استراتيجية الإقناع.

وسوف تتم الإفادة منها بمشيئة الله في الجوانب ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالي.

---

(١) استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (الجزائر، العام الجامعي ٢٠١١/٢٠١٢م)

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

أهداف البحث:

١ – إبراز أهمية اختيار، وتمييز الداعية للاستراتيجية التي يبني عليها خطابه، وتواصله مع المدعوين على اختلاف قدراتهم وثقافاتهم؛ بما يفضي إلى التقارب، والتأثير الإيجابي.

٢ – التعريف بالاستراتيجية التضامنية، ومسوغات استعمالها، وبيان أهميتها في ميادين الدعوة، والتربية والتعليم.

٣ – محاولة الإسهام في تقديم دراسة تتعلق بفقه الخطاب والتواصل الدعوي من خلال السيرة النبوية، والتعرف على مواطن الحكمة والتأثير.

منهج البحث:

سيتم بمشيئة الله التعامل مع المادة العلمية لهذا البحث وفق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الدراسات، وذلك باستخدام المنهج الاستقرائي – الاستنتاجي، بحيث يتم جمع الجزئيات والوقائع وفحصها ودراستها، وتنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين، لمساعدة الباحث على استنباط نتائج صحيحة تزوده بالحلول والمقترحات(١).

التعريف بمفردات البحث:

استراتيجيات:

جمع استراتيجية، وتأتي بمعنى خطة شاملة، وبراعة التخطيط، في أي مجال من المجالات، ويرجع هذا المصطلح إلى المجال العسكري، وتعدى ليتسع استعماله علوماً وتخصصات متنوعة(٢) وعرفت الاستراتيجيات بأنها:" طرق محددة لتناول مشكلة

---

(١) انظر: المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية، أ. د. عبدالله الوليعي، ٣٥، ط: ١ (توزيع مكتبة جرير، ١٤٣٣هـ) وكتابة البحث العلمي صياغة جديدة، أ. د. عبدالوهاب أبو سليمان ٦٤، ط: ٦ (دار الشروق، ١٤١٦هـ) ومناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، د. أحمد الرفاعي ٨٣، ط: ٦ (الأردن، دار وائل، ٢٠٠٩).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١/٩٠، ط: ١ (عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غاية معينة"(١) وبمعنى آخر أنها مجموع عمليات، وخطوات المعالجة الموجهة عادة بوعي عند إعداد الخطاب وتلقيه؛ للإسهام في تحقيق أهدافه، ونجاح العملية التواصلية(٢) وبهذا فإن الاستراتيجية تتعلق بإعداد الخطاب وتجهيزه بالدرجة الأولى، وعليه فمن الضروري أن يكون الخطاب الدعوي معداً بإتقان، وأن يقوم الداعية بانتقاء الاستراتيجية الأكثر ملائمة لخطابه، والتي تعينه على التعبير عن مقاصده وتحقيق أهدافه بأحسن حال(٣).

الخطاب:

جاء أن "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان...والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"(٤) وعُرّف الخطاب بأنه الكلام الذي يقصد به الإفهام لمن هو متهيئ لفهمه(٥) وقد ورد لفظ الخطاب في مواضع وبصيغ متعددة في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبدالرحمن العيدان وراشد الدويش ١٧٢، مجلة جامعة أم القرى (السنة الحادية عشر، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ).

(٢) انظر: مدخل إلى علم لغة النص، "فولنجانج هانيه" ٢٦٩، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد البحيري، ط: ١ (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م).

(٣) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري ٥٣، ٥٦، ومفتاح العلوم، السكاكي، الفن الثاني ١٧٥ وما بعدها، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط: ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) ١/٣٦١، ط: ٣ (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ) وانظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ٢/١٩٨، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط: د (دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكوفي (ت ١٠٩٤هـ) ٤١٩، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: د (بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: د).

خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴿٦٣﴾﴾ (١) أي لم يقابلوا خطاب الجهل بمثله(٢) بل" أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب"(٣)، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴿٢٣﴾﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ (٥) وقيل فصل الخطاب هو "الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس...، وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا إشباع ممل، كما جاء في وصف كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم-"(٦) وهو المراد في هذا البحث.

التواصل:

التواصل ضد التقاطع والتصارم ونقيضه، يقال: توصّل إليه، بمعنى تلطف في

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٦.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٤٣٦/٧، تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ) وتيسير الكريم الرحمن، السعدي ٥٨٦، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٩٥/١٩، تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ) وانظر معالم التنزيل، البغوي ٤٥٤/٣، تحقيق: المهدي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

(٤) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ٢٦/٥، تحقيق: محمد المرعشلي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) وانظر جامع البيان، الطبري، ١٧٣/٢١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦٢/١٥، تحقيق: أحمد البردوني وزميله، ط: ٢ (القاهرة، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ).

الوصول إليه(١) وتصارموا بعد التواصل أي تهاجروا وتقاطعوا(٢).

المدعوين:

جمع مدعو، وهو الإنسان الذي يخاطب بالدعوة وتوجه إليه(٣) والمراد في هذا البحث المدعو من المسلمين، مع الإشارة اليسيرة لغير المسلمين.

الاستراتيجية التضامنية:

من التضامن، يقال: تضامن القوم، تعاونوا وساعد بعضهم بعضاً، واتفقوا على أمر. وتضامناً معه، أي تأييداً ومشاركة له(٤) والتضامن الالتزام بالمعاونة، وأن يؤدي عن الآخر ما قد يقصر عن أدائه(٥).

ومما عُرّفت به الاستراتيجية التضامنية: " بأنها الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسَل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها؛ بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ت ٦٦٦هـ) الرازي ٢٥٦، ٣٤٠، تحقيق: يوسف محمد، ط: ٥ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ) وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) ٧١٩٣/١١، تحقيق: د. حسين العمري وآخرون، ط: ١ (بيروت، دار الفكر المعاصر - دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

(٢) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري ٣٣٩/٢، تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني ٤١ - ٤٢ و ١٦٩، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٣٤هـ) وأصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ٣٧٣، ط: ٩ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ه) والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية "دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر"، أ. د. عبدالرحيم المغذوي ٥٧٤ - ٥٧٦، ط: ٢ (الرياض، دار الحضارة، ١٤٣١هـ).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١٣٧٠/٢، ١٣٧١، ١٥٨٠.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٥٤٤/١، ط: د (القاهرة، مجمع اللغة العربية، ت: د).

محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه"(١). وهو المراد في هذا البحث.

أنموذجاً:

مثال الشيء، فالأنموذج يأتي بمعنى المثال الذي يعمل عليه الشيء(٢).

ويقصد به في هذا البحث، استخدام الاستراتيجية التضامنية المشار إليها في عنوان البحث، كمثال وأنموذج لتطبيق هذا النوع من الاستراتيجيات على موضوع الدراسة.

خطة البحث:

تمهيد:

المبحث الأول: استخدام الأسماء والكنى، والثناء والإعجاب مع المدعوين

المبحث الثاني: الترحيب والملاطفة والمزاح المباح مع المدعوين

المبحث الثالث: السكينة والهدوء، وحسن الإفهام والتعليم مع المدعوين

المبحث الرابع: المحافظة على عُرى التواصل مع المدعوين وتنقيتها مما قد يشوبها

الخاتمة: النتائج والتوصيات

قائمة المراجع والفهرس

---

(١) استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري ٢٥٧، وانظر أهمية الموضوع ص ١.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٣١/١، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١٣٣/١، ومعجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار ٨٦/١، ط: ١ (القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

تمهيد

كما سبقت الإشارة أثناء الحديث عن أهمية البحث، بأن قيام الداعية إلى الله، بانتقاء الاستراتيجية الأكثر مناسبة لتواصله مع المدعوين، واهتمامه، واعتنائه بخطابه، ومواقفه المتنوعة؛ من شأنه أن يُعينه، ويساعده - بتوفيق الله تعالى وتسديده - على الارتقاء بأداء مهمته بالصورة المرجوة، ومن ذلك اختياره للاستراتيجية التضامنية في جل مواقفه، وتهيئة خطابه وطريقة تواصله على ضوئها.

وبناء عليه، ومن خلال المباحث التالية، سيتم استعراض العديد من النماذج، والمواقف الحياتية المتنوعة، ومحاولة تحليلها، وإبراز ما تحويه من قيم أخلاقية سامية، وتواصل فعّال، يتضح من خلالها كيف كان خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وتواصله مع الناس؛ حيث نجده -صلى الله عليه وسلم- في كثير من المواقف يتواصل معهم بما يسرهم ويفرحهم، ويريح مشاعرهم، ويحفظ منزلتهم، فيزداد حبهم، وتوقيرهم، واتباعهم له -صلى الله عليه وسلم- واهتمامهم لما أهمه.

فتارة نراه -صلى الله عليه وسلم- يخاطب بالأسماء والكنى، والإعجاب، وتارة بألفاظ الترحيب والإكرام والملاطفة، والمزاح المباح، وأخرى بالسكينة والهدوء، وتطيب نفس المخاطب، وروعة الإفهام والتعليم، وتارة بجميع ذلك، وبغيره، حتى أنه في مواقف يهم أصحابه الكرام-رضى الله عنهم-، بالزجر والإنكار، حرصاً على ما يرونه مخالفاً لما تعلموه، فيأتي خطابه -صلى الله عليه وسلم- وطريقة تواصله بما يُعالج تلك المواقف والأحداث بأرقى وأحسن أسلوب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استخدام هذه الاستراتيجية، لا يتعارض مع استخدام ما يلائم من غيرها، ولا مع المواقف والأحداث التي تتطلب وتقتضي نوعاً من الصرامة والحزم، والقوة المشروعة في مواطنها المحددة، وطرقها المعتبرة شرعاً؛ حيث بالإمكان، ومن واقع السيرة النبوية العطرة أن يُرى بوضوح كيف أن الصرامة، والقوة المشروعة تحمي الفرد والمجتمع، وتسهم في نشر الأمن والسلام، وتحمل في

طياتها معاني الرحمة، وبأن الرحمة تهذب القوة وتحاصر فيها مظاهر الشر، والقسوة غير المبررة شرعاً، فهو منهج متوازن، وقد بيّن العلماء ذلك، ولعدم التطرق لهذه الجزئية في البحث الحالي؛ نظراً لاختلاف طبيعة الدراسة، ومحدوديتها بموضوعها، فقد تم الاكتفاء بالإشارة إلى ذلك في الهامش أدناه باختصار، مع تزويد القارئ الكريم ببعض المصادر والمراجع المتنوعة للبحث والاستزادة(١).

---

(١) فعلى سبيل المثال: تم بيان وإيضاح أن الحزم والغضب المشروع فيما يعود إلى القيام بالحق، قد يكون واجبا كالغضب على أهل الباطل، والانكار عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوبا، وهو الغضب على المخطئ، كما غضب -صلى الله عليه وسلم- لما سأله رجل عن ضالة الإبل، ولما شكي إليه معاذ أنه يطول في الصلاة. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، السيوطي (٩١١هـ) ٢١٢/٢، د. ط (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ) وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الأدب، باب "ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله" ٢٧/٨، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط: ١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ) وبالإمكان مراجعة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ٥٨١/١٠، رقمه: محمد عبدالباقي، صححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، ط: د (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ) ولمزيد من الاطلاع على هذا الجانب انظر: على سبيل المثال أيضاً: شرح السنة، البغوي = = (ت ٥١٦هـ) ٢١٣/١٣ تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد الشاويش، ط: ٢ (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ) ومفاتيح الغيب، الرازي (ت ٦٠٦هـ) ١٩٣/٢٢، ط: ٣ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (ت ٧٤١هـ) ٣١/٢، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط: ١ (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ) والرحمة في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أ. د. راغب السرجاني ١٢٧ وما بعدها و٣٦٧، ط: ٢ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته ،١٤٣١هـ) ومظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ. د. زيد العيص ١٠٩ وما بعدها و١١٩، ط: ٣ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).

المبحث الأول

استخدام الأسماء والكنى، والثناء والإعجاب مع المدعوين

يُلحظ أن سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حافلة بالمواقف والنماذج والأحداث؛ التي تعزز جوانب التعاضد والتضامن، والتكاتف في المجتمع، وترتقي بمستوى التخاطب والتواصل فيما بينهم، بما يرسخ أواصر المودة بين أفراده؛ ومن ذلك النداء بالاسم والكُنية، وما يصحب ذلك من انبساط الوجه، وعبارات الثناء الصادقة التي تدخل السرور والابتهاج على المدعو، وتكون أجمع لقلبه، ولما يُخاطب به ويُلقى عليه، ومن النماذج:

أولاً – ما ذكره أنس -رضي الله عنه-، في بيان خطاب وتعامل النبي -صلى الله عليه وسلم- معه، حينما كان صبياً صغيراً، وأنه أرسله يوماً لقضاء حاجة، فتأخر عن إنجازها؛ لانشغاله مع صبيان آخرين يلعبون في السوق، وذلك حين قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ»(١).

في موقف تلكئ فيه عن المبادرة بسرعة تنفيذ ما أُمر به؛ لصغر سنه، ومع ذلك، ما وبخه -صلى الله عليه وسلم- بل داعبه، وتجاوز عنه، ووضع يده الحانية عليه، وشفّع ذلك بضحكه، ومخاطبته بـ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» ناداه

---

(١) صحيح مسلم، مسلم (ت ٢٦١هـ) كتاب الفضائل، باب كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس خلقاً ١٨٠٥/٤ رقم ٢٣١٠، تحقيق: محمد عبدالباقي، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د).

بتصغير اسمه رحمة وشفقة(١).

قال ابن هبيرة -رحمه الله- مستنتجاً الحكمة التربوية من وضع يده الشريفة -صلى الله عليه وسلم- على مؤخر عنق أنس: " ومما يدل على حكمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه، وكأنه قال له حين قبض على عنقه من ورائه، وما أتركك إلا عن قدرة عليك"(٢) فنبهه على تقصيره، بفعل حان، ولفظ يحمل في طياته معاني التربية على التودد والتآلف، وتجدد الحب، وتلمس المعاذير لمن هو في عمره وسنه(٣) عوضاً عن التعنيف وقساوة مفرداته، فما أروعها من معالجة، وما أحوج الدعاة، والمربين وغيرهم لمحاكاة ذلك، ونشر هذه الثقافة وتعزيزها.

مع ملاحظة أن هذا التواصل والتعامل الراقي، لم يكن مجرد موقف عابر، أو نتيجة مواقف معدودة، وإنما هو ثقافة سائدة، وسلوك استمر معه عشر سنوات؛ مما ترك أبلغ الأثر في نفسه -رضي الله عنه-، تُجاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولذا قال: " خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّ قَطُّ، وَلا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا؟"(٤) وفي رواية أخرى قال: «فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي (ت ١٠١٤هـ) ٩/٣٧١٠، ط: ١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠ هـ) ٥/٢١٤، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ط: د (دار الوطن، ١٤١٧هـ).

(٣) انظر: الدين المعاملة، منقذ السقار ٧٥ (رابطة العالم الإسلامي، سلسة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة: ٢٤، العدد: ٢٣٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس خلقاً ٤/١٨٠٤ رقم ٢٣٠٩.

هَكَذَا؟ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟»(١).

ثانياً – وهذا زيد بن ثابت -رضي الله عنه- يبيّن إعجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- به، وبقدراته، ومخاطبته باسمه، وتكليفه إياه بتعلم كتاب يهود، وذلك حين قال: "ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلاَمٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي " قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ"(٢) وجاء في رواية:" أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- أَمَرَهُ «أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ اليَهُودِ» حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ، إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ"(٣).

وفي هذا الصدد قال ابن الملقن -رحمه الله- :"وفيه من الفوائد تعلم كتاب اليهود، ويجوز على هذا تعلم كتابة غيرهم من العجم للضرورة"(٤) ومما يستأنس به في الصدد ما قيل من أنه: "كان في إمكان النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يكاتبهم بالخط العربي، ويلزمهم أن يكاتبوه به، ولكن تسامح الإسلام، واحترامه لمحترمات الأمم في دينهم وقوميتهم، قضيا بترك اليهود يكتبون ويكاتبون بخطهم، فأقرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما أرادوا، وكلف هو من تعلم خطهم"(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر...، ١١/٤ رقم ٢٧٦٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ٤٩٠/٣٥ رقم ٢١٦١٨ ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، وقال اسناده حسن، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام...، ٧٦/٩ رقم ٧١٩٥.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) ٥٧٣/٣٢، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١ (دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ).

(٥) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبدالحميد محمد بن باديس الصنهاجي (١٣٥٩هـ) ٦٩، ط: ١ (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ).

ولا شك أن ما قام به زيد -رضي الله عنه-، وهو من حفاظ القرآن الكريم وكُتابه - يستحق ذلك الإعجاب، ويدل على ذكاء مفرط، وقدرة عالية، وقوة حافظة(١).

ثالثاً - ومن النماذج خطاباته المتنوعة مع عمه العباس، وبلال، وجابر، وعمرو، وعبدالرحمن-رضى الله عنهم-.

• فحين طلب عمه العباس -رضي الله عنه- أن يعلمه شيئاً يسأله الله تعالى، ناداه -صلى الله عليه وسلم-: باسمه وبصلة قرابته، فقال: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(٢) فقد كان -صلى الله عليه وسلم- يتزله منزلة والده، ويرى له من الحق ما يرى الابن لأبيه(٣).

• ومع بلال -رضي الله عنه- عندما نزلوا بعد مسير ليلة؛ للنوم والاستراحة، والتزامه بإيقاظ النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه لصلاة الفجر، جرياً على عادته في الاستيقاظ لأداء الأذان، ولكن النوم غلبه وقتئذ حتى خرج وقتها(٤) فعذره النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاطبه باسمه مرتين، وذلك بقوله: «يَا بِلاَلُ، أَيْنَ مَا

---

(١) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ٢/٢٤٩، ط: ٨ (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ) والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي ٥٤٧ - ٥٤٨، ط: ٧ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) باب جامع الدعوات عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ٥/٥٣٤ رقم ٣٥١٤ وقال عنه حديث صحيح، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط: ٢ (مصر، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٥هـ) وانظر سلسة الأحاديث الصحيحة، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ٤/٢٨ رقم ١٥٢٣، ط: ١ (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) ٩/٣٤٨، ط: د (بيروت، دار الكتب العلمية، ت: د) ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيدالله المباركفوري (ت ١٤١٤هـ) ٨/ ٢٥٥، ط: ٣ (الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ).

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (ت ٨٥٥ هـ) ٥/٨٨، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د) وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ١/١٠٣، تحقيق: طه عبدالرؤوف، ط: ١ (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٤هـ).

قُلْتَ؟» قَالَ: مَا أُلْقِيَتْ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مِثْلُهَا قَطُّ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ، يَا بِلَالُ، قُمْ فَأَذِّنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ»(١).

قال ابن حجر -رحمه الله- أثناء ذكره لفوائد هذا الموقف ومنها: " قبول العذر ممن اعتذر بأمر سائغ، وتسويغ المطالبة بالوفاء بالالتزام، وتوجهت المطالبة على بلال بذلك تنبيها له على اجتناب الدعوى والثقة بالنفس، وحسن الظن بها، لا سيما في مظان الغلبة، وسلب الاختيار، وإنما بادر بلال إلى قوله أنا أوقظكم؛ اتباعاً لعادته في الاستيقاظ في مثل ذلك الوقت لأجل الأذان"(٢).

• ومن النماذج ما حصل لجابر بن عبدالله -رضي الله عنه- عندما خرج مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في إحدى أسفاره، فأتاه ليلاً، فخاطبه -صلى الله عليه وسلم-: «مَا السُّرَى يَا جَابِرُ» فَأَخْبَرْتُهُ بِحَاجَتِي»(٣)

فناداه باسمه، وسأله عن السبب الذي دعاه للسير ليلاً؛ لعلمه -صلى الله عليه وسلم- بأن الحامل على مسراه في ذلك الوقت أمر يحتاجه(٤).

• ومن ذلك: مناداته لعمرو بن العاص وضحكه -صلى الله عليه وسلم- مما صنع، فقد جاء أنه رضي الله عنه قال: "احتَلَمتُ في ليلة باردة في غَزوة ذات السَّلاسِلِ فأشفَقتُ أنْ اغتَسِلَ فَأهلِكَ، فتَيَمَّمتُ، ثمَّ صَلَّيتُ بأصحابي الصُّبحَ، فذكروا ذلك للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا عَمرو، صَلَّيتَ بأصحابكَ وأنت جُنُبٌ؟ " فأخبَرتُه بالذي مَنَعَني مِنَ الاغتِسالِ، وقلتُ: إني سمعتُ اللهُ يقولُ:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت ١٢٢/١ جزء من رقم ٥٩٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٧/٢ - ٦٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً ٨١/١ جزء من رقم ٣٦١.

(٤) انظر: الإفصاح، ابن هبيرة ٨/ ٣٢٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ٣٦٥/٢، تحقيق: محمد عبدالمقصود وآخرين، ط: ١ (المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (١) فضَحِكَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- و لم يَقُل شيئاً"(٢).

• وكقوله -صلى الله عليه وسلم- منادياً عبدالرحمن -رضي الله عنه-: " «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»(٣).

والمعنى كما قال الطيبي -رحمه الله- " أن الإمارة أمر شاق، لا يخرج عن عهدها إلا الأفراد من الرجال، فلا تسألها عن تشرف نفس، فإنك إن سألتها تُركت معها، فلا يعينك الله عليها، وإن أُوتيت من غير مسألة أعانك الله عليها"(٤).

وقد بيّن ابن أبي جمرة -رحمه الله- الحكمة من استخدام الأسماء بهذه الكيفية، أثناء الخطاب والتواصل، وذلك حين قال: "والحكمة في ذلك تظهر من وجهين: الأول: أن نداءه باسمه أجمع لخاطرة، فيكون ذلك سبباً لتحصيل جميع ما يلقى إليه...؛ كل ذلك ليأخذ الأهبة للإلقاء، ويصغي لسمع الخطاب، الثاني: إن في ندائه

---

(١) سنن أبي داود، أبوداود (ت ٢٧٥هـ) باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ٢٤٩/١ رقم ٣٣٤، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، وقال عنه حديث صحيح، ط: ١ (دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ) وانظر صحيح سنن أبي داود، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ١٥٤/٢ رقم ٣٦١، ط: ١ (الكويت، مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الأمارة أعانه الله عليها ٦٣/٩ جزء من رقم ٧١٤٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ١٤٥٦/٣ رقم ١٦٥٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ٨/ ٢٤٤٠، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط: ١ (مكة المكرمة - الرياض، مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).

باسمه ادخال سرور عليه؛ لأن النداء أبداً، إذا وقع من الفاضل إلى المفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، فكيف به، وهو نداء سيد الأولين والآخرين -صلى الله عليه وسلم-"(١).

رابعاً – وبعد بيان الحكمة من استخدام الأسماء، يُنتقل الآن للإشارة إلى بعض النماذج على استخدام الكنى، وإظهار الثناء والإعجاب في مواطنه، أثناء العملية التواصلية، ومن ذلك ما حدث مع أبي ذر، وأُبي بن كعب، وأبي هريرة، وسلمان- رضى الله عنهم-.

• فقد كنى -صلى الله عليه وسلم- أباذر حين قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»(٢).

• ومن ذلك ما حصل مع أبي هريرة – رضي الله عنه – عندما كنّاه -صلى الله عليه وسلم- وأثنى عليه، نتيجة سؤاله حين قال: "يَا رَسُولَ اللَّه مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ»(٣)، قال العيني -رحمه الله- :"فيه جواز الكنية عند الخطاب"(٤) وقال ابن بطال -رحمه الله- في بيان أثر الثناء على المتلقي: "وفيه أن للعالم أن يتفرس في متعلميه، فيظن في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه، وأن ينبهه على تفرسه فيه،

---

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة (ت ٦٩٩هـ) ١/١٣٤، ط: ١ (مصر، مطبعة الصدق الخيرية، ١٣٤٨هـ).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ٤/٢٠٢٥ رقم ٢٦٢٥،

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ١/٣١ جزء من رقم ٩٩.

(٤) عمدة القاري، العيني ٢/١٢٨.

ويعرفه ذلك؛ ليبعثه على الاجتهاد في العلم والحرص عليه"(١).

• وفي موقف آخر، يأخذ -صلى الله عليه وسلم- بيده للتأنيس، وكمال الالتفات إليه، ويكنيه بالترخيم والتكبير(٢) قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- وَأَنَا جُنُبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ، فَانْسَلَلْتُ، فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ، فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هِرٍّ»، فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّه يَا أَبَا هِرٍّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ»(٣).

• كما ورد أنه خاطب -صلى الله عليه وسلم- أُبي بن كعب -رضي الله عنه- بكنيته، والثناء عليه حين قال: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة/ الآية ٢٥٥) قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ(٤) الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»(٥).

قال النووي -رحمه الله- : "فيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه، وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه؛ إذا كان فيه مصلحة، و لم يخف عليه إعجاب

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) ١/١٧٦، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: ٢ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ) وانظر التوضيح، ابن الملقن ٣/٤٨٩.

(٢) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) ٣/١٤٩، ط: ٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ) ومرقاة المفاتيح، الهروي ٢/٤٣٣، وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) ٥/٤٨٧، ط: ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق...، ١/٦٥ رقم ٢٨٥.

(٤) المعنى: ليكن العلم هنيئاً لك. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥/١٦٤٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/٥٥٦ رقم ٨١٠.

ونحوه؛ لكمال نفسه ورسوخه في التقوى"(١) كما فيه مراعاة الأدب وتعظيم السائل، عندما قال -رضي الله عنه- ابتداء: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"(٢).

• ومن نماذج الثناء أيضاً، ما حصل مع سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، حين وضع -صلى الله عليه وسلم- يده الشريفة على كتف سلمان، وأثنى عليه(٣).

فقد بيّن ذلك أبو هريرة -رضي الله عنه- بقوله: "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ (سورة الجمعة/ الآية ٣) قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاءِ»(٤).

وهكذا فإن الكنية تحمل معاني الإكرام والمسرة، والمساهمة في زيادة الود، والقرب من المدعو وتقريبه، كما سبق ذكره في استخدام الأسماء، والإعجاب والثناء الصادق في مواطنه، وسيأتي بمشيئة الله تعالى في المبحثين القادمين ما يشير إلى ذلك أيضاً.

---

(١) شرح صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، النووي (ت ٦٧٦هـ) ٦/٩٣، ط: ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ) وانظر شرح سنن أبي داود، العيني (ت ٨٥٥هـ) ٥/٣٧٦، تحقيق: خالد المصري، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ).

(٢) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ١/ ٥٢٥، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط: د (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ).

(٣) انظر: شرح المشكاة، الطيبي ١٢/ ٣٩٣٣، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٦/١٠٠، ومرقاة المفاتيح، الهروي ٩/ ٤٠٠٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس ٤/ ١٩٧٢ رقم ٢٥٤٦، وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الجمعة قوله تعالى " وآخرين منهم لما..." ٦/١٥١ رقم ٤٨٩٧.

المبحث الثاني

الترحيب والملاطفة والمزاح المباح مع المدعوين

إن مما يزيد التآلف، ويقوي أواصر العلاقات بين الناس، ما يقدمونه أثناء تخاطبهم وتواصلهم من مؤشرات التقدير والاحترام المتبادل، وحفظ الأماكن وإنزال الناس منازلهم، وطيب الخطاب وصدقه، وما يتبع ذلك من انتقاء ألفاظ الترحيب والإكرام، والملاطفة والمزاح الذي يقرب النفوس، ونحو ذلك، ويتأكد ذلك عند القيام بالدعوة إلى الله تعالى، والتواصل مع المدعوين، ومن الأمثلة والنماذج الدالة على ذلك ما يلي:

أولاً – عندما قدم وفد عبدالقيس، وهم من أولاد ربيعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل عنهم، ورحب بهم، وذكر مزاياهم، وذلك أنه " لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَنِ الوَفْدُ؟»، قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالوَفْدِ – أَوِ القَوْمِ – غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»(١).

وجاء أنه -صلى الله عليه وسلم- قال لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ:" إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ "(٢) فوجدوا من حفاوة الترحيب، وألفاظ التأنيس ما حفظ لهم مكانتهم، وأشجى أسماعهم، وأسعد خواطرهم(٣) وفي هذا الصدد قال ابن أبي جمرة رحمه الله : " فيه دليل على التأنيس للوارد، وذلك بشرط أن يكون ما يأنسوا به مطابقاً لحال المتكلم؛ لئلا يدرك الوارد طمعاً في المورود عليه فيما لا يقدر عليه؛ لأن الرحب والسعة التي أخبر بها -صلى الله عليه وسلم- للقادمين عليه، كانت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب وصاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وفود العرب...، ٩/٩٠ جزء من رقم ٧٢٦٦

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله...، ١/٤٨ جزء من رقم ١٨.

(٣) انظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني ٤/١٨٦، ط: ١ (مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ).

عنده حقيقة حساً ومعنى...، وفيه دليل على تسمية الوارد حين الكلام معه؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- قد سمى هذه القبيلة التي وردت عليه حين خاطبهم، حيث قال مرحباً بالقوم أو الوفد..؛ ولأن تسمية القادم زيادة له في التأنيس، وإدخال السرور عليه، وفي إدخال السرور من الثواب ما قد عُلم، ولأنه قد يظن القادم أن الكلام مع غيره؛ لأجل قلة أنسه بالمحل"(١) كما فيه بيان ما لدى الوفد من الفصاحة، ومراعاة المقام، وحسن التخاطب والتواصل، فهم لما سئلوا من القوم؟ لم يُطيلوا فيه الكلام، بذكر أسمائهم، أو الانتساب لآبائهم وأجدادهم؛ وإنما سموا القبيلة التي حصل بها المقصود إبلاغاً في البيان، وايجازاً في الاختصار، كما فيه ما يشير إلى ما يتمتعون به من التأدب والاحترام؛ لأنهم نادوا النبي -صلى الله عليه وسلم- بأحب أسمائه إليه(٢).

ثانياً - ومثله ما حصل مع أم هاني بنت أبي طالب -رضى الله عنها- حينما ذهبت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الفتح، فسلّمت عليه فَقَال -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ هَذِه؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»...، «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ»(٣).

وقد بوب البخاري -رحمه الله- في صحيحه "باب قول الرجل مرحبا"(٤) فهي كلمة إكرام(٥) والعرب تقول: "مرحبًا وأهلاً وسهلاً؛ أي لقيت أهلاً كأهلك،

---

(١) بهجة النفوس، ابن أبي جمرة ٩٤/١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٩٥/١، وللاطلاع على كامل الحوار بالإمكان مراجعة إحالة نص الحديث المشار إليها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن ١٠٠/٤ جزء من رقم ٣١٧١، وانظر صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى...، ٤٩٨/١ رقم ٣٣٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحبا ٤١/٨.

(٥) انظر: مرقاة المفاتيح، الهروي ٢٥٦١/٦، و تحفة الأحوذي، المباركفوري ٣/٨.

ولقيت سهلاً؛ أي سهلت عليك أمورك(١).

وفي هذا الصدد قال ابن العربي -رحمه الله-: "فيه الترحيب بالزائر، وما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأخلاق الجميلة الحسنة، وصلة الرحم، وطيب الكلام، ألا ترى إلى قوله: "مرحبا يا أم هانئ". ويروى" مرحبا بأم هانئ" والترحيب والابتهال، مما يستدل به على فرح المزور بالزائر، وفرح المقصود إليه بالقاصد، وهذا معلوم عند العرب"(٢).

وقال النووي -رحمه الله-: " فيه أنه لا بأس أن يكني الإنسان نفسه على سبيل التعريف إذا اشتهر بالكنية، وفيه أنه إذا استأذن، أن يقول المستأذن عليه من هذا، فيقول المستأذن فلان باسمه الذي يعرفه به المخاطب..، فيه استحباب قول الإنسان لزائره والوارد عليه مرحبا، ونحوه من ألفاظ الإكرام والملاطفة، ومعنى مرحبا صادفت رحبا؛ أي سعة"(٣).

وقد أكد ذلك ابن حجر -رحمه الله- وأشار إلى العديد من الأمثلة حين قال: " وفيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ففي حديث أم هانئ، مرحبا بأم هانئ، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل مرحبا بالراكب المهاجر، وفي قصة فاطمة مرحبا بابنتي، وكلها صحيحة"(٤).

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٣٤/٩.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) ٣/ ٩٢، تعليق محمد وعائشة السليماني، ط: ١ (دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ) وانظر المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) ٢٧١/١، ط: ١ (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣١/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٣١/١، وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣١/٥، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ) ١/٧، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

ثالثاً - ومن صور القرب من المتلقي وتقريبه أيضاً، ما حدث مع معاذ، وأبي ذر، وابن عمر-رضى الله عنهم-.

• فها هو -صلى الله عليه وسلم- يأخذ بيد معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، ويسمعه عبارات الحب والود، ويوصيه بما ينفعه، فقد جاء أنه -صلى الله عليه وسلم- "أخذ بيده، وقال: "يا معاذُ والله إني لأحبُّك" فقال: "أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعن في دُبُر كُل صلاة تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك"(١) ولا شك أن مخاطبته -صلى الله عليه وسلم- بالمحبة لمعاذ أشد تأكيداً، وتأثيراً من مخاطبة معاذ له بها، وفيه استحباب الإشعار بذلك، وإظهار المحبة والمودة(٢).

• ونموذج آخر مقارب لما ذكر هنا، ولما سبقت الإشارة إليه أثناء الحديث عن عبدالرحمن بن سمرة -رضي الله عنه-، يحمل في طياته أيضاً ألفاظ الإكرام والمودة، ولطف الخطاب، وحسن النصح والتوجيه، وهو ما حصل مع أبي ذر -رضي الله عنه- حين قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(٣).

وفي رواية: أنه -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»(٤) فهنا

---

(١) سنن أبي داود، أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار ٦٣١/٢ رقم ١٥٢٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود، الألباني ٢٥٣/٥ رقم ١٣٦٢.

(٢) انظر: شرح سنن أبي داود، العيني ٤٣٣/٥، والمجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح البخاري، السفيري (ت ٩٥٦هـ) ١/ ٣٩٦، تحقيق: أحمد فتحي، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ)

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٤٥٧/٣ رقم ١٨٢٥.

(٤) المرجع السابق، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٤٥٧/٣ رقم ١٨٢٦.

استعمال الكنية، والتوجيه بما يلائم الحال مع الملاطفة بلفظ المحبة، وضرب اليد لطفاً، وشفقة(١) وفي هذا "شدّة رأفة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بأمته، ولا سيّما أصحابه الذين كان يعيش بينهم، ويداخلهم، ويعرف أحوالهم الشخصيّة، فمن كان منهم لا يستطيع التعامل مع المجتمع حذّره عن التعامل، الذي يؤدّي إلى عدم القيام بما يجب عليه، وحثّه بالاشتغال بنفسه"(٢).

قال القاضي عياض -رحمه الله-: "وحضه على تركها؛ لما خافه عليه من الضعف عنها، حتى قرر عنده بمحض نصحه له في ذلك، وأنه إنما يحب له ما يحب لنفسه من الخير، ودفع الضرر"(٣) وقال ابن رجب -رحمه الله-: "وإنما نهاه عن ذلك، لما رأى من ضعفه، وهو -صلى الله عليه وسلم- يُحب هذا لكل ضعيف"(٤).

• وفي نموذج آخر، وهو ما رواه عبدالله بن عمر -رضى الله عنه- حين قال: "أَخَذَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(٥) والحكمة بالأخذ بالمنكب ونحوه بهذا الحنو؛ إثارة الاهتمام والتنبيه، وحث المستمع على وعي وإدراك ما يُلقى عليه، ولا يفعل هذا غالباً إلا بمن يميل إليه(٦).

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح، الهروي ٦/٢٤٠١

(٢) شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي الولوي ٣٠/ ١٧٦، ط: ١ (دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ) وانظر شرح المشكاة، الطيبي ٨/٢٥٦٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) ٦/ ٢٢٥، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط: ١ (مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ) وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/ ٢١٠ - ٢١١.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ١/ ٣٠٥، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط: ٧ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- "كن في الدنيا..." ٨/٨٩ جزء من رقم ٦٤١٦.

(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١١/٢٣٥، والفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) ٦١٢، عني به: أحمد المحمد وآخرون، ط: ١ (جدة، دار المنهاج، ١٤٢٨هـ) وفتح

قال المباركفوري -رحمه الله-: "ونكتة الأخذ؛ تقريبه إليه، وتوجهه عليه؛ ليتمكن في ذهنه ما يلقى لديه"(١) كما أن في الوصية ما يشير إلى تعزيز موجبات التآلف والتضامن والتعاون، والبعد عن مسببات الخصومة والفرقة والتنافر، وفي هذا الصدد يقول ابن هبيرة -رحمه الله-:" في هذا الحديث ما يدل على أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حض على التشبه بالغريب؛ لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها في مجالسهم، ولا يجزع من أن يروه على خلاف عادته في الملبوس، ولا يكون متدابراً معهم، وكذلك عابر السبيل، فإنه لا يتدبر ولا يلج في الخصومات مع الناس ولا يشاحهم، ناظرا إلى أن لبثه معهم أياماً يسيرة"(٢).

فقد "شبه الإنسان في الدنيا بالمسافر، وكذلك هو على الحقيقة؛ لأن الدنيا دار نقلة، وطريق إلى الآخرة، فنبه -صلى الله عليه وسلم- أمته أن يغتنموا أوقات فرصتهم وفراغهم"(٣) .

وقال الكرماني -رحمه الله- معلقاً على هذا التشبيه بالغريب، بأنها "كلمة جامعة لأنواع النصائح؛ إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد، والعداوة، والحقد، والنفاق، والتراع، وسائر الرذائل التي منشأها الاختلاط بالخلائق"(٤).

وقال ابن حجر -رحمه الله-: "وفيه مخاطبة الواحد وإرادة الجمع، وحرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على إيصال الخير لأمته"(٥).

القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، عبدالمحسن العباد ١٣١، ط: ١ (الدمام، دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٦/٥١٥، وانظر مرقاة المفاتيح، الهروي ٨/ ٣٣٠٠.

(٢) الإفصاح، ابن هبيرة ٤/ ٢٤٧، وانظر شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ١٣٣، ط: ٦ (مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ١/٩٧.

(٤) الكواكب الدراري، الكرماني ٢٢/ ١٩٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١١/٢٣٥.

رابعاً – وهذه صورة أخرى من صور الملاطفة والممازحة، واستمالة القلوب، وإدخال السرور عليها.

• فهذا أنس بن مالك -رضي الله عنه- يروى هذه المرة موقفاً آخر لأخيه بقوله: "إِنْ كَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ(١)»(٢) .

وفي رواية قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَرَآهُ، قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»(٣) فيلاحظ هنا الإشارة إلى المخالطة والمجالسة بالملاطفة، والمزاح، ومناداة هذا الطفل الصغير بالكُنية، على معنى الكرامة، وحسن التفاؤل بأن يكون أباً، وذا ولد، وهذا كله مما يقرب النفوس ويؤنسها، ويثبت الود، ويؤكد الرقي في التعامل، وحسن الخلق(٤).

وفي هذا الصدد قال الطيبي -رحمه الله-: "وفيه كمال خلق النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق، وأنه يستحب استمالة قلوب

---

(١) النغير تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ٨٦/٥، تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، ط: د (بيروت، المكتبة العلمية – ١٣٩٩هـ).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس ٣٠/٨ رقم ٦١٢٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود...، ١٦٩٢/٣ رقم ٢١٥٠.

(٤) انظر: التوضيح، ابن الملقن ٦٢٤/٢٨ و ٥٠٨، وإرشاد الساري، القسطلاني ٧٧/٩، و حاشية السندي على سنن ابن ماجه، السندي (ت ١١٣٨هـ) ٤٠٢/٢، ط: د (بيروت، دار الجيل – بيروت، ت: د) والعرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه (ت ١٣٥٣هـ) ٣/ ٣٣٤، تصحيح: محمود شاكر، ط: ١ (بيروت، دار التراث العربي، ١٤٢٥هـ).

الصغار، وإدخال السرور إلى قلوبهم"(١) كما بيّن الفرق بين المزاح المباح؛ الذي يفضي إلى ارتياح النفوس وتآلفها، وإلى الآخر المنهي عنه؛ الذي يورث الإيذاء والتنافر، وذلك حين قال:" المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى، والفكر في مهمات الدين؛ ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما من سلم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعله على الندرة، لمصلحة، وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا؛ فإنه مما يعظم الاحتياج إليه"(٢).

وقد أكد ابن بطال -رحمه الله-، أهمية التأسي به -صلى الله عليه وسلم- في مثل هذه الجوانب، حين قال: "فينبغي الاقتداء بحسن أخلاقه، وطلاقة وجهه الشريف -صلى الله عليه وسلم-"(٣).

• وهذا موقف آخر في كيفية التخاطب والتواصل مع الأهل والأقارب، حدث مع زوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووالدها رضي الله عنهم، فقد روي أنه" استأذن أبو بكرٍ على النبي -صلى الله عليه وسلم- فَسمع صوت عائشةَ عالياً، فلما دخَلَ تناولها ليلطِمَها، وقال: ألا أراكِ تَرْفعَينَ صَوتَكِ على رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- فجعلَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يحجزُهُ، وخرج أبو بكر مُغضَبَاً، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- حين خرج أبو بكر: "كيف رأيتني أنقذتُكِ من الرجُلِ؟"

---

(١) شرح المشكاة، الطيبي ١٠/ ٣١٤٠، وانظر الكواكب الدراري، الكرماني ٢٢/٥، ومعالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ١٢٩/٤، ط: ١ (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ) وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ٦/ ٧٠، ط: ١ (دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

(٢) المرجع السابق ١٠/٣١٤٠.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٠٤/٩.

قال: فمكثَ أبو بكرٍ أياماً، ثم استأذَنَ على رسولِ الله فوجدَهما قد اصطلحَا، فقال لهما: أدخِلاني في سِلمكُما كما أدخلتُماني في حَرْبِكما، فقال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-:"قد فعلنا، قد فعلنا"(١).

• وأختم هذا المبحث بمثال وبنموذج مشابه، حصل مع صهر النبي -صلى الله عليه وسلم- وزوج ابنته-رضى الله عنهم-، فقد جاء أن " أَحَبَّ أَسْمَاءِ عَلِيٍّ - رضي الله عنه- إِلَيْهِ لأَبُو تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، وَمَا سَمَّاهُ أَبُو تُرَابٍ إِلاَّ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-، غَاضَبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ فَخَرَجَ، فَاضْطَجَعَ إِلَى الجِدَارِ، إِلَى المَسْجِدِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَتْبَعُهُ، فَقَالَ: هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الجِدَارِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَامْتَلأَ ظَهْرُهُ تُرَابًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَيَقُولُ: «اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ»(٢).

وفي تحليل هذا الموقف، وبيان ما فيه من حسن التواصل والتقارب، قال ابن بطال -رحمه الله-: "وفيه ما جبل الله عليه رسوله من كرم الأخلاق، وحسن المعاشرة، وشدة التواضع، وذلك أنه طلب علياً، وأتبعه حتى عرف مكانه، ولقيه بالدعابة، وقال له: (اجلس أبا تراب) ومسح التراب عن ظهره؛ ليبسطه ويذهب غيظه، وتسكن نفسه بذلك، و لم يعاتبه على مغاضبته لابنته، وفيه من الفقه الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم"(٣).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المزاح ٣٤٩/٧ رقم ٤٩٩٩، قال عنه المحقق: حديث صحيح، ومسند أحمد بن حنبل، وقال عنه المحقق: اسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: المسند ٣٤٢/٣٠ رقم ١٨٣٩٥ و٣٧٣/٣٠ رقم ١٨٤٢١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التكني بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى ٤٥/٨ رقم ٦٢٠٤.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٥٣/٩، وانظر إرشاد الساري، القسطلاني ١١٧/٩، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د. أحمد غلوش ٢٩٢، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).

وقال أيضاً أثناء حديثه عن الكنية، وأثرها على النفس:" الكنيـــة موضـــوعة لإكرام المدعو بها، وإتيان مسرته؛ لأنه لا يتكنى المرء إلا بأحب الكنى إليه، وهـــو مباح له أن يتكنى بكنيتين، إن اختار ذلك...؛ لأن علياً كان أحب الكنى إليه أبـــا تراب، وفى هذا الحديث أن أهل الفضل قد يقع بينهم وبين أزواجه ما جبل الله عليه البشر من الغضب، والحرج حتى يدعوهم ذلك إلى الخروج عن بيوتهم، وليس ذلك بعائب لهم"(١).

وأخيراً لعل فيما تم إيراده، ومناقشته في هذا المبحث، ما يشير إلى أهمية حرص الداعية إلى الله تعالى على حسن التواصل والتخاطب مع المدعوين، وسعيه لإقامـــة تواصل فعّال؛ يفضي - بتوفيق الله وإعانته - إلى التقارب، والتعاون، والاحتـــرام المتبادل، والتأثير الإيجابي عليهم، بما يجعلهم مقبلين على سماعـــه، وفهـــم مـــراده.

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٥٢/٩

المبحث الثالث

الهدوء والسكينة وحسن الإفهام والتعليم مع المدعوين

من الأهمية بمكان أن يحرص الإنسان عموماً، ومن يتولى شؤون الدعوة، والتربية والتعليم، ومخالطة الناس خصوصاً، على التدرب، والسعي الجاد للاتصاف - مع العلم والمعرفة - بالسكينة وهدوء الطبع، والقدرة على امتلاك النفس، وضبط مشاعرها، وحملها على التخلق الصادق بما يُزينها، وإبعادها عن كل ما قد يُشينها من التصرفات والسلوكيات؛ ليتمكن - بتوفيق الله تعالى وإعانته - من محاولة تبليغ ما لديه بالصورة المرجوة، وبما يحقق هدف الخطاب والتواصل، وبشيء من التتبع والاستقراء لحياة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- تظهر بجلاء الأسوة الحسنة، في السكينة والحنو والهدوء، وروعة الإفهام والتعليم، وتطيب نفس المخاطب، حتى أنه في بعض المواقف والأحداث، يُقبل من حضرها من أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، بالتأنيب والإنكار، وفقاً لما يرونه مخالفاً لما عهدوه وتعلموه، فيأتي خطابه، وطريقة تواصله -صلى الله عليه وسلم- بما يُعالج تلك المواقف بأحسن أسلوب وأرقاه، ومن ذلك ما يلي:

أولاً - تقريبه وإدناؤه -صلى الله عليه وسلم- وحواره لذلك الشاب الذي أتاه، واستأذنه وصارحه بما في نفسه، فقد جاء عن أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: "إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ:" ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا " قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لا، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ " قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ

لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ " قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ:" اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ"(١).

فهذا الشاب توجه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكامل الوضوح والانكشاف، والصراحة دون مواربة؛ ليستأذنه، ويخبره بما يُكن في صدره، ويجول في خاطره، وهو مما يُعلم حرمته وشناعته وقبحه، فناله ممن سمع قوله، وحضر مجلسه من الصحابة الكرام-رضى الله عنهم-، ما يتوقع لمثله من التوبيخ والتأنيب، ولكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقبل عليه، وقربه إليه بقوله: "ادْنُهْ" فدنا منه الشاب قريباً، وجلس، فخاطبه -صلى الله عليه وسلم- بما يلامس جوانب الخير فيه، ويثير مكامن الغيرة المحمودة في نفسه، بتعداد محارمه، فقال:" أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟" والشاب يجيب: "لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ" فبيّن له -صلى الله عليه وسلم- بقوله:" وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ " وهكذا فيما يخص بقية المحارم: البنت، والأخت، والعمة والخالة، وفي كل مرة، يجيب الشاب بالنفي، ويؤكد له -صلى الله عليه وسلم- بأن الناس كذلك، فهم يكرهون هذه الفعلة المشينة في محارمهم، كما كرهها الشاب في أهله ومحارمه، فلما أدرك الشاب بشاعة ذلك وأقره، وضع -صلى الله عليه وسلم- يده الكريمة عليه، ودعا له بقوله:" اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قال الراوي: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ".

فيظهر في هذا التخاطب والتواصل روعة التعامل مع المخطئ، وحسن إفهامه، بالحنو عليه وتقريبه، والاستماع إليه، والسماح له بالتعبير عما يجول في نفسه، واستثارة الخير فيها، والتوجه بالدعاء لمن بيده مفاتيح القلوب سبحانه وتعالى، كما فيه أيضاً ما يؤكد أهمية مراجعة الدعاة، والآباء، ومن يتولى توجيه الناس وتعليمهم،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥٤٥/٣٦ رقم ٢٢٢١١ قال المحقق: إسناده صحيح. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني ٧١٢/١ - ٧١٣ رقم ٣٧٠.

لطريقة تعاملهم مع المخطئ، وتقيم ذلك، برصد ما يُستخدم معه من ألفاظ وتعابير، وعبارات، والسعي للاقتداء، والتأسي بنبي الرحمة -صلى الله عليه وسلم-، والتحلي بالسكينة، والهدوء، والرفق في مخاطبة الناس والتواصل معهم، وخاصة المخطئ منهم(١).

وأختم هذه الجزئية بتعليق المناوي -رحمه الله- عن بيان الحكمة من الرفق، وإشارته إلى هذا الحديث، وضرورة ترفق العالم وتلطفه مع المخطئ، بقوله: " به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات، جامع للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب أو يفعل محرما أن يترفق في إرشاده ويتلطف به"(٢).

ثانياً – وفي موقف آخر بتقريب الغلام، ومناداته بُبني، وتعليميه آداب الأكل، وكيف أثر ذلك فيه بقية حياته، قال عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنه-: "كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ(٣) رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ(٤) فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ

---

(١) انظر: الدين المعاملة، السقار ٧٥ – ٧٦، والاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. إدريس مقبول ٤٥٤.

(٢) فيض القدير، المناوي ٤٦١/٥.

(٣) في تربيته وتحت نظره، وقد كان ابن أم سلمه ، زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-. إرشاد الساري، القسطلاني ٢١١/٨، وانظر عمدة القاري، العيني ٢٩/٢١.

(٤) أي تجول في جهاتها وتأخذ من نواحيها ولا تقتصر على مكان واحد. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ٣٨٧، تحقيق: د. زبيدة محمد، ط: ١، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ) وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٥٣/٣.

بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ"(١) .

وجاء في رواية: " أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعِنْدَهُ طَعَامٌ قَالَ: «ادْنُ يَا بُنَيَّ، وَسَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»(٢) وهو ما كان الغلام الصغير على خلافه وقتئذ، فعلمه -صلى الله عليه وسلم- آداب الأكل، فتعلمها، وبيّن رضي الله عنه، أن تلك الطريقة المهذبة صارت عادة له، وطريقته في الأكل طيلة حياته(٣).

ثالثاً – ما حصل مع عقبة بن عامر -رضي الله عنه- أثناء سفره مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومناداته له باسمه، وتعليميه سورتين من القرآن الكريم، وعدم اكتمال سروره بذلك وملاحظة النبي -صلى الله عليه وسلم- لمشاعر عقبة، ، فما كان منه -صلى الله عليه وسلم- إلا أن صلى بهما الفجر، ثم خاطب عقبة باسمه مرة أخرى، ليرغبه فيهما، ويؤكد له فضلهما.

وقد بيّن -رضي الله عنه- تفاصيل ما حدث له بقوله: "كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ٦٨/٧ رقم ٥٣٧٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب أداب الطعام...، ١٥٩٩/٣ رقم ٢٠٢٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية في الطعام ٢٨٨/٤ رقم ١٨٥٧، وانظر سلسة الأحاديث الصحيحة، الألباني ١٨٠/٣ رقم ١١٨٤.

(٣) تمت الإشارة إلى الحكمة من ذلك، وهي أن الأكل من موضع يد صاحبه، لا سيما في الطعام الرطب والإمراق، وما شابهه، سوء عشرة، وترك مودة، ومجانبة الأدب، ولا تستحسنه النفوس...، انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٢١١/٨، وإكمال المعلم، القاضي عياض ٤٨٨/٦، والتحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) ٧/ ٥٣٥، تحقيق: محمد صبحي، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٣هـ) ومنار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم ٥/ ١٤٢، راجعه: عبدالقادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير عيون، ط: د (دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف، مكتبة المؤيد، ١٤١٠هـ).

سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فَعَلَّمَنِي قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، قَالَ: فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الصَّلاةِ الْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، كَيْفَ رَأَيْتَ؟»(١).

والمعنى:" كيف حال هاتين السورتين عندك الآن بعد أن رأيتني صليت بهما الصبح، التي يُقرأ فيها بالطوال، وقال -صلى الله عليه وسلم- ذلك له؛ ترغيباً، وتنبيهاً على فضلهما، وتأكيداً لقوله: " أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ"(٢).

وفي هذا الصدد قال الطيبي -رحمه الله- معلقاً على هذا الموقف:" أشار -صلى الله عليه وسلم- إلى الخيرية في الحالة التي كان عقبة عليها، وذلك أنه كان في سفره، وقد أظلم عليه الليل، ورآه مفتقراً إلي تعلم ما يدفع به شر الليل، وشر ما أظل عليه الليل، فعين السورتين لما فيهما من وجازة اللفظ، والاشتمال علي المعنى الجامع مع سهولة حفظها، و لم يفهم عقبة المعنى الذي أراده النبي -صلى الله عليه وسلم- من التخصيص، فظن أن الخيرية إنما تقع علي مقدار طول السورة وقصرها، ولهذا قال: "فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا" وإنما صلي النبي -صلى الله عليه وسلم- ليعرفه أن قراءتهما في الحال منصوص عليها والزمان المشار إليه أمثل وأولي من قراءة غيرهما، ويبين له أنهما يسدان مسد الطويلتين"(٣).

---

(١) سنن أبي داود، باب تفريع أبواب الوتر، باب في المعوذتين ٢/٧٣ رقم ١٤٦٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني ٥/٢٠٣ رقم ١٣١٥.

(٢) ذخيرة العقبى، الولوي ٣٩/ ٣٨٩، وانظر شرح سنن أبي داود، العيني ٥/ ٣٧٩.

(٣) شرح المشكاة، الطيبي ٣/ ١٠٠٦ - ١٠٠٧، وانظر حاشية السندي على سنن النسائي، السندي ٨/٢٥٣، ومرقاة المفاتيح، علي الهروي ٢/ ٦٩٨، وفي قوله -صلى الله عليه وسلم-:"خير سورتين" قيل: أي منْ خير السور، وليس المراد أنهما أفضل السور عَلَى الإطلاق، إذ هناك ما يساويهما، أو يزيد عليهما، وقيل: هما يزيدان عَلَى غيرهما منْ السور فِي باب التعويذ، إذ لم توجد سورة

رابعاً – إقباله -صلى الله عليه وسلم- وقربه من السائل لتعليمه، فقد روى أبو رِفَاعَةَ -رضي الله عنه- ما حصل له عندما أتى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سائلاً ومستفسراً، ومبيّناً عدم معرفته بدينه، وما قام به -صلى الله عليه وسلم- من الإقبال عليه، والدنو منه، ليسائله ويباحثه، وذلك حين قال:" انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دينه، لا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا"(١).

فيُلحظ هنا تلطف السائل في ألفاظه، وعباراته، وتواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- وشفقته ومبادرته إليه، حتى أن هذا السائل روى كافة تفاصيل ما حدث له، وفي بيان ذلك، وفائدة جلوسه -صلى الله عليه وسلم- على الكرسي قال القاضي عياض -رحمه الله- :" أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دنا من المذكور، ونزل عن المنبر، وترك القيام عليه، وجلس إليه ليقرب منه، ويسائله عن دينه، ويتمكن من مباحثته عنه، وارتفع على الكرسي ليسمع كلامه غيرُه ويشاهدوا محاورته إياه"(٢).

كما أشار النووي -رحمه الله- إلى عدة فوائد تتعلق بالخطاب، وكيفية التواصل، وذلك أثناء شرحه وتعليقه على هذ الموقف، حين قال:" فيه استحباب تلطف السائل في عبارته، وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان، وكيفية الدخول في الإسلام،

كلها تعويذ إلا هاتين السورتين. ذخيرة العقبى، الولوي ٣٩/ ٣٨٩، وانظر ومرقاة المفاتيح، علي الهروي ٢/ ٦٩٧.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة ٢/٥٩٧ رقم ٨٧٦.

(٢) إكمال المعلم، القاضي عياض ٣/ ٢٨١.

وجب إجابته وتعليمه على الفور، وقعوده -صلى الله عليه وسلم- على الكرسي ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم"(١).

خامساً - استقباله -صلى الله عليه وسلم- لما عرضه راقي الريح، بحلم وهدوء، وفصاحة بيان.

ففي هذا الموقف سيتضح أدب هذا الرجل مع الله تعالى، ومع رسوله -صلى الله عليه وسلم- قبل إسلامه، وكيف أنه سمع ما سمع من أهل مكة عن اتهام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالجنون، وكانت مثل هذه الحرب الإعلامية وقتئذ طريقاً وسبباً لتواصله مع الرسول، ورصد سلوكه وسماع حسن خطابه، مما أثار إعجابه، وقاده إلى الإسلام.

فقد روى ابن عباس-رضى الله عنه-: " أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ(٢) وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ(٣) قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٥/٦، ولمزيد من الاطلاع فيما يخص قطع الخطبة لمثل هذا، وهل كانت خطبة جمعة أو خلافه. انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٨١/٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ) ٥٨/٥، اعتنى به: خليل شيحا، ط: ٤ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ).

(٢) المراد بالريح هنا: الجنون، ومس الجن. شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٧/٦.

(٣) وسطه ولجّته. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨١/٥.

الإِسْلام، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي"(١).

فنلحظ هنا أدب هذا الرجل مع الله؛ حين نسب الشفاء إليه سبحانه وتعالى بقوله:" وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ" وأدبه مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمتمثل في جانبين، الأول: أنه لم يتلفظ بما سمعه من بعض سفهاء أهل مكة، وإنما عبر بقوله: "يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ"، والثاني: تأدبه بطرح ما لديه بأسلوب العرض لا الاستخفاف، والاستهزاء، وذلك حين قال "فَهَلْ لَكَ؟"(٢) ولا غرو، فقد قيل إنه كان رجلاً يطلب العلم، ويعالج بالطب والرقية(٣).

ومع ما ذكر، فإن الرجل قدم وقتئذ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زاعماً معالجته، ومداوته وفقاً لما سمع، دون السؤال والتيقن والتمحيص، ولا شك أنه موقف غير مريح، يثير الغضب والاستغراب، ومع ذلك استقبله -صلى الله عليه وسلم- بحلم وهدوء وسكينة، و لم يناقشه في قوله، ولا رد عليه، وإنما خاطبه بتلك الكلمات الجوامع؛ المشتملة على تعظيم الله وتمجيده، كلمات انبعثت من القلب إلى القلب؛ فلامست شغاف قلب ضماد، وأثرت على موقفه، فطلب إعادة سماعها، فأعادها -صلى الله عليه وسلم- له ثلاثاً؛ حرصاً على دعوته وهدايته(٤) فأبدى إعجابه بها، وأنه لا أبلغ منها ولا أنجع في القلب(٥) فما كان منه إلا أن دخل في الإسلام -رضي الله عنه-، وبايع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقومه كذلك.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٣ جزء من رقم ٨٦٨.

(٢) انظر: شمائل الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحمد زواوي ٢/ ٢٥٠ - ٢٥١، ط: د (الإسكندرية، دار القمة، ت: د).

(٣) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ٣/٥٦ رقم ٢٥٦٩، تحقيق: علي معوض وزميله، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

(٤) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الصلابي ١٣٦، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) انظر: غريب الحديث، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ١/١٣٤، تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ط: د (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ).

المبحث الرابع

المحافظة على عُرى التواصل مع المدعوين وتنقيتها مما قد يشوبها

إذا كان مما يزيد التآلف، ويقوي أواصر المودة والمحبة، ويُعين الدعاة إلى الله تعالى، وغيرهم على أداء المهام المناطة بهم بالصورة المرجوة، ما يُقدم أثناء الخطاب والتواصل من مؤشرات التقدير، والاحترام المتبادل، وحفظ المكانة، وطيب وصدق الحديث مع المدعوين، وما يتبع ذلك من ألفاظ وأفعال تدل على الملاطفة، والإكرام، وحسن الخلق ورقيه إلى غير ذلك؛ فإن الحفاظ على هذه العلاقات وتقوية أواصرها، ومعالجة ما قد يشوبها من منغصات، أو يُضعفها من مواقف وأحداث أمر في غاية الأهمية؛ إذ النفس البشرية لا تخلو عموماً من التأثر الذي ربما يفقدها توازنها المعتاد بين فينة وأخرى، وعليه يتأكد على الدعاة والمربين إدراك ذلك، ومراعاته، والسعي لامتلاك مهارات المعالجة اللازمة، والقدرة على التواصل الإيجابي، وخاصة خلال أوقات التزاحم والتنازع والتوتر، وما قد ينجم عنها من التباس الفهم والقصد؛ والعمل بما يهيئ لتلك النفوس فرص الانتقال الهادئ إلى ناحية الوضوح، والشفافية، ، والرغبة في التعاون والمعالجة، عوضاً عن الولوج أو اختيار خانة المنازعة والمشاحنة، والتنافر والتباغض.

وبشيء من التتبع والاستقراء للسيرة النبوية العطرة، نجد الكثير من النماذج والأمثلة الرائعة التي تشير إلى أهمية الحفاظ على تماسك المجتمع وترابطه، واستمرار الثقة المتبادلة بين أفراده، وتنقيتها مما قد يشوبها ويضعفها، ومن ذلك ما يلي:

أولاً – مقولة الأنصار–رضى الله عنهم– يوم فتح مكة، وما وجدوه في أنفسهم، وكيف تم معالجة ذلك.

فمن المواقف الخالدة، التي سطرها التاريخ ما حدث في تلك الفترة، مع الذين أخرجوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من بلده، وآذوه وأتباعه أشد الإيذاء؛ فإذا بهم يُعاملوا ويُخاطبوا عند النصر والاقتدار، بمنتهى الرحمة، حتى خشي

الأنصار-رضى الله عنهم- أن ما رأوه من رأفته -صلى الله عليه وسلم- بقومه، مؤشراً على رغبته في البقاء معهم، وتركهم، فطمأنهم -صلى الله عليه وسلم- وأكد لهم استمرار مكانتهم، فأقبلوا إليه معتذرين يبكون.

ومما ورد في ذلك الموقف: " فَقَالَت الأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَته، وَرَأْفَةٌ بعَشيرَته...، قَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: "قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَته؟ " قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ: «كَلاَّ، إِنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى الله وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» فَأَقْبَلُوا إِلَيْه يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَالله، مَا قُلْنَا الَّذي قُلْنَا إِلاَّ الظَنَّ بالله وَبرَسُوله، فَقَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الله وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانكُمْ، وَيَعْذرَانكُمْ»(١).

فنلحظ هنا ما دار بين الأنصار-رضى الله عنهم- وأرضاهم فيما بينهم؛ جراء ما رأوه، فظنوا أنه -صلى الله عليه وسلم- يرجع إلى سكنى مكة، والمقام فيها ويتركهم، فشق ذلك عليهم، فقالوا لبعضهم تلك المقولة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما خاطبهم، وأعلمهم بحقيقة الموقف، وأكد لهم -صلى الله عليه وسلم- مكانتهم ومنزلتهم، تبددت مخاوفهم، واطمأنت نفوسهم، وبكوا واعتذروا، وبيّنوا أنهم ما قالوا ذلك إلا حرصاً على مصاحبته -صلى الله عليه وسلم- ودوام بقائه معهم(٢).

وفي هذا الصدد قال ابن هبيرة -رحمه الله-: "وفيه من الفقه: أن الرجل قد يظن الظن غير الصالح، ثم يفيء عن قريب، لكون الأنصار قالوا: أما الرجل فأدركته رغبة في قومه"(٣) ويظهر تأدب الأنصار رضي الله عنهم مع رسول الله -صلى الله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ١٤٠٥/٣ جزء من رقم ١٧٨٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٩/١٢، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤٥٩/٣، والسيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شهبة ٤٦٢/٢.

(٣) الإفصاح، ابن هبيرة ٢٠٧/٨.

عليه وسلم- واعتذارهم عن مقولتهم، وقبوله -صلى الله عليه وسلم- لعذرهم(١).

وفي اعتذارهم، وما صاحب ذلك من مشاعر الحب والصدق، قال النووي -رحمه الله-: "وهذا معنى قولهم ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بك...؛ أي شحاً بك أن تفارقنا، ويختص بك غيرنا، وكان بكاؤهم فرحاً بما قال، وحياء مما خافوا أن يكون بلغه عنهم مما يستحى منه"(٢).

ثانياً - مقولة بعض شبان الأنصار-رضى الله عنهم- يوم حنين، أي بعد وقت قصير من الحادثة السابقة، وما وجدوه في أنفسهم، وما دار بينهم، وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين جمعهم دون غيرهم؛ لمناقشة ما قالوه، ومعالجة الموقف، وتطيب نفوسهم-رضى الله عنهم-، وبيان مدى قربهم منه -صلى الله عليه وسلم-.

فقد جاء ما يبيّن ذلك الموقف بتفاصيله من "أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا: يَوْمَ حُنَيْنٍ، حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يُعْطِي رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ، الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ قَوْلِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟» فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، قَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- «فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَفَلا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ؟ فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ»

---

(١) انظر: شمائل الرسول -صلى الله عليه وسلم-، زواوي ٣٥٦/٢، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، الصوياني ٤٦/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٩/١٢، وانظر الإفصاح، ابن هبيرة ٢٠٨/٨.

فَقَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ"(١).

وجاء في رواية ما يؤكد أيضاً أدب الأنصار-رضى الله عنهم-، وتقريبهم، وقربهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنهم خاصته وبطانته، ونصها أنه " لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: " لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ(٢)"(٣).

فهذه الحادثة تظهر أيضاً ما قد يعترى الإنسان من مشاعر ومواقف تحتاج إلى نقاش ومصارحة، وتواصل ومعالجة؛ تعزز الود والقرب، وهو ما حصل حين جمعهم -صلى الله عليه وسلم- واستمع لهم، واستمعوا له، وأكد لهم قربهم ومكانتهم، فطابت نفوسهم ورضيت.

وفي هذا الصدد قال الخطابي -رحمه الله-ه: "أراد رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/٧٣٣ جزء من رقم ١٠٥٩.

(٢) الشعار: الثوب الذى يلى الجسد، والدثار: الذى فوقه. إكمال المعلم، القاضي عياض ٣/٦٠١ والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/١٠٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ٥/١٥٧ جزء من رقم ٤٣٣٠، وانظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/٧٣٨ رقم ١٠٦١

وسلم- بهذا الكلام تألف الأنصار، وتطيب قلوبهم والثناء عليهم في دينهم"(١).

وقال ابن هبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حكم على الأنصار حكم الواثق بمتانة دينهم، وأن ذوي آرائهم فهموا ذلك، فلم يقولوا إلا خيرا، فأما الأحداث: فإنهم قالوا ما قالوا عن غير فهم لمقصود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى صرح لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما فهموا به هم، وغيرهم"(٢).

وقال ابن حجر -رحمه الله- في تأكيد ذلك: "وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم، فقد اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم -صلى الله عليه وسلم- ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع، رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم"(٣).

كما أن في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ" ما يؤكد مناقبهم، وقربهم ومكانتهم-رضى الله عنهم-، وفيه كناية لطيفة عن قربهم، وأنهم أقرب إليه، وألصق به من غيرهم(٤) .

---

(١) عمدة القاري، العيني ٣٠٨/١٧، وانظر الكواكب الدراي، الكرماني ١٦٠/١٦.

(٢) الإفصاح، ابن هبيرة ٥/ ٣٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/ ٤٩، وانظر مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم قريبي ٤٣٣، ط: ١ (المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٢هـ).

(٤) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٤١٢/٦، وعمدة القاري، العيني ٣٠٩/١٧، وجاء في الفتح تعليق لطيف ما نصه: " وإنما قال -صلى الله عليه وسلم- ذلك تواضعا منه وإنصافا، وإلا ففي الحقيقة الحجة البالغة، والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم؛ فإنه لولا هجرته إليهم وسكناه عندهم، لما كان بينهم، وبين غيرهم فرق، وقد نبّه على ذلك بقوله -صلى الله عليه وسلم- ألا ترضون إلخ، فنبههم على ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به منه، بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية" فتح الباري، ابن حجر ٥١/٨، وقال ابن هبيرة -: " وفيه أيضا

قال النووي -رحمه الله-: "ومعنى الحديث: الأنصار هم البطانة والخاصة، والأصفياء وألصق بي من سائر الناس، وهذا من مناقبهم الظاهرة وفضائلهم الباهرة"(١).

وأختم هذه الجزئية، بما يؤكد أدب الأنصار-رضى الله عنهم-، وتأدبهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ذكر ابن حجر أيضاً -رحمه الله- أثناء استنباطه لفوائد هذا الموقف، وما حصل فيه من تواصل وتفاعل إيجابي ما نصه: " أدب الأنصار في تركهم المماراة، والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم، إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم؛ لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة؛ ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب، وإعتابه عن عتبه؛ بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف(٢).

ثالثاً - ما حصل من استفسار، ومعاتبة متلطفة من بعض الأنصار-رضى الله عنهم-، حين فضّل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دور الأنصار بعضها على بعض، وبيانه لهم أن الفضل والخير حاصل في جميعها(٣) فقد جاء عَنْ أَبِي حُمَيْد، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ دُورِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي الحَارِثِ، ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: أَبَا أُسَيْدٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-

---

أنه عرفهم قدر نعمة الله عليهم في تميزهم دون أهل الأرض برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي مثل هذا الموضع ؛ يحسن الاعتداد بالنعمة؛ مخافة أن تفضي الغفلة عنها إلى نسيانها" الإفصاح، ابن هبيرة ٣٨/٥.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٧/ ١٥٧، وانظر إكمال المعلم، القاضي عياض ٣/ ٦٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٢/٨.

(٣) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ١٥٣/٦، وفتح الباري، ابن حجر ١١٧/٧.

خَيَّرَ الأَنْصَارَ فَجَعَلَنَا أَخيرًا؟ فَأَدْرَكَ سَعْدٌ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خُيِّرَ دُورُ الأَنْصَارِ فَجُعِلْنَا آخِرًا، فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الخِيَارِ»(١) فبيّن لهم -صلى الله عليه وسلم- أنهم من الخيار، وفي ذلك ما يؤكد مكانتهم ويحفظ مترلتهم.

قال ابن حجر -رحمه الله- في إيضاح ذلك، ومعنى تكرر كلمة خير بأن: "خير الأولى بمعنى أفضل، والثانية اسم، أي الفضل حاصل في جميع الأنصار، وإن تفاوتت مراتبه"(٢) وقد أشار العلماء إلى أن تفضيلهم-رضى الله عنهم- كان على قدر سبقهم إلى الإسلام ومآثرهم، وآثارهم الجميلة فيه(٣).

فيلاحظ في هذا الموقف، وسابقيه عند فتح مكة، ويوم حنين، ما حصل من تأثر متوقع معتاد؛ تمليه طبيعة النفس البشرية، وما جبلت عليه، وهو مؤشر صدق، ورغبة في الحفاظ على أواصر هذه العلاقة، وتنقيتها مما قد يشوبها، ويؤكد ذلك، ويعززه الكيفية التي حصل بها التواصل والتخاطب؛ لمعالجة تلك المواقف بما يحافظ على الود والمحبة، والتقارب وتماسك المجتمع، وفي هذا أسوة وقدوة حسنة للدعاة والمربين وغيرهم.

رابعاً - عتب الذين لم يعطوا من المال، وإيضاح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمبرر ذلك، وعدم لومهم، بل وثناؤه على عمرو بن تغلب -رضي الله عنه-، فقد ورد "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أُتِيَ بِمَالٍ - أَوْ سَبْيٍ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالاً وَتَرَكَ رِجَالاً، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضل دور الأنصار ٣٣/٥ رقم ٣٧٩١، وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- ١٧٨٥/٤ رقم ١٣٩٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٧/ ١١٦، انظر: فيض الباري، الديوبندي ٥٠٠/٤.

(٣) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٤٤/٧، وشرح صحيح مسلم، النووي ٦٩/١٦ و ٤٤/١٥

ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حُمْرَ النَّعَمِ"(١).

وفي هذا ما يشير إلى "أن البشر جبلوا على حب العطاء، وبغض المنع، والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته إلا من شاء الله"(٢) وهكذا فقد حسمت مادة الخلاف، وبُيّن لهم مقياس العطاء، فهو لأناس تأليفاً وتطيباً؛ ومداوة لما في نفوسهم من الجزع، ويترك آخرون دون عطاء؛ على وجه الثقة، ولما في نفوسهم من الغنى والقناعة، والخير، وذكر -صلى الله عليه وسلم- فيهم عمرو بن تغلب -رضي الله عنه-، الذي ابتهج وفرح بذلك، وأكد أنه لا يرضى بغير هذا الثناء عوضاً ولا بديلاً ، ولو كان العطاء من أنفس أموال العرب(٣).

وفي هذا الصدد قال ابن بطال -رحمه الله-: " وهذه المنزلة التي شهد لهم بها النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضل من العطاء الذى هو عرض الدنيا، ألا ترى أن عمرو بن تغلب اغتبط بذلك بعد جزعه منه...، وفيه استئلاف من يخشى منه، والاعتذار إلى من ظن ظنًا والأمر بخلاف ظنه، وهذا موضع كان يحتمل التأنيب للظان، واللوم له، لكنه -صلى الله عليه وسلم- رءوف رحيم كما وصفه الله تعالى"(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ٢/١٠ رقم ٩٢٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥١١/١٣، وانظر تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز المبارك (ت ١٣٧٦هـ) ٣٥٤، تحقيق: د. عبدالعزيز آل حمد، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٣هـ).

(٣) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ١٨٤/٢، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥٣٦/١٠، وكوثر المعاني، الشنقيطي ١١٤/١٠، ومنار القاري، حمزة محمد ٢٥٤/٢

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥٣٦/١٠.

خامساً – وقريب من ذلك، ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من " أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا». ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ»(١).

فيلحظ هنا أن سعداً -رضي الله عنه- خاطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشأن الرجل، وراجعه مراراً لما يعلم من شأنه، فناقشه -صلى الله عليه وسلم- ووضح له مقياس العطاء والمنع، وأنه ليس بحسب الفضائل؛ لتطمئن النفوس وتأنس، ويزول عنها ما قد يحزنها ويغمها، فقد أرشده إلى جانبين، الأول: الحكمة من إعطاء أولئك، ومنع الرجل، والآخر التنبيه إلى التوقف عن الثناء عن الأمر الباطن، وما لا يعلمه إلا الله تعالى، دون الثناء بما هو ظاهر(٢).

وفي هذا قال النووي -رحمه الله-: " معنى هذا الحديث؛ أن سعداً رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعطي ناساً، ويترك من هو أفضل منهم في الدين، وظن أن العطاء يكون بحسب الفضائل في الدين...، إلى أن أعلمه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن العطاء ليس هو على حسب الفضائل في الدين...، وأترك أقواماً هم أحب إلي من الذين أعطيتهم، ولا أتركهم احتقارا لهم، ولا لنقص دينهم، ولا إهمالاً لجانبهم، بل أكلهم إلى ما جعل الله في قلوبهم من النور، والإيمان التام، وأثق بأنهم لا يتزلزل إيمانهم لكماله، وقد ثبت هذا المعنى في صحيح البخاري عن عمرو

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١٤/١ رقم ٢٧، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه ١٣٢/١ رقم ١٥٠.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٨١/١، والتوضيح، ابن الملقن ٦٤٧/٢، وعمدة القاري، العيني ١٩٥/١، وإرشاد الساري، القسطلاني ١١٢/١.

بن تغلب"(١) وهو ما سبق الحديث عنه في الفقرة السابقة "رابعاً".

والخلاصة أنه بمثل هذا التواصل والتخاطب، وما فيه من نقاش صادق بنّاء، وإيضاح، وتقبل، وإعذار، واستجابة واعية مدركة لأمر الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، من شأنه الإسهام في طمأنة النفوس، وزيادة تآلفها، وغلبة السكينة، والألفة والمودة عليها.

وأختم هذا المبحث، وبه ختام البحث، بما يؤكد أهمية التحرز، والتباعد عن مواقف الريب والالتباس، وكل ما من شأنه تشويش الخطاب وإرباكه، وإضعاف عُرى التواصل مع المدعوين، وما قد يُوقع في الوهم واللبس، وسوء الظن، وتزداد تلك الأهمية، وتتأكد في حق العلماء، والدعاة والمربين؛ لما قد يسببه ذلك من إضعاف أو إبطال الثقة بهم، والانتفاع بما لديهم من علم ومعرفة.

ومما يشير إلى ذلك في سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ويؤكد - مع الإيمان بعصمته وتزكيته من ربه عز وجل - كمال شفقته ورحمته، وحرصه -صلى الله عليه وسلم- على تعليم أمته ما ينفعها، ويمنح الدعاة والمربين، وغيرهم القدوة والأسوة الحسنة؛ ذلك الموقف الجميل، والتواصل الرائع: عندما كان -صلى الله عليه وسلم- مع إحدى زوجاته ليلاً، فمر بهما رجلان، فأسرعا الخطى، حياء وأدباً، فطلب -صلى الله عليه وسلم- منهما التمهل والتريث، لمخاطبتهما والتواصل معهما، وإيضاح الموقف لهما بأن الذي معه إنما هي زوجه-رضى الله عنها-.

فقد ورد أن صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- "جَاءَتْ رَسُولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِد، فِي العَشْرِ الغَوَابِر(٢) مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنَ العِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ(٣) فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٨/٧ - ١٤٩، وانظر الكواكب الدراري، الكرماني ١٣١/١.

(٢) جمع غابر، والمعنى: البواقي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٣٧/٣، وتفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي ١٨٣.

(٣) أي تنصرف وتردّ إلى منزلها. انظر: التوضيح، ابن الملقن ٦٥٠/١٣، وعمدة القاري، العيني ١٥١/١١.

-صلى الله عليه وسلم- يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِد، الَّذي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ بهمَا رَجُلاَنِ منَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «عَلَى رِسْلِكُمَا(١) إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» قَالاَ: سُبْحَانَ اللَّه يَا رَسُولَ اللَّه، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا»(٢) .

وجاء في رواية أن الرجل قال: "يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِه، فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»(٣).

فهنا بُيّن المسوغ الذي دعي إلى تعريفهما بالواقع؛ وهو الاحتراس والخوف عليهما مما قد يكون، وفي هذا الصدد قال ابن هبيرة رحمه الله معلقاً على هذا الموقف: " في هذا الحديث دليل على أنه يجب على كل مسلم أن يتباعد عن مواقف الريب، وأن لا يقنع ببراءة نفسه عند نفسه، حتى يكون دليله على ذلك برهانًا واضحًا، ينوب عن مقاله، ولا يحوجه إلى بسط عذره، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يظن به الشر مسلم، إلا أنه -صلى الله عليه وسلم- أراد بذلك أن يسلم ذلك الشخص الناظر، من أن يعرض له الشيطان في تخييل ما لم يكن، وأن

---

(١) أي اثبُتا وَلَا تَعْجَلَا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/٢٢٣

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ٨/٤٨ رقم ٦٢١٩، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ٤/١٧١٢ رقم ٢١٧٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة...، ٤/١٧١٢ رقم ٢١٧٤، "أكثر الروايات أنهما اثنان، ويحتمل أن هذا كان مرتين، أو أنه -صلى الله عليه وسلم- أقبل على أحدهما بالقول بحضرة الآخر، فيصح على هذا نسبة القصة إليهما جميعاً وأفراداً" التوضيح، ابن الملقن ١٣/٦٥٠.

يقتدي به كل مؤمن إلى يوم القيامة"(١).

وقال النووي -رحمه الله-: "وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى، أن يبيّن حاله؛ ليدفع ظن السوء"(٢).

وأختم بما ذكره ابن دقيق العيد -رحمه الله- في تعزيز، وتأكيد هذه الجوانب حين قال أثناء تعليقه على الحديث: " وفيه دليل على التحرز مما يَقَعُ فِي الْوَهْمِ نسْبَةُ الإنسان إليه، مما لا ينبغي...، ولكن النبي -صلى الله عليه وسلم- أراد تعليم أمته، وهذا متأكد في حق العلماء، ومن يقتدي بهم، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب ظن السوء بهم، وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك تسبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم"(٣).

وفي هذا إشارة إلى أنه ليس لأحد بعد النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- الاغترار بمنزلته ومكانته عند الناس، بعدم مراعاته وتوقيه ما قد يضعف الثقة به أو يفقدها(٤) ويتأكد ذلك في حق العلماء والدعاة والمربين؛ لتتم الاستفادة المرجوة منهم، ومما لديهم من علوم ومعارف، وليكونوا قدوة خير، ومحل ثقة، ومنار هدى وإرشاد وتآلف للناس.

---

(١) الإفصاح ، ابن هبيرة ٥/ ٣٧٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤/ ١٥٦ - ١٥٧، وانظر إكمال المعلم، القاضي عياض ٦٤/٧، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن ٦٥٢/١٣، وعمدة القاري، العيني ١٥٢/١١.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ٤٥/٢، ط: د (مطبعة السنة المحمدية، ت: د) وانظر إرشاد الساري، القسطلاني ٤٤٣/٣.

(٤) انظر: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي ١٧٩ - ١٨١، والدين المعاملة، السقار ٢٢١.

الخاتمة

من خلال هذا البحث: استراتيجيات الخطاب، والتواصل مع المدعوين، الاستراتيجية التضامنية أنموذجاً، تبيّن بأن حرص الداعية – وغيره من العاملين في ميادين التربية والتعليم – وقيامه بانتقاء الاستراتيجية الأكثر مناسبة لتواصله، واعتنائه بخطابه، ومواقفه المتنوعة مع المدعوين؛ من شأنه أن يُعينه على الارتقاء بأداء مهمته بالصورة المرجوة، ومن ذلك اختياره للاستراتيجية التضامنية في جل مواقفه، وتهيئة خطابه، وطريقة تواصله على ضوئها، وعدم الاقتصار على التوجيه، والأمر والنهي فحسب مع أهميته، بل يحرص فيها على القرب من المدعو وتقريبه، والاستعمال المتزن لعبارات التلطف والثناء الصادق، وما يشير إلى التعاون والتضامن ونحو ذلك، والسعي لتعزيز هذه العلاقة، واحترامها، بل والمحافظة عليها، وتنقيتها مما قد يشوبها ويُضعفها.

كما تمت الإشارة إلى أن الاعتناء باستخدام الاستراتيجية التضامنية في الخطاب والتواصل مع المدعوين؛ لا يتعارض مع استعمال غيرها، ولا مع الصرامة والحزم، والقوة المشروعة في مواطنها المحددة، وطرقها المعتبرة شرعاً.

وقد ورد في ثنايا هذا البحث استعراض، واستخلاص مواقف، ونماذج حافلة، مع محاولة تحليلها وربطها في سياقات حياتية متنوعة، وإبراز ما تحويه من مهارات التواصل الايجابي الفعّال، والقيم الأخلاقية الراقية، والتي تجلت في خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وتواصله مع الناس؛ حيث كان -صلى الله عليه وسلم- في كثير من المواقف والأحداث، يتواصل مع الناس بما يسرهم ويُبهجهم، ويحفظ مكانتهم، ويُشعرهم بالارتياح، فيزداد حبهم وتوقيرهم، واتباعهم لما جاء به -صلى الله عليه وسلم- واهتمامهم لما أهمه، فتارة يخاطب بالأسماء والكنى، وبالثناء والإعجاب، وتارة بألفاظ الإكرام والملاطفة، والانبساط والمزاح المباح، وأخرى بالهدوء والحنو، وتطيب نفس المخاطب وتقريبه، وروعة الإفهام والتعليم، وتارة بجميع ذلك،

وبغيره. حتى أنه في مواقف يهم أصحابه الكرام-رضى الله عنهم-، بالتأنيب والإنكار، حرصاً على ما يرونه مخالفاً لما عهدوه وتعلموه، فيأتي خطابه، وطريقة تواصله -صلى الله عليه وسلم- بما يُعالج تلك المواقف والأحداث بأحسن أسلوب وأرقاه.

ولعل في هذا ما يؤكد أهمية التأسي، والاقتداء، والسعي الجاد لمحاولة تحقيق خطاب وتواصل بنّاء؛ يُرجى أن يكون مؤداه المساهمة في تكوين صور ذهنية ناصعة؛ وتأثير إيجابي على المدعوين، ونشر للطمأنينة، وحسن الخلق، والتآلف بين الناس، وتعزيز جوانب الاحترام والتقدير، وتعاضد المجتمع، وتكاتفه على البر والخير.

وأخيراً مما يوصى به في هذا البحث ما يلي:

- أن يبذل العلماء والدعاة المزيد من الجهد؛ لإبراز ما تحويه السيرة النبوية العطرة من مظاهر التقدير، والتأثير، والرقي في مجالات الخطاب والتواصل، ومعرفة مقومات النجاح التي صاحبت تلك الدعوة المباركة.

- إجراء دراسات ميدانية عن استراتيجيات الخطاب والتواصل عموماً، في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وبما لدى المجتمعات والثقافات الأخرى، ومقارنة تطبيقاتها بما حصل في العهد النبوي.

- إجراء دراسات تقييمية على عينة من الدعاة والوعاظ والمربين؛ لمحاولة رصد طبيعة الاستراتيجيات المستخدمة في خطاباتهم وتواصلهم، ومدى ملائمتها، ونصيب الاستراتيجية التضامنية منها.

- إعداد وتصميم برامج تدريبية تُعنى بالخطاب والتواصل مع المدعوين، تسهم في حسن استخدام الاستراتيجية التضامنية، لتحقيق مزيد من الرقي بمستوى الأداء والانتاجية في ميادين الدعوة والتربية والتعليم خاصة.

- كذلك يوصى بعقد برامج ودورات تدريبية للمدعوين على اختلاف أصنافهم وقدراتهم وثقافاتهم؛ للإسهام في محاولة تعزيز قيم التخاطب والتواصل، والتخلق، وتحويلها لواقع معاش.

فهرس المصادر والمراجع

١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ط: د (مطبعة السنة المحمدية، ت: د).

٢. أساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

٣. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

٤. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ. م. د إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل (المجلد ٨، الإصدار ١٥/٢، الصفحات ٥٣٢ – ٥٦٣، السنة ٢٠١٤م).

٥. استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر – باتنة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (الجزائر، العام الجامعي ٢٠١١/٢٠١٢م).

٦. استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبدالرحمن العيدان وراشد الدويش، مجلة جامعة أم القرى (السنة الحادية عشر، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ).

٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: علي معوض وزميله، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٨. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع العاصر، أ. د. عبدالرحيم المغذوي، ط: ٢ (الرياض، دار الحضارة، ١٤٣١هـ).

٩. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ط: ٩ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

١٠. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠ هـ) تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ط: د (دار الوطن، ١٤١٧هـ).
١١. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط: ١ (مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ)
١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد المرعشلي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
١٣. بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي جمرة (ت ٦٩٩هـ) ط: ١ (مصر، مطبعة الصدق الخيرية، ١٣٤٨هـ).
١٤. التحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) تحقيق: محمد صبحي، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٣هـ).
١٥. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط: د (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ).
١٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) ط: د (بيروت، دار الكتب العلمية، ت: د).
١٧. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (ت ٧٤١هـ) تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط: ١ (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).
١٨. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز المبارك (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: د. عبدالعزيز آل حمد، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٣هـ).
١٩. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ) تحقيق: د. زبيدة محمد، ط: ١، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ).

٢٠. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، السيوطي (٩١١هـ) د. ط (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ).
٢١. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١ (دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ).
٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وزميله، ط: ٢ (القاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ).
٢٥. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، السندي (ت ١١٣٨هـ) ط: د (بيروت، دار الجيل، بيروت، ت: د).
٢٦. حاشية السندي على سنن النسائي، السندي (ت ١١٣٨هـ) ط: ٢ (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ).
٢٧. الحوار في السيرة النبوية، د. السيد علي خضر، ط: (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).
٢٨. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ) اعتنى به: خليل شيحا، ط: ٤ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ).
٢٩. الدين المعاملة، منقذ السقار (رابطة العالم الإسلامي، سلسة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة: ٢٤، العدد: ٢٣٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٣٠. الرحمة في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أ. د. راغب السرجاني، ط: ٢ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله

عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).

٣١. سلسة الأحاديث الصحيحة، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ط: ١ (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).

٣٢. سنن أبي داود، أبوداود (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، ط: ١ (دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).

٣٣. سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط: ٢ (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ)

٣٤. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي، ط: ٧ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ).

٣٥. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ط: ٨ (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ).

٣٦. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني، ط: ١ (مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ).

٣٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أ. د. أحمد غلوش، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).

٣٨. شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ط: ٦ (مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ).

٣٩. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ط: ١ (دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

٤٠. شرح السنة، البغوي (ت ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، ط: ٢ (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).

٤١. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) الطيبي (ت ٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط: ١ (مكة المكرمة -

الرياض، مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).
٤٢. شرح سنن أبي داود، العيني (ت ٨٥٥هـ) تحقيق: خالد المصري، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ).
٤٣. شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي الولوي، ط: ١ (دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ).
٤٤. شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: ٢ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ)
٤٥. شرح صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، النووي (ت ٦٧٦هـ) ط: ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
٤٦. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) تحقيق: د. حسين العمري وآخرين، ط: ١ (بيروت، دار الفكر المعاصر - دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).
٤٧. صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير الناصر، ط: ١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٤٨. صحيح سنن أبي داود، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ط: ١ (الكويت، مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ).
٤٩. صحيح مسلم، مسلم (ت ٢٦١هـ) تحقيق: محمد عبدالباقي، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د).
٥٠. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه (ت ١٣٥٣هـ) تصحيح: محمود شاكر، ط: ١ (بيروت، دار التراث العربي، ١٤٢٥هـ).
٥١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (ت ٨٥٥ هـ) ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د)
٥٢. غريب الحديث، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ط: د

(دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ).
٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) رقمه: محمد عبدالباقي، صححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، ط: د (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
٥٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) تحقيق: محمد عبدالمقصود وآخرون، ط: ١ (المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ).
٥٥. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، د. عبدالمحسن العباد، ط: ١ (الدمام، دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).
٥٦. الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) عني به: أحمد المحمد وآخرون، ط: ١ (جدة، دار المنهاج، ١٤٢٨هـ).
٥٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ) ط: ١ (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
٥٨. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، أ. د. عبدالوهاب أبو سليمان، ط: ٦ (دار الشروق، ١٤١٦هـ).
٥٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: د (بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: د).
٦٠. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) ط: ٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ).
٦١. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) ط: ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ).
٦٢. لسان العرب، ابن منظور(ت ٧١١ه)ط: ٣ (بيروت، دار صادر،

١٤١٤هـ).

٦٣. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، ط: ١ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).

٦٤. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبدالحميد محمد بن باديس الصنهاجي (١٣٥٩هـ) ط: ١ (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ).

٦٥. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح البخاري، محمد بن عمر السفيري (ت ٩٥٦هـ) تحقيق: أحمد فتحي، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ).

٦٦. محاسن التأويل، القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٦٧. مختار الصحاح، الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف محمد، ط: ٥ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠ه).

٦٨. المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية - أ. د. عبدالله الوليعي، ط: ١ (توزيع مكتبة جرير، ١٤٣٣هـ).

٦٩. المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٣٤هـ).

٧٠. مدخل إلى علم لغة النص، "فولنجانج هانيه"، ترجمة وتعليق: أ.د. سعيد البحيري، ط: ١ (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م).

٧١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيدالله المباركفوري (ت ١٤١٤هـ) ط: ٣ (الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ).

٧٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي (ت

١٠١٤هـ) ط: ١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ).
٧٣. مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم قريبي، ط: ١ (المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٢هـ).
٧٤. المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) تعليق محمد وعائشة السليماني، ط: ١ (دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ).
٧٥. مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
٧٦. مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ. د. زيد العيص، ط: ٣ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).
٧٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (ت ٥١٠هـ) تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٧٨. معالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ط: ١ (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ).
٧٩. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار، ط: ١ (القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).
٨٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط: ١ (عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).
٨١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط: د (القاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ت: د).
٨٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبدالسلام هارون، ط: د (دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

٨٣. مفاتيح الغيب، الرازي (ت ٦٠٦هـ) ط: ٣ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٨٤. مفتاح العلوم، السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط: ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).
٨٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم، راجعه: عبدالقادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير عيون، ط: د (دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف، مكتبة المؤيد، ١٤١٠هـ).
٨٦. مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، د. أحمد الرفاعي، ط: ٦ (الأردن، دار وائل، ٢٠٠٩).
٨٧. المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) ط: ١ (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ).
٨٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، ط: د (بيروت، المكتبة العلمية - ١٣٩٩هـ.

البحث رقم (٦)

المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها

دراسة ميدانية تقويمية لآراء جمهور مجلة الدعوة السعودية نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها

إعداد

د. عبدالله بن محمد بن عبد العزيز السبيعي

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

توطئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[2]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3][4].

المقدمة المنهجية:

تتناول هذه الدراسة المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية تقويمية لآراء جمهور المجلة نحو تحقيق أهدافها، والحكم عليها، وتقوم على النحو الآتي:

---

(١) سورة آل عمران، الآية:(١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية:(١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠-٧١).

(٤) تسمى هذه الخطبة خطبة الحاجة، انظر في تسميتها بذلك: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ، بدون ذكر رقم الطبعة(الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ) حديث رقم ٤١١٥-٤١١٦،ص ٣٨٤وللاستزادة انظر: خطبة الحاجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، (دمشق، المكتب الإسلامي ،١٤٠٠هـ) ص ١٠ وما بعدها، وقال عن رواية إسرائيل- أحد رواة الحديث-: وصلها أحمد رقم ٤١١٦ وأبو داود والبيهقي عن وكيع، و لم يتفرد إسرائيل به، بل تابعه شعبة عند أحمد والطحاوي والبيهقي، فدل ذلك على صحة الإسناد عن ابن مسعود... وأما هذه الرواية التي فيها إسرائيل- فصحيح على شرط مسلم، ص١٤.

أولاً: مدخل الدراسة:

هناك جدلية قديمة حول دور وسائل الإعلام في المجتمع، وتتمحور هذه الجدلية حول سؤال هام: هل دور وسائل الإعلام يتمثل في النهوض بمستوى الجمهور فكراً وسلوكاً وثقافة؟ أم أن دورها تلبية رغبات هذا الجمهور بغض النظر عن ذلك؟!. وإنه لمن المنصف أن نقول: إن مجلة الدعوة بالمملكة العربية السعودية تضع نصب أعينها غايات جليلة وأهداف كبرى ترمي إلى تحقيقها والوصول إليها وهذه الأهداف تتسق تماماً مع العقيدة الإسلامية الصافية المشرقة المضيئة، وتجتهد هذه المجلة للنهوض بقرائها إلى آفاق رحبة ومعارج عُليا نابعة من الثقافة الإسلامية الأصيلة، ومستمدة من قيم الإسلام ومثله ومبادئه السامية، وفي نفس الوقت تبذل هذه المجلة أقصى الجهد في سبيل تلبية رغبات الجمهور بما لا يؤثر على دورها الرائد آنف الذكر في النهوض بالمجتمع إلى القيم الإسلامية الرفيعة، ومن أجل ذلك، وحتى تتحقق هذه المعادلة الدقيقة، تأتي دراسة المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها دراسة تحليلية تقويمية ومعرفة المثالب والعيوب والاجتهاد(وسع الطاقة والإمكان) للقضاء عليها، كما قام الباحث بعمل هذه الدراسة لتجمع بين المعلومات النظرية والتحليلية مساهمةً منه في تطوير أداء مجلة الدعوة، ورغبة في معرفة نقاط القوة والضعف.

ثانيا: أهمية الدراسة:

مجلة الدعوة من الوسائل الإعلامية الدعوية وهي وليدة أحداث وملابسات تحيط بالمجتمع الذي نشأت فيه من جوانب شتى، وتوجه لكافة شرائح المجتمع، ولا تقتصر قراءتها على أشخاص بعينهم من المثقفين والمهتمين بالمجال الدعوي، وقد رسمت لنفسها عند تأسيسها أهدافاً عدة، وأصبحت هذه المجلة تسهم مع زميلاتها الأخرى في خدمة الدعوة، ولذلك حرص الباحث بهذه المجلة، ورأى ضرورة إخضاع أهدافها التي رسمتها لنفسها للدراسة والبحث العلمي باعتبار أن في تجلية

هذه الأهداف والوقوف على آراء القراء لتوضيح آرائهم، فائدة علمية للمجلة وللمحررين بها ولقرائها، وبالتالي يمكن للباحث من خلال نتائج الدراسة وتقويم تلك الأهداف والإفادة من آراء قرائها في تقويمها.

ثالثاً: أسباب الاختيار:

وقع اختيار الباحث على هذا المجلة واختار لبحثها العنوان: المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية، تقويمية، لراء جمهور مجلة الدعوة السعودية، نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها، لأسباب متعددة لعلها من أبرز الأسباب التي تجعل بعض الباحثين يهتمون بمثل هذه الدراسة، وأبرز هذه الأسباب ما يلي:

١- أن هذه المجلة لها أهمية كبرى في خدمة الدعوة الإسلامية، وذلك أنها تعالج موضوعات تتعلق بالعقيدة والعلوم الشرعية، وتقوم بالدفاع عن السنة وأهلها مما يضادها، والذب عن حياض الدين الحنيف.

٢- أنه لم يسبق - حسب علم الباحث- أن درست أهداف المجلة ومعرفة منهجها الدعوي دراسة علميةً.

٣- صقل مواهب الباحثين في هذا المضمار، علاوة على الممارسة الفعلية لعملية الدراسة التحليلية التقويمية.

٤- ندرة الدراسات الدعوية التي تعنى بدراسة وتقويم المجلات الدعوية، وموقفها تجاه القضايا الدعوية، وأهمية تلك القضايا المطروحة في تلك المجلات من خلال الضوابط المنصوص عليها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

٥- إنه في تجلية منهج المجلة الدعوي وأهدافها ما يوضح توجهات هذه المجلة ومواقفها تجاه تلك القضايا المتعلقة بأهدافها.

٦- مكانة هذه المجلة في الأوساط العلمية وسرعة انتشارها وتوزيعها.

٧- المتغيرات الجديدة وبخاصة الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين وما تفرزه من أحداث تؤثر على مسيرة الدعوة.

رابعاً: أهداف الدراسة:

تعطي مجلة الدعوة الصادرة بالمملكة العربية السعودية اهتماماً بالغاً بمعالجة القضايا الدعوية، ذلك أن في معالجة تلك القضايا دور مهم في العملية الدعوية؛ حيث تساعد الدعاة والمدعوين في حل بعض قضاياهم، وذلك من خلال رسمها لأهداف دعوية تناسب توجه المجلة بما تقدمه من حلول وفهم للأحداث والمستجدات على الساحة الإسلامية وغيرها، لذا تسعى هذه الدراسة إلى قياس مدى اتساق ما تنشره المجلة من موضوعات ومعالجات مع ما تتبناه من أهداف من خلال قياس اتجاهات القراء والخبراء والدعاة، وتقويم معالجاتها الإعلامية وعلاقة ذلك باحتياجات ودوافع قرائها من خلال قياس مدى تحقيق المجلة لأهدافها الدعوية في الأمور الآتية:

١- الوقوف على ما تقوم به مجلة الدعوة من علاج للقضايا الدعوية المتعلقة بالدعاة والمدعوين سواء كانوا جماعة أم أفراداً فيما يخص موضوعاتها وهل حققت مع أهدافها الدعوية.

٢- الوقوف على ما تقدمه المجلة من علاج القضايا الدعوية المتعلقة بموضوعات أهداف المجلة ومدى تحقيقها لأهدافها الدعوية.

٣- إبراز دور المجلة كوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى، والوقوف على ما تؤديه هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى.

٤- معرفة أوجه الضعف والقوة في أداء المجلة عند معالجتها للقضايا الدعوية.

٥- الاستفادة من منهج المجلة، وأهم موضوعات الأهداف الدعوية التي تناولتها.

خامساً: تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن عدد من التساؤلات من خلال الإطار النظري والإطار التطبيقي: الإطار النظري: تساؤلات خاصة بالجوانب المعرفية للمجلة وتشتمل:

١ – ما مفهوم المنهج، وما ضوابطه، ومجالاته؟.

٢ – ما أهداف الصحافة ووظائفها ؟.

٣ – ما أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها ؟.

٤ – ما مفهوم المجلة؟.

٥ – متى أنشئت مجلة الدعوة السعودية؟.

٦ – ما أهدافه مجلة الدعوة السعودية؟.

٧ – ما دوافع إصدار مجلة الدعوة السعودية؟.

٨ – ما الجهود الدعوية التي تبذلها مجلة الدعوة السعودية ؟.

٩ – ما دور الدعاة في عملية معالجة القضايا المستجدة؟.

الإطار التطبيقي: (الدراسة الميدانية):

تساؤلات خاصة بالتقويم:

١– ما أهمية دراسة أهداف مجلة الدعوة السعودية ؟.

٢– هل حققت مجلة الدعوة السعودية أهدافها الدعوية أم لا ؟.

٣– ما مدى التزام مجلة الدعوة السعودية بأهدافها الدعوية عند رسمها لأهدافها الدعوية؟

٤– هل هناك أوجه ضعف وأوجه قوة في أداء المجلة في جوانب معينة أم لا؟

سادساً: الدراسات السابقة:

تعتبر هذه الدراسة التي تتناول منهج مجلة الدعوة السعودية، في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية تقويمية دعوية لآراء جمهور المجلة نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها، جديدة من حيث موضوعها، وهذا ما تبين للباحث من خلال استطلاع ومسح قوائم الرسائل الجامعية في عدد من المراكز البحثية والجامعات السعودية، واتضح أن ذلك الموضوع لم يخضع للدراسة حسب علم الباحث.

اطلعت مؤخرا بعد اكتمال الدراسة على البحث التكميلي للباحث سلطان بن

حماد الحماد بعنوان: المضامين الدعوية في مجلة الدعوة، دراسة تحليلية لعينة من الأعداد خلا المدة من ١٤٣٢/١/١هـ إلى ١٤٣٢/١٢/٣٠ه وهو عبارة عن بحث مقدم لاستكمال متطلب الحصول على درجة الماجستير في الدعوة، ويمكن للباحث ذكر فصول دراستها فقط وتشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول إضافة إلى الخاتمة والفهارس، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: التمهيدي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ومراحل تطورها وملامحها الدعوية.

المبحث الثاني: نشأة مجلة الدعوة السعودية وتطورها وفيه مطلبان.

الفصل الأول :المضامين الدعوية المتعلقة بصفات الداعية ويشتمل على تسعة مباحث.

المبحث الأول: الإخلاص.

المبحث الثاني :العبادة وقوة الصلة بالله.

المبحث الثالث :الحرص على هداية الناس.

المبحث الرابع: الرفق.

المبحث الخامس: الصدق.

المبحث السادس :العفو.

المبحث السابع: الغيرة.

المبحث الثامن :التواضع.

المبحث التاسع :الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثاني :المضامين الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين.

ويشتمل على أربعة مباحث.المبحث الأول:عامة المسلمين وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني :المنافقون.

المبحث الثالث :أهل الكتاب اليهود والنصارى.

المبحث الرابع :المشركون وفيه مطلبان.

الفصل الثالث :المضامين الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة.

وفيها ثلاثة مباحث.

المبحث الأول :موضوعات الدعوة العقدية وفيه اثنا عشر مطالباً.

المبحث الثاني :موضوعات الدعوية الشرعية وفيه تسعة مطالب.

المبحث الثالث :الموضوعات الدعوية الأخلاقية وفيه خمسة مطالب.

الفصل الرابع :المضامين الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة ووسائلها في مجلة الدعوة وفيه مبحثان:

المبحث الأول :المضامين الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة وفيه ستة مطالب.

المبحث الثاني: المضامين الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة بمجلة الدعوة وفيه أربعة عشر مطلباً.

الخاتمة -.الفهارس.

والباحث هنا لم يشر إلى أي دراسة تتحدث عن الصحافة بوجه عام، و كذلك دراسته ليس لها علاقة بموضوع هذه الدراسة، إذ إن هذه الدراسة دراسة ميدانية مخصصة لاستطلاع آراء جمهور قراء المجلة حول تحقيق المجلة لأهدافها. وقد بين مجتمع دراسته، بقوله: "وقد تكون مجتمع الدراسة من ٥٢ عدداً من أعداد مجلة الدعوة التي صدرت عام ١٤٣٢هـ من الهجرة النبوية الشريفة (١).

كما أن من أهداف دراسته - وفقه الله تعالى-

١ -التعرف على نشأة مجلة الدعوة السعودية وتطورها وأهم أنشطتها.

---

(١) المضامين الدعوية في مجلة الدعوة، دراسة تحليلية لعينة من الأعداد خلا المدة من ١٤٣٢/١/١هـ إلى ١٤٣٢/١٢/٣٠هـ بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدعوة للباحث سلطان بن حماد الحماد، عام ١٤٣٥/١٤٣٦هـ ص٧.

٢ -بيان المضامين المتعلقة بالداعية.

٣ -إبراز المضامين المتعلقة بالمدعو.

٤-الوقوف على المضامين المتعلقة بموضوع الدعوة.

٥ -إيضاح المضامين المتعلقة بأساليب الدعوة و وسائلها.

وقد بين - وفقه الله تعالى- أن اهتمامه بالمضامين فقط أثناء عرضه لاختلاف دراسته عن الدراسات السابقة، وأن هذه الدراسة ستكون -بإذن الله -لبنة من لبنات البحث العلمي؛ وذلك لأهمية عرض المضامين الدعوية عبر وسائل الإعلام عامة ومجلة الدعوة خاصة، ولما ستمثله هذه الدراسة من تكامل في مجال حقل الدعوة إلى الله مع وسائل الإعلام المختلفة، وإيصال الأفكار الدعوية البناءة الهادفة إلى مختلف شرائح المجتمع.بينما دراستي هذه لم تتطرق إلى المضامين الدعوية، وكانت دراسة استطلاع رأي حول تحقيق المجلة لأهدافها التي رسمتها لنفسها عند تأسيسها.

سابعاً: تحديد المشكلة البحثية وصياغتها:

قام الباحث بمجهود علمي للتعرف على مكونات موضوع الدراسة وتصور أبعاده، والوقوف على عدد من القضايا والمؤشرات التي كشفت من خلالها المشكلة البحثية وصياغتها؛ حيث تعطي مجلة الدعوة الصادرة بالمملكة العربية السعودية اهتماماً بالغاً بمعالجة القضايا الدعوية، ذلك أن في معالجة تلك القضايا دوراً مهاً في العملية الدعوية؛ حيث تساعد الدعاة والمدعوين في حل بعض قضاياهم، وذلك من خلال رسمها لأهداف دعوية تناسب توجه المجلة بما تقدمه من حلول وفهم للأحداث والمستجدات على الساحة الإسلامية وغيرها، وتتحدد المشكلة البحثية في هذا الدراسة من خلال استنباط المنهج الدعوي المبني على تحقيقها لأهدافها من خلال الأمور الآتية:

١.تحديد المفاهيم الأساسية لمكونات عنوان الدراسة، وأيضا التعرف على

تاريخ تأسيس المجلة وأهدافها، ومراحل تطورها، ووظائفها؛ بما يتيح للباحث وضع تصور شامل للمجلة.

٢.تقويم مدى تحقيق المجلة لأهدافها، من أجل الوصول بها إلى أن تكون أكثر عطاءً، وأن تكون آراؤها بناءة؛ حيث إنها وسيلة دعوية مهمة، تعالج القضايا الدعوية التي تهم المجتمع المسلم وغيره في إطار المسلمات والقيم النابعة من الشرع الحكيم وقيمه المثلى والمصالح المعتبرة.

ويمكن للباحث في ضوء ذلك أن يثير سؤالين مهمين للغاية :

السؤال الأول: هل حققت مجلة الدعوة السعودية أهدافها أم لا ؟

وللبحث عن إجابة علمية على هذا السؤال نجد أن أهداف المجلات تتمتع بالثبات والتشابه عبر مراحلها التاريخية؛ حيث كشفت المتابعة التاريخية لنشأة المجلات وتطورها عن ارتباطها بمجموعة من الأهداف، وهذا المعنى هو الذي جعل المجلات في العالم الإسلامي تحرص على ربط مادتها التحريرية بأهداف المجتمع الإسلامي الذي تصدر فيه وقيمه ومثله العليا حسب مقتضيات سياستها التحريرية(١).

وفي ضوء ذلك فإن الباحث يطرح الفرض البحثي التالي للإجابة على السؤال الأول: فرض البحث: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق أهدفها الدعوية:

السؤال الثاني: هل هناك أوجه ضعف في أداء المجلة في جوانب معينة أم لا؟

إن وظائف المجلة تنمو وتزداد بتعدد المراحل التاريخية التي يمر بها المجتمع، حيث

---

(١) انظر: وظائف التبليغ القرآني، أعلام الإنسان بالشرائع والمنهج لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، د. إحسان عسكر ط١، (مصر، دار الاتحاد العربي،١٤٠٤هـ) .ص٩٨.وانظر: الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، مرعي مدكور، ط١، (القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧م) ،ص١٢.بتصرف

تضيف كل مرحلة جديدة وظائف جديدة للمجلة لتلبي احتياجات التطور، كذلك تختلف هذه الوظائف من مجتمع لآخر، وذلك باختلاف أنظمته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأيضا تختلف باختلاف التقدم الحضاري(١).

وسيتم الإجابة على السؤال الثاني من خلال الدراسة التقويمية لأهداف مجلة الدعوة السعودية.

ثامنا: نوع الدراسة ومنهج البحث وأدواته:

تدخل هذه الدراسة في إطار الدراسات الميدانية التقويمية الوصفية، وذلك باعتبار أن موضوع الدراسة يركز على وصف المنهج الدعوي المستمد من خلال تطبيق المجلة لأهدافها.

كما أن الباحث سيستخدم منهج الدراسات المسحية، الذي يعتبر جهدا علميا منظما للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة موضوع الدراسة(٢).

وقد شمل المسح الوثائقي والنظري والميداني والتحليلي، الجوانب الآتية:

ا. مسح الوثائق الرسمية عن المجلة، تاريخ نشأتها وأهدافها، ووظائفها.

ب. مسح التنظيمات الرسمية عن الصحف للتعرف على الضوابط والمحددات وغيرها.

ج. استطلاع عينة من القراء للتعرف على آرائهم تجاه أهداف المجلة.

فإن المنهج الأنسب هو منهج وصف الأهداف المرسومة للمجلة؛ حيث إنه أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي لمجلة الدعوة السعودية في مدى تحقيق أهدافها.

---

(١) انظر: مدخل إلى علم الصحافة، د. فاروق أبو زيد،ط٢(القاهرة، عالم الكتب،١٤١٨هـ) ص٥٥بتصرف.

(٢) انظر: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف،ط١(الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٩هـ) ص٢٠٦.

تاسعاً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة المنهجية.

أولاً: مدخل الدراسة.

ثانياً: أهمية الدراسة.

ثالثاً: أسباب اختيار الدراسة.

رابعاً: أهداف الدراسة.

خامساً: تساؤلات الدراسة.

سادساً: الدراسات السابقة:

سابعاً: تحديد المشكلة البحثية.

ثامنا: نوع الدراسة ومنهج البحث وأدواته:

تاسعاً: تقسيمات الدراسة.

الفصل الأول: الدراسة النظرية :

المبحث الأول: مفهوم المنهج وأهميته وعناية الإسلام به:

المطلب الأول: مفهوم المنهج.

المطلب الثاني: أهمية المنهج وعناية الإسلام به.

المبحث الثاني: أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها.

المطلب الأول: أهداف الصحافة الإسلامية.

المطلب الثاني: وظائف الصحافة الإسلامية.

المبحث الثالث: تاريخ نشأة مجلة الدعوة السعودية وأهدافها:

المطلب الأول: التعريف بالمجلة

المطلب الثاني: نشأتها وتطورها

المطلب الثالث: أهداف مجلة الدعوة السعودية.

المطلب الرابع: جهود مجلة الدعوة السعودية الدعوية

الفصل الثاني: الدراسة الميدانية :

التمهيد: المنهج المعتمد في الدراسة الميدانية.

أهداف الدراسة الميدانية.

أهداف الاستبيان.

فروض الدراسة الميدانية

الأساليب الإحصائية المستخدمة

خصائص عينة الدراسة.

تحليل أسئلة الدراسة.

المبحث الأولى: نتائج الدراسة الميدانية لأهداف مجلة الدعوة السعودية

المطلب الأول: العناية بالقضايا الدعوية.

المطلب الثاني: العناية بالبحوث الفقهية.

المطلب الثالث: العناية بالفتاوى الشرعية.

المطلب الرابع: العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

المطلب الخامس: الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

المطلب السادس: العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

المطلب السابع: العناية بالقضايا الاجتماعية.

المطلب الثامن: العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

المبحث الثاني: تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية

المبحث الثالث: تقويم دلالات نتائج الدراسة الميدانية.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

الفصل الأول

الدراسة النظرية

المبحث الأول

مفهوم المنهج وأهميته وعناية الإسلام به

الكتابة عن المناهج العلمية يستدعي تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يحتويها عنوان الدراسة، لأَنَّ الْحكْمَ علَى الشَّيءِ فَرعٌ عنْ تَصوّرِهِ (١).

المطلب الأول

مفهوم المنهج

أولاً: المنهج: لغة: مأخوذ من مادة: **نهج**، ينهَج، نهجاً، ونهجاً. والنهج: الطريق البِّين الواضح.

ونهج لي الأمر أوضحه. وفلان نهج سبيل فلان سلك مسلكه، والجمع **نُهج** و **مناهج**(٢). وعلى هذا فالمنهج في اللغة يعني الطريق الواضح أو الخطة المرسومة للسير عليها.

المنهج في الاستعمال القرآني: وردت الإشارة إليه في موضوع واحد عند حديث القرآن عن الكتب السابقة وموقف القرآن منها، وموقف النبي -صلى الله عليه وسلم- من أهل الكتاب حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق : د. محمد الزحيلي ، د. نزيه حماد، ط٢، ١/٥٠، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، ١٤١٣هـ) .

(٢) انظر: لسان العرب،٢/٣٨٣، والمصباح، المنير،ص٢٤٠، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٥٦٢، وانظر: التوقيف على مهمات التعريف،ص٦٨١.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

يقول ابن عباس-رضى الله عنه-: "شرعة ومنهاجا: سبيلا وسنة"[2] فالمنهاج السبيل أي الطريق الواضح والشرعة والشريعة بمعنى واحد[3] وشرع: سن.

المنهج في بعض استعمالات السنة النبوية: جاء بمعنى الطريق الواضح الذي ينبغي السير عليه، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تبارك وتعالى إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"[4] أي يسلك الخلفاء مسالك النبي -صلى الله عليه وسلم- وينهجون نهجه ويسيرون على طريقته.

في الاصطلاح: المنهج والمنهاج:

الطريق الواضح في تحصيل علم وتعليمه، وهو علم قائم بذاته يهتم بالتفكير بالدرجة الأولى، وبناء على ذلك كثرت تعاريفه عند المختصين من العلماء، ويمكن الوقوف على أبرز تلك التعاريف، على النحو الآتي: هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

(٢) صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي،ط٢(الرياض، دار السلام،١٤١٩هـ) ،باب الإيمان، وقول النبي ﷺ بنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمسٍ وهو قَولٌ وَفعْلٌ وَيَزيدُ وَيَنْقصُ. حديث: ١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، ط٢ ،٦٤/١، (القاهرة، السلفية، ١٤٠٠هـ) .

(٤) مسند الإمام أحمد، حديث رقم:١٨٥٩٦.ص١٣٤١.

عملياته الفكرية حتى يصل إلى نتيجة معلومة [١].

وعرفه البعض بأنه" فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"[٢]. وهذا يعني أن المناهج تختلف باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، مع الإيمان بوجود قاسم مشترك بين تلك المناهج المختلفة، وفي غالب الأمر، تتعاون مجموعة من المناهج لخدمة فن واحد معين [٣].

مفهوم المنهج:

من خلال التعاريف السابقة يتضح أن المنهج في هذه الدراسة، هو: الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصوراته، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين.

منهج الدعوة:

اصطلح الدعاة في العصور المتأخرة على أن يطلقوا مناهج الدعوة على: الخطط العملية، والأصول والقواعد النظرية، الشرعية والعقلية، والمسالك الخلقية، المستعملة في نشر الدعوة الإسلامية [٤].

المفهوم الاصطلاحي لمناهج الدعوة:

هي العمليات التي يسلكها الداعية لكي يصل إلى ما يهدف إليه تجاه المدعو على أساس علمي بعيد عن الارتجال.

---

(١) مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي،ط٣، (الكويت، وكالة المطبوعات،١٩٧٧م). ص٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤.

(٣) منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد موسى،(بيروت، دار الكتب اللبناني،١٩٨٢م) ص٢٧١ بتصرف.

(٤) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني،ط١(الرياض، دار اشبيليا،١٤١٧هـ) ١/٥٠.

العمليات التي يسلكها الداعية:

يراد بها جميع المناهج الدعوية التي تستدعي من الداعية دقة في انتقائها لتتفق مع ما يراد معالجته لدى المدعو، ومن هنا تكتسب خصوصياتها لكون كلٍّ منها يعالج وضعاً خاصاً، وحرصاً على المدعو وانطلاقاً من الإشفاق عليه ومحبة الخير له.

ثانيا: مكونات المنهج:

١- هي الخطط والنظم والأهداف والغايات، وبناء على ذلك فمناهج الدعوة، خططها وطرائقها.

وتندرج تحت مفهوم المناهج أساليب الدعوة ووسائلها وأهدافها.

إن معنى منهج الدعوة تلك الطرق والأساليب والوسائل والأسس والغايات التي تنخرط في سلك الدعوة وموضوعها، ومنها المتصل بكتاب الله عز وجل،وقد عرف البعض مناهج الدعوة:

٢- نظم الدعوة وخططها المرسومة لها فيقال: نظام العقيدة في الإسلام، ونظام العبادة، ونظام الاقتصاد ونظام السياسة. كما يقال تبليغ الإسلام ونظام تعليمه، ونظام تطبيقه.

ثالثا: استعمالات السلف:

لقد استعمل السلف-رضى الله عنهم- مصطلح السنة والسيرة، كما استعملوا مصطلح الشمائل وذلك فيما يتعلق بأقوال وأفعال وتقريرات وصفات رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أما كلمة منهج فلم ترد في استعمالاتهم، وإن رويت عن ابن عباس-رضى الله عنه- في تفسير منهاج في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١) حيث فسر المنهج بالسنة النبوية.

إن المنهج يستعمل أكثر في جملة من الطرق والمحددات المنهجية التي تستعمل

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

لإنتاج معرفي موحد لا يتغير ذلك الناتج مهما تغير الزمان أو المكان أو الإنسان الذي يستخدم ذلك المنهج.

وقد شاع مصطلح منهج ليعبر عن السنن والسير والشمائل، أو ليكون مفهوما عاما لها، مثل منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة أو في الحكم أو في القيادة أو في المعاملات.

المطلب الثاني

أهمية المنهج وعناية الإسلام به

ترجع أهمية المنهج إلى كونه الطريق المأمون في الوصول إلى العلم الصحيح،والإسلام له عنايته الخاصة لطلب العلم، فقد أمر الإسلام بالعلم وأثنى على العلماء، وذم الجهل والجاهلين كما طالب بالتثبت والتحقق في طلب العلم، وطالب بإقامة الدليل والبرهان على أية دعوى يدعيها الانسان، وكما يقول علماء البحث والمناظرة:" إذا كنت ناقلاً فالصحة،وإذا كنت مدعياً فالدليل.."ولما ادعى المشركون أن الملائكة بنات الله وحكموا عليهم بالأنوثة طالبهم الله عز وجل بالبرهان والدليل على ما يدعونه.وبيَّن أن هذا الأمر دليله المشاهدة والمعاينة، وهم لم يشاهدوا خلق الملائكة فكيف يحكمون عليهم بالأنوثة.

إنه حكم خاطئ وبنوا قولهم على التخمين والظن، وهذا أمر طريق إثباته يعتمد على المشاهدة والمعاينة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ (١).

ولذلك كانت عناية الإسلام بالمناهج كبيرةلأنها وسيلة التثبت والتحقق في طلب العلم، وبدون المنهج السليم في البحث يشرد الذهن وتتحكم فيه الأهواء ويضل الطريق. ولايعد الإنسان عالما مالم يسلك منهجاً علميا يحقق به معلوماته وموضوعاته. وقد طالبَ القرآنُ اليهودَ بتوثيق دعواهم حينما قالوا للرسول -صلى الله عليه وسلم- تدَّعي أنك على ملة إبراهيم ولكنك تخالف شريعته فأنت تأكل من لحوم الأبل وتشرب من ألبانها وإبراهيم قد حرمها على نفسه، فنزل القرآن بتأنيب اليهود وبين أن دعواهم ينقصها التوثيق، فهي دعوى كاذبة لأنها قائمة على منهج خاطئ؛ لأنهم لم يشاهدوا إبراهيم و لم يعاصروه و لم يأتهم نص في التوراة يدل على

---

(١) سورة الزخرف، الآية:(١٩).

ذلك، فمن أين إذا استقوا دعواهم..؟.إن دعواهم تفقد المنهجية الصحيحة، قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ (١)

ومن هنا كانت عناية الإسلام بمنهج التوثيق للأخبار وعنايته بمنهج القياس والاعتبار في تفريع الأحكام ومنهج التجريب والمشاهدة في علوم الكون والحياة، وكانت فعلاً مسألة المناهج من الدين لأنها بمثابة الطريق الصحيح الموصل إلى العلم الصحيح (٢).

يقول عبد الله بن المبارك -رضى الله عنه-: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء"(٣) إذا لابد من معرفة المناهج وضوابطها الشرعية حتى نبني الفكر السليم والقويم، ولا بد من دراسة المنهجية العلمية في الفكر الإسلامي لأنها هي الكاشفة عن الطريق التي يسلكها العقل في بحثه عن الحقيقة(٤).

إن الداعية لا يباشر عملاً عادياً يستمر فيه على وتيرة واحدة وإنما يتعامل مع مدعو له أحوال متعددة وصفات مختلفة تستلزم منه جهداً، يتمثل في انتقائه للمناهج الدعوية ليأخذ بيد المدعوين ويسعى لخلاصه من هواه،والداعية متأسي في ذلك

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: (٩٣-٩٤).

(٢) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبد المنعم صابر، العدد١٨٣(من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٨هـ) ص١٨.

(٣) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري،ط٢، (الرياض، دار السلام، ١٤٢١هـ) .،باب بيَانِ أنَّ الْإِسْنَادَ من الدّينِ وأنَّ الرِّوَايَةَ لا تكُونُ إلا عن الثِّقَاتِ وأنَّ جرْحَ الرُّواةِ بمَا هو فيهِمْ جَائزٌ بلْ وَاجبٌ .

(٤) المرجع السابق، ص١٨.

بالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(١).

إن تعدد أحوال المدعو واختلافها وتأثرها بالطبيعة النفسية والجسدية وبما فطر وجبل عليه، وتتأثر هذه الأحوال بالبيئة وبما فيها من عادات وتقاليد وبطبيعة الزمان والمكان، وبما لدى المدعو من رصيد ثقافي ومعرفي يقتضي أن يكون لكل من هذه الأحوال منهجاً دعوياً خاصاً يستطيع الداعية به التأثير في المدعو وتغيير حاله من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن.

(١) سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

المبحث الثاني

أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها

المطلب الأول

أهداف الصحافة الإسلامية

قبل الحديث عن أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها يحسن بالباحث الوقوف على تعريف الصحافة وبيان مفهومها، وأهدافها، وأهميتها، ويمكن بيان ذلك في فرعين:

الفرع الأول: مفهوم الصحافة الإسلامية وأهميتها:

التعريف بالصحافة: لغة:

مشتقة من مادة صحف، وقد اشتق منها لفظ صحيفة. وقد استعملت الصحيفة في معنى كل ما فيه خبر أو إعلان أو معلومات وغيرها(١).

والصحيفة:

إضمامة من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك، وجمعها صحف وصحائف (٢).

الصحافة اصطلاحاً: هي رواية الأخبار وعرضها بطريقة ما على القراء (٣).

أهمية الصحافة:

تعتبر الصحافة من أهم وسائل الاتصال والدعوة والتبليغ والتعارف والتعاون البشري، كما أنها من أقوى الوسائل تأثيرا في المجتمع ،لاسيما في عصرنا الحديث، حيث إنها ضرورة نفسية إنسانية، فهي بذات الوقت ضرورة اجتماعية، وبهذا فلا

---

(١) الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، ط١،(بيروت، الرسالة،١٤١٤هـ) ص٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص٥٠.

مفر للإنسان المسلم من استخدام هذه الوسيلة، بل واستخدامها في الميدان الدعوي، لتكون وسيلة ناجحة لتوصيل تعاليم هذا الدين إلى الناس في كل مكان. وبما أن الصحافة وسيلة توجيه وإرشاد تعمل على تكامل الشخصية الإنسانية بواسطة الخبر والمقال والتعليق والتحقيق، وغير ذلك من الثمرات التي تحملها الصحافة اليوم، فهذا أحد أهداف الرسالة الإسلامية(١).

الفرع الثاني: أهداف الصحافة الإسلامية:

تسعى الصحافة الدينية إلى تحقيق أهدافها وتسعى إلى إيصال رسالتها السامية إلى قرائها من خلال ما تقدمه من مواد نافعة، ومما لا شك إن من أهداف الصحافة بوجه عام - إعلام الناس بما يهمهم ويتصل بحياتهم العامة والخاصة.

أو بعبارة أخرى تلبية رغبات الناس في الإجابة على تساؤلاتهم بشأن ما يجري من أحداث داخلية أو خارجية تتصل بشؤون حياتهم المختلفة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ويمكن الإشارة سريعاً إلى أهم أهداف الصحافة الدينية في النقاط الآتية:

١. تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط، وخلق مجتمع متعارف، بما تقدمه من قضايا اجتماعية، ومن أنشطة إنسانية وخبرات فكرية أو سلوكية شريفة لأبطال الأحداث، والتقييم الصحيح للعلاقات والأعمال والعاملين بتكريم ما كرم الله ورسوله، ونبذ ما نبذ الله ورسوله وتولى من تولى الله ورسوله ومن أمرنا بتوليتهم، ومحادة من حاد الله ورسوله ومن أمرنا بمعاداتهم، فإن بهذا نؤثر في السلوك الاجتماعي لجماهير الصحافة والممارسة العملية التربية في العلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

٢. محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.

٣. التصدي لأعداء الإسلام.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٥ .بتصرف يسير.

٤.تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.

٥.الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.

٦.تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً وتوضيحها وإرشاد الجمهور وتوجيهه وفق القيم والمبادئ الإسلامية.

٧.ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة(١).

٨.غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء(٢).

٩.نقد كل تصرف أو سلوك اجتماعي نقداً علمياً، دون أن يتعرض صاحب النقد للعقوبة أو للأذى أو للحرمان من حق هو له بمقتضى الشرع الإسلامي (٣).

١٠.التثقيف والتعليم: لقد وصلت الثقافة الفكرية في حدتها ورقيها حدا جعل من الابتكار العلمي والأدبي شيئا رائعا جداً، ولو بحثنا عن الصور التي تنطبع عليها بجلاء ظاهر.

١١.نشر وتأصيل الثقافة الإسلامية فكرا وسلوكا، ونشر المبادئ السامية والأخلاق الرفيعة، ومحاربة الثقافات المنافية لقيم وتعاليم ونظم الإسلام داخليا وخارجياً، فإنها الجامعة العملية التي تلقن طلابها من الرأي العام مختلف العلوم والمعارف.

١٢.هدف عقائدي: وهو هدف هام ووظيفة هامة تقوم بها الصحافة خاصة في وقتنا الحاضر، حيث انتشرت عقائد مذهبية وأيديولوجيات متباينة وما يلاحظ على تقصير وسائل الإعلام أو عدم اهتمامها بمهمة التفسير والتحليل والتوضيح

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١،(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م) ص٢٦.

(٢) انظر في جميع الأهداف:الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د.جواد راغب أيوب، رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث، ١٣٢-١٣٣.

(٣) المرجع السابق،ص٥٧.

على أسس موضوعية علمية سليمة لما ينشر من أخبار ومما يذاع من أفكـــار وأراء لأصحاب السلطة في الداخل وفي العالم الخارجي، مما ساعد على إشاعة الغمـــوض وبلبلة الأفكار وخاصة بين الشباب ومحدودي الثقافة والخبرات.

١٣.الإسهام في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المستويات المحلية والخارجية الفردية والأسرية والاجتماعية (١).

١٤.الإسهام في تحريك الطاقات وإشراكها مع بعضها ومـــع ولاة الأمـــر في تحقيق هدف الأمة الإسلامية، وإقامة حبل التواصل عن طريق متابعة الأخبار لخطط التنمية وللمساهمين فيها.

١٥.الإسهام في تحقيق عوامل الاستقرار والأمن والرخاء للمجتمع واســـتنفار الأفراد لإعداد العدة والجهاد في سبيل الله وإرهاب أعداء الله وأعدائهم وآخرين من دونهم لا نعلمهم، الله يعلمهم.

١٦.الإسهام في إرساء قواعد تقييم المخلصين والمنتجين على أساس تكـــريمهم ونبذ الكسالى والمفسدين وقبول الأعمال الصالحة والمفيـــدة، واحتقـــار الأعمـــال الفاسدة والضارة، وإرساء قيم الحب والمودة والتعاون والبذل وخلع وإهمال قـــيم الصراع والأنانية .

١٧.التعرف على مشكلات الناس ومعرفة احتياجـــاتهم وميـــولهم ومحاولـــة صبغتها صبغة إسلامية لجذبهم إليها بدل أن تعذبهم الصحف القومية أو العلمانيـــة والماركسية الأخرى إلى صفها بدعوى الدفاع عنهم وتبني مشكلاتهم وكل هذا يتم بالنزول إلى الناس صحافيا .

١٨.الاهتمام بالنشء في هذه الصحافة وإبراز دورهم الهام صحافيا وفي مختلف مناحي الحياة – اجتماعية تعليمية ثقافية – فكرية، وفي إطـــار القـــيم والمبـــادئ الإسلامية.

---

(١) محاضرات في الإعلام ووظائفه، د. عمارة نجيب، ص٥١.

المطلب الثاني

وظائف الصحافة الإسلامية

للصحافة وظائف كثيرة، يمكن الإشارة إلى جزء منها على النحو الآتي:

١- ثقافية.

٢- دفاعية.

٣- هجومية.

الثقافية: هي التي تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزيين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله، والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه.

وأما الدفاعية: فتتم بالرد على ما يثيره العدو من الشبهات وأباطيل وما يردده من الشائعات أو يطلقه من محاولات للتشويش.

وأما الهجومية: فتتم بتبني سياسة الحق والإعلان عنها، وبيان وجهها الصحيح ومنهجها الواضح، مع العناية ببيان أن ما يناقضها أو يخالفها باطل وزيف، وعليه يتحدد مفهوم وظائف الصحافة الإسلامية في هجومها ودفاعها بكشفها لحق الإسلام ودين التوحيد، وإعلانها عن صحة هذا الدين وحده دون سواه، وإذاعته ونشر ما يؤكد هذه الحقيقة ويصلها بالوحي الإلهي.

وقد يقتضي هذا الشكل من الوظائف استعمال أسلحة الهجوم المباشر، لبيان كل ما يخالف عقيدتنا وشريعتنا، وأخلاقنا وسلوكياتنا الإسلامية، أما الدفاع فيتطلب من الصحافة الإسلامية أن ترد جميع الشبهات التي يثيرها الأعداء ضد العقيدة الإسلامية وشريعتها الغراء، كشبهة التعدد وادعاء تدني المرأة في الإسلام، أو ادعاء عدم ملائمة الشرع الإسلامي للتطور، إلى غير ذلك من الدعاوى الظالمة (١).

---

(١) الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، مرجع سابق، ص٤٢٦-٤٢٧.

المبحث الثالث

التعريف بمجلة الدعوة السعودية وتاريخ نشأتها وأهدافها

التعريف بالمجلة ونشأتها، وأهدافها:

المطلب الأول

التعريف بالمجلة

في اللغة: المجلة معنى من معاني الرسالة، وأصل المجلة الصحيفة المشتملة على القليل من المسائل التي تكون من نوع واحد(١) وقال أصحاب المعجم الوسيط: "المجلة: الكتاب والصحيفة تجمع طرائف المعرفة (٢).

في الاصطلاح: كل صحيفة عامة متخصصة في فن من الفنون تظهر في أوقات معينة، بخلاف الصحف اليومية"(٣)ومجلة الدعوة السعودية (٤) هي ذلك الجهد المتمثل في إصدار إضمامة من الصفحات تصدر أسبوعيا في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة، وما يتعلق بالأمور الدينية على شكل تحقيقات ومقالات، وخطب وندوات ومحاضرات مفرغة، لتحقق أهداف كثيرة من الناحية الدعوية، وغيرها.

---

(١) التوقيف على مهمات التعريف، الشيخ عبد الرءوف المناوي،ط١،(القاهرة، عالم الكتب،١٤١٠هـ) ص١٧٧.وانظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق،د.عبدالرحمن عميرة، ط١،(بيروت عالم الكتب،١٤٠٧هـ) ص١٤٧.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢،(تركيا، المكتبة الإسلامية،١٣٩٢هـ) ص ١٣١.مادة"جَلَّ"

(٣) المرجع السابق،ص ١٣١ .

(٤) قيد الباحث اسم المجلة بالسعودية لتميزها عن مجلة الدعوة المصرية.فلو أطلقها لنشأ سؤال أي مجلات الدعوة؟؛ولكون مجلة الدعوة المصرية معروفة لدى الأوساط العلمية جرى تقييدها والتنويه إليها.

المطلب الثاني

نشأتها وتطورها

النشأة:

مجلة الدعوة مجلة أسبوعية إسلامية اجتماعية شاملة، بدأ صدورها في شكل جريدة أسبوعية، ثم تحولت إلى مجلة بعد عدة سنوات(١) وقد أسسها سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضائها ورئيس الشؤون الإسلامية السابق -رحمه الله- وقد أولاها جل اهتمامه الشخصي وتعاهدها حتى تحقق لها كل هذا النجاح المشهود اليوم. وقد ساهم معه ثلة من أصحاب الفكر والثقافة فأصبحوا من أعضاء مؤسسين حسب النظام المعمول به في المؤسسة(٢).

ويرأس مجلس إدارتها منذ إنشائها وحتى اليوم صاحب المعالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل ورئيس مجلس القضاء الأعلى الأسبق.أما المدير العام ورئيس التحرير فهو الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالكريم العيسى (٣).

التطور:

المولد وبدء المرحلة الأولى:

صدر العدد الأول من "الدعوة" صباح الاثنين ١٠ محرم ١٣٨٥، الموافق ١٠ مايو ١٩٦٥م، وسرعان ما تلقفتها الأيدي واستقبلتها القلوب المؤمنة بالترحاب والإشفاق، فالتجربة جديدة وفريدة والساحة خالية من مجلة تعبر عن هموم الأمة الإسلامية وطموحاتها إبان تلك المرحلة.

---

(١) حسب صورة القرار.

(٢) أسماء الأعضاء المؤسسين ،ونظام المؤسسة .

(٣) حسب التشكيل الجديد لهيكل الإدارة والتحرير في مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية .

المطلب الثالث

أهداف مجلة الدعوة السعودية

تسعى المجلة منذ إنشائها إلى تحقيق عدة أهداف سامية، يمكن عرضها على النحو الآتي:

١. إصدار صحيفة يومية باسم(الدعوة).

إصدار مجلة شهرية باسم(منار الإسلام).

تعنى الجريدة بالجوانب الآتي بيانها:

الشؤون الإسلامية دعوة ودراسة وتعليقاً وخبراً.

الإشادة بالتاريخ الإسلامي وجوانبه المشرقة، وبرجاله البارزين واستخلاص العبر والعظات من كفاحهم وطرق معايشهم.

البحوث الفقهية والفتاوى الشرعية.

الشؤون الأدبية واللغوية.

المشاكل الاجتماعية وأحوال الأسرة والمجتمع.

العناية والاهتمام بما يشوق القارئ بتنويع المواد وإجراء المسابقات العلمية والأدبية والرياضية، ونشر المبتكرات المفيدة بما لا يتعارض مع أهداف هذه المؤسسة.

محاربة المذاهب الهدامة والمبادئ المخالفة وإظهارها على حقيقتها.

تلتزم المؤسسة في نشاطها الصحفي بالاعتدال في الدعوة والتوجيه والنقد مترسمة مدلول قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾(١).

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

المطلب الرابع

جهود مجلة الدعوة السعودية الدعوية

تعد مجلة الدعوة من المجلات الرائدة في نشر الدعوة ممثلة في كوادرها وكتابها، ويتمثل ذلك في نشر العلم الشرعي، من خلال طرح العديد من الموضوعات العلمية والثقافية الهادفة ومعالجتها، مع العناية الفائقة بإعداد وتحضير تلك الموضوعات، فهي وسيلة نافعة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يتصل قسم التنسيق بالمجلة بأصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ وأساتذة الجامعات وغيرهم من المهتمين، ويستقبل منهم مقترحاتهم وأفكارهم حول الموضوعات المراد طرحها. ويمكن تقسيم هذه الموضوعات إلى أقسام مهمة (١):

أولاً: القضايا الدينية ومنها زاوية خاصة للاستفتاء.

ثانياً: القضايا الدعوية:

ثالثا القضايا السياسية:

رابعاً: القضايا الاجتماعية:

خامساً: المواد الإخبارية:

سادساً: المواد الإعلانية:

سابعاً: القضايا التربوية:

جهود سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم -رحمه الله-: تعد "مجلة الدعوة" من بنات أفكار سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت ١٣٨٩هـ) شيخ العلماء ومفتي الديار السعودية في ذلك الحين؛ فقد ولدت فكرة إنشاء مؤسسة صحفية إسلامية في ذهن سماحته -رحمه الله- وذلك لخدمة العقيدة الإسلامية والذود عن حياضها، والتصدي لأعداء الإسلام بالحجة والبرهان ودحض شبههم ورد أباطيلهم. وقد اتخذ سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- تعالى عدة خطوات عند تأسيس هذه المجلة منها:

---

(١) أشار الباحث إلى تلك الموضوعات إشارة عابرة خوفاً من الإطالة.

عين لها مجلس إدارة يقوم بالإشراف على المؤسسة ماديا وأدبيا.

عين سماحته للمؤسسة مديرا عاما هو الأستاذ عبد العزيز بن عبد المنعم منذ شهر شوال ١٣٨٤هـ وحتى شهر ذي القعدة ١٣٨٦هـ حيث قدم استقالته من العمل وعين محله الشيخ عبدالله بن إدريس مديرا عاما للمؤسسة إلى جانب عمله رئيسا للتحرير، "يعد الشيخ عبد الله بن إدريس أول رئيس تحرير للدعوة"، وقد أعد لإصدارها وظل رئيساً لتحريرها سبع سنوات من بداية ١٣٨٥هـ إلى نهاية ١٣٩١هـ إلى جانب توليه أمر إدارة المؤسسة، ثم تولى رئاسة التحرير بالنيابة سكرتير التحرير الأستاذ صالح المنيف منذ نهاية عام ١٣٩١هـ ريثما يتم انتخاب رئيس للتحرير.

وشكلت لجنة من أعضاء مجلس الإدارة لوضع نظام للمؤسسة وتكونت من المشايخ:

- عبدالله بن سليمان بن منيع.
- عبدالله بن إدريس.
- عبد العزيز بن عبدالمنعم.
- ناصر بن عبدالله بن الشيخ.

وقد وضعت اللجنة النظام الأساسي للمؤسسة(١)ونوقش في المجلس ووافق عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- باعتباره الرئيس الأعلى للمؤسسة.

هذا وقد صدرت صحيفة "الدعوة" في عددها الأول يوم الاثنين ١ محرم ١٣٨٥هـ، ورغم الصعوبات التي يلقاها كل مشروع في طور تأسيسه فإن الصحيفة بتوفيق الله شقت طريقها وسط الصعاب والمشكلات الفنية والإدارية من طباعة وإخراج وتوزيع وتحصيل وإعلانات واشتراكات وغير ذلك. هذا إلى جانب - كما جاء في نص التقرير المقدم إلى الجمعية العمومية العادية في اجتماعها الأول بتاريخ ١٣٩٣/١/١ هـ- أن رئيس التحرير والمحررين معه يمارسون العمل الصحفي المباشر أول مرة ولكن معونة الله فوق كل شيء.

---

(١) نص النظام الأساسي للمؤسسة.

الفصل الثاني

الدراسة الميدانية

التمهيد: المنهج المعتمد في الدراسة الميدانية:

تم تصميم استبانة(١) استطلاع رأي قراء مجلة الدعوة السعودية لأخذ رأيهم حول تطبيق المجلة لأهدافها، وعلى ضوء إجابات القراء تم استخلاص نتائج الدراسة، وقد عرضت على عدد من الخبراء المحكمين من أعضاء هيئة التدريس لأخذ رأيهم حول مناسبتها لتحقيق أهداف الدراسة من واقع خبرتهم تم إعادة تصميمها على ضوء ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، حيث أفاد الباحث منها في صياغة الاستبانة صياغة نهائية قابلة للتطبيق، وهم على النحو الآتي: أ. د. سعيد ابن علي ثابت، و أ. د. راشد سلامة. الأستاذ بقسم إدارة الأعمال بجامعة شقراء، و أ. د. عبدالمنعم محمد سعدابي الأستاذ بقسم إدارة الأعمال بجامعة شقراء، ود. طلال الشريف، الأستاذ المشارك بجامعة الملك عبدالعزيز بقسم إدارة الأعمال، ود. عبدالعال أبو الفضل، الأستاذ المساعد بقسم الاقتصاد بجامعة شقراء. ود. محمود عبالمعطي مسلم، أستاذ الإعلام المشارك بجامعة الأزهر، ود. محمد بن عبدالعزيز السليمان، الأستاذ المشارك بكلية المجتمع بمحافظة حريملاء، ود. محمد بن سليمان الصبيحي، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، ود.

---

(١) المحكمون :لقد قام الباحث بعرض الاستبانة على عدد من الخبراء المحكمين من أعضاء هيئة التدريس للحكم عليها من حيث مدى تحقيقها لأهداف الدراسة، حيث تم إعادة تصميمها على ضوء ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، حيث أفاد الباحث منها في صياغة الاستبانة صياغة نهائية قابلة للتطبيق، وهم على النحو الآتي: أ. د. سعيد ابن علي ثابت، ود. طلال الشريف، ود. عبدالعال أبو الفضل، و أ. د. راشد سلامة. و أ. د عبدالمنعم محمد سعدابي. د. محمود عبالمعطي مسلم. ود. محمد بن عبدالعزيز السليمان، ود. محمد بن سليمان الصبيحي، ود. ياسر الشهري، ود. محمد الموسى، د. محمد رضا.

ياسر الشهري، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، ود. محمد الموسى، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، د. محمد رضا. الأستاذ المشارك بجامعة شقراء قسم المحاسبة، ووزع الباحث عدد ٣٠٠ استبانة ورقية، كما وضع الاستبانة على رابط وأدرج الاستبانة عليه وأرسلها لأكثر من ٥٠٠ قارئ، وسأوضح التفصيل عند الحديث عن العينة.

٢-١ أهداف الدراسة الميدانية: تهدف الدراسة الميدانية إلى التحقق من مدى قيام مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها الدعوية، من خلال استقصاء الفئات المستهدفة في الاستبيان.

٢-٢ أهداف الاستبيان: يهدف الاستبيان إلى التحقق من مدى صحة فروض الدراسة.

٢-٣ عينة الدراسة: اختار الباحث عينة عمدية من القراء لهذه المجلة لأنها ستحقق أغراض الدراسة-إن شاء الله تعالى- وتتكون عينة الدراسة من طلاب قسم الدعوة بالجامعات الإسلامية السعودية والمشايخ والدعاة باعتبارهم من المهتمين بقراءة مجلة الدعوة ومن المتخصصين في موضوعات المجلة، والقادرين على تقويم مدى قدرة المجلة على تحقيق أهدافها.

وقد صمم الباحث استبانة للإجابة عن تساؤلات الدراسة الميدانية جعلها على أهداف المجلة التي رسمتها لنفسها، وهي أهداف المجلة التي تسعى الدراسة إلى تحقيق نتائجها، وهي على النحو الآتي:

الأول: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

الثاني: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

الثالث: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

الرابع: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

الخامس: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

السادس: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

السابع: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.

الثامن: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

وقد أعد الباحث أسئلة فرعية تنبثق من كل هدف، وتم تحديد حجم عينة الدراسة بعدد ٥٠٠ استبيان موزعة على أفراد العينة، تم الحصول على ٣٤٥ استبانة وبفحصها وجد أن ٢٠٩ استبانة منها تصلح لإجراء التحليل الإحصائي.

٢-٤ الأساليب الإحصائية المستخدمة: خصص هذا الجزء لمعالجة موضوع الدراسة من الناحية التطبيقية، حيث تم عرض وتحليل بيانات الدراسة، وذلك من خلال الأساليب الإحصائية المستخدمة، وعرض أداة الدراسة وصدق الأداة وثباتها، ثم تحليل البيانات واختبار فرضيات الدراسة، وأخيراً عرض النتائج والتوصيات وتم اختبار فرضيات الدراسة واستخلاص النتائج من البيانات التي تم جمعها باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة من خلال البرنامج الإحصائي (SPSS)، ومن خلاله استخدمت أساليب الإحصاء المناسبة لاختبار الفرضيات واستخلاص النتائج، وفيما يلي أهم الأساليب الإحصائية التي تم استخدامها:

١- الإحصاء الوصفي: يهدف الإحصاء الوصفي إلى تزويد مقاييس تلخيصية للبيانات المتوافرة عن عناصر العينة، حيث تم استخدام التكرارات والنسب المئوية

لوصف عينة الدراسة، بالإضافة إلى الوسط الحسابي والانحراف المعياري.

٢- اختبار T لعينة واحدة (One Sample T-test):

يستخدم هذا الاختبار لمقارنة المتوسطات الحسابية الفعلية لكل متغير من المتغيرات المستقلة مع المتوسط الحسابي الفرضي؛ وذلك لمعرفة فيما إذا كان الفرق بين المتوسط الحسابي الفعلي والمتوسط الحسابي الفرضي ذا دلالة إحصائية عند مستوى ثقة إحصائية (٥٠%)ويتم استخدام هذا الاختبار؛ وذلك لمقارنة درجة التأثير المحسوبة مع الوسط الحسابي الافتراضي لدرجة التأثير المقبولة والبالغة (٣) وهذا الرقم عبارة عن مجموع بدائل إجابات أفراد عينة الدراسة في الاستبانة (١+٢+٣+٤+٥)/٥.

اختبار كرونباخ ألفا للمصداقية (Cronbach Alpha):لقد تم استخدام اختبار الموثوقية كرونباخ ألفا لتبيان تناسق الأسئلة ولقياس مدى صدق وثبات أداة القياس، واختبار درجة مصداقية البيانات وثباتها، وتعد القيمة المقبولة إحصائياً لمعامل كرونباخ ألفا (٠،٦٠)أو(٦٠%)بلغت قيمة معامل ألفا لإجابات أسئلة الاستبانة على جميع الأسئلة(٩٦,١%)وهي نسبة ممتازة كونها أعلى من النسبة المقبولة(٦٠%)وهذا يعني توافر درجة كبيرة من المصداقية في إجابات الأسئلة.

٢-٥ خصائص عينة الدراسة: يلاحظ أن النسبة الأكبر من أفراد العينة يحملون الدرجة الجامعية البكالوريوس فما فوق(بكالوريوس - دبلوم عالي - ماجستير - دكتوراه) حيث بلغت نسبتهم (٩٢%) ممن شملهم الاستطلاع وهذا مؤشر جيد على أن أفراد عينة الدراسة على قدر كبير من التأهيل العلمي يؤهلهم على الإجابة على أسئلة الاستبيان، خصوصاً وأنه يتناول مدى تحقيق أهداف مجلة الدعوة السعودية لأهدافها، ومن ناحية التخصص العلمي نجد أنهم جميعاً مهتمون في مجال الدعوة، وهذا يدل على تناسب تخصصات العينة مع أهداف الدراسة.

جدول رقم (١) المتغيرات الديموغرافية:

البيان	الفئات	التكرار	النسبة المئوية
العمر	أقل من ٣٢	٢٠	١٠
	من٣٢إلى أقل من ٥٠	١٤٢	٦٨
	من ٥٠فأكثر	٤٧	٢٢
المجموع		٢٠٩	١٠٠
الجنس			
	ذكر	١٧٩	٨٦
	أنثى	٣٠	١٤
المجموع		٢٠٩	١٠٠
المستوى التعليمي			
	دبلوم عالي	١١٩	٥٧
	بكالوريوس	٧٤	٣٥
	اخرى	١٦	٨
المجموع		٢٠٩	١٠٠
الجنسية			
	سعودي	١٩٩	٩٥
	غير ذلك	١٠	٥
المجموع		٢٠٩	١٠٠

من تحليل المتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة نجد أن الفئة العمرية: (من ٣٢ الى أقل من ٥٠) تشكل النسبة الأكبر إذ تمثل (٦٨%) من إجمالي عينة الدراسة ، وتشكل بالإضافة إلى الفئة العمرية: (من ٥٠سنة فأكثر) نسبة (٩٠%) من إجمالي عينة الدراسة، وهذا مؤشر جيد على مدى إدراك المجيبين للمهام المكلفين بها ويدل على أن أغلب قراء مجلة الدعوة من الفئة العمرية الأكثر وعياً وإدراكاً بأمور الدعوة

إلى الله وبفهم أهداف مجلة الدعوة. ومن ناحية المستوى التعليمي نجد إن (٥٧%) من حاملي درجات الماجستير والدكتوراه و(٣٥%) من حاملي درجة البكالوريوس وبما يعني أن(٩٢%)من أفراد العينة يحملون مؤهلات بكالوريوس فأكثر، وهذا يؤيد خصائص الفئة العمرية السابقة أنهم الأكثر وعياً وإدراكاً بأمور الدعوة إلى الله وبفهم أهداف مجلة الدعوة.

ومن ناحية جنس القراء نجد أن(٨٦%)من عينة الدراسة رجالاً و(١٤%)نساء، وهذا يدل على حرص الرجال على القراءة، وأن النساء لهن اهتمام بالمجلة، مما يدل على أن موضوعات المجلة تناسب النساء أيضا.

كذلك اقتضت الدراسة الوقوف على جنسية القراء حيث بلغت نسبة العينة من السعوديين(٩٥%)وغير السعوديين(٥%)ممن وصلت إليهم الاستبانة حيث بلغ عدد من قام بتعبئة الاستبانة كاملة عشرة غير سعودي، مقابل مائة وتسعة وتسعون سعودياً، أي كل عشرون سعودياً يقابلهم واحداً غير سعوديا، وهذا يثبت أن مجلة الدعوة السعودية مرغوبة من غير أبناء بلدها، مما يدل على شعبيتها(١).

---

(١) ومما يؤكد علو شعبيتها أن كمية ما يوزع من أعداد مجلة الدعوة أسبوعيا المطبوعة ١٨٠٠٠ثمانية عشر ألفاً منها ما يتم إرساله خارجياً عن طريق البريد٨٩٠٣منها٥٢٨٠ Eباللغة الإنجليزية،وبالفرنسية٣٦٢٣ ومما يتم إرساله داخلياً عن طريق البريد ٧٨٠منها ٥١٠ باللغة الإنجليزية و٢٧٠باللغة الفرنسية. ما يتم طرحه للبيع في منافذ التوزيع محلياً ٣٥٠٠منها ٢٠٠٠باللغة الإنجليزية و١٥٠٠باللغة الفرنسية، وما يوزع على السفارات في الداخل والخارج والجامعات وبعض الهيئات والقطاعات الأهلية والحكومية بالداخل٤٠٠٠منها ٢٠٠٠باللغة الإنجليزية ٢٠٠٠اللغة الفرنسية، وما يسلم وزارة الشئون الإسلامية ٤٠٠منها ٢٠٠ باللغة الإنجليزية و٢٠٠ باللغة الفرنسية.

إجمالي الموزع ٩٩٩٠ انجليزي + ٧٥٩٣ فرنسي. وذلك حسب إفادة المجلة بخطابها رقم بدون وتاريخ بدون ولدى الباحث صورة منه.

٢-٦ تحليل أسئلة الدراسة :للإجابة على أسئلة الدراسة قام الباحث باحتساب المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المستجوبين على النحو الآتي:

السؤال البحثي: هل مجلة الدعوة السعودية تحقق أهدفها المرتبطة بالقضايا الدعوية ؟

تم اختيار مدى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لأهدافها المرتبطة بالقضايا الدعوية، حيث تم حساب المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المستجوبين والذي يقيس مدى تحقيق كل هدف من أهداف المجلة الثمانية (الجداول من رقم ١-٨) حيث تم حساب المتوسط العام للإجابات المتعلقة بكل هدف، ثم حساب متوسط الوزن لجميع المتوسطات باستخدام اختبار T لعينة واحدة. One Sample T-Test

- معايير تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية: من خلال نتائج الفصل الأول الإطار النظري للدراسة، والدراسة الميدانية في الفصل الثاني؛ توصل الباحث إلى بعض المحددات التي يمكن أن تشكل معايير أساسية، يمكن للباحث معها تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية، ويمكن الوقوف عليها من خلال الآتي:

مفهوم المنهج الذي تم الوقوف عليه في الإطار النظري للدراسة، وهو: الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصوراته، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين.

رعاية أهداف الصحافة الإسلامية التي تتلخص في الأمور الآتية:

تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط.

محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.

التصدي لأعداء الإسلام.

تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.

الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.

تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً.

ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة(١).

غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء(٢).

٣.رعاية وظائف الصحافة التي تتلخص في الأمور الآتية:

ثقافية.

دفاعية.

هجومية.

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م) ص٢٦.

(٢) انظر في جميع الأهداف:ا لصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د. جواد راغب أيوب، رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث، ١٣٢-١٣٣.

المبحث الأول

نتائج الدراسة الميدانية لأهداف مجلة الدعوة السعودية

وقف الباحث في الفصل الأول على الأطر العامة لهذه الدراسة، وسيتم في هذا الفصل تقويم مدى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لأهدافها في إطار المعيار الذي أشار إليه الباحث سابقاً، ويمكن بيان ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

العناية بالقضايا الدعوية

يبين الجدول رقم (١) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الأول: العناية بالقضايا الدعوية يساوي(٣,٧٩)وهي أعلى من المعدل العادي(٣) وبانحراف معياري قدره(٠,٨٤) و قيمة.sig= ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

جدول رقم (١) اختبار T لعينة واحدة (One Sample T- Test)

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة.	٤,٣١	٠,٦٢٢	٠,٠٠
٢	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالمدعو.	٣,٩٤	٠,٧١٢	٠,٠٠
٣	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالداعي.	٣,٨٥	٠,٧٢٤	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية.	٣,٨٧	٠,٧٥٢	٠,٠٠
٥	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالأنشطة والبرامج الدعوية.	٤	٠,٧٦٩	٠,٠٠
٦	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالميادين الدعوية.	٣,٨٦	٠,٧٣٣	٠,٠٠
٧	توفر مجلة الدعوة للداعية حاجته الدعوية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٧٨	٠,٨٥٥	٠,٠٠
٨	تهتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالوسائل الدعوية.	٣,٧٨	٠,٧٣٥	٠,٠٠
٩	تكتسب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها الممتع في معالجة القضايا الدعوية.	٣,٢٨	١,٠٧	٠,٠٠
١٠	ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين قراء المجلة.	٣,٣٤	١,٠٧٢	٠,٠٠
١١	عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلل من إقبال القراء عليها.	٣,٤٤	١,١٠٨	٠,٠٠
١٢	مجلة الدعوة السعودية مفيدة دعويا.	٣,٩٩	٠,٨٨٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٧٩	٠,٨٤	٠,٠٠

إن العناية بالقضايا الدعوية من قبل مجلة الدعوة السعودية ليس مستغرباً منها؛ حيث جعلت جلَّ عنايتها في معالجة ما يطرح من قضايا الساعة، وهي المهمة المنوطة بالدعاة سواء بجهودهم الذاتية مع المدعوين أو بجهدهم المنظم مع المؤسسات الدعوية وعلى رأسها مجلة الدعوة، حيث تسهم في معالجة قضايا المجتمع المسلم وغير المسلم في إطار المسلمات والقيم النابعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن خلال القيم الرفيعة النابعة من تلك المصدرين الرئيسيين والمصالح المعتبرة.

وقد بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٧٩) من أصل(٥) درجات، حيث أعد الباحث اثني عشر سؤالا فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة للهدف الأول: (العناية بالقضايا الدعوية)وهو من أهداف المجلة المعتبرة، وهذا انجاز كبير يحمد للمجلة.

المطلب الثاني

العناية بالبحوث الفقهية

يبين الجدول رقم(٢)أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثاني: العناية بالبحوث الفقهية يساوي (٣,٦٣) وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٩٢) و قيمة.sig = ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

جدول رقم (٢) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	مجلة الدعوة مفيدة في القضايا الفقهية.	٣,٧٦	٠,٨٥٦	٠,٠٠
٢	تتناول مجلة الدعوة قضايا فقهية معاصرة	٣,٨٦	٠,٧٩٤	٠,٠٠
٣	القراءة في مجلة الدعوة مهمة.	٣,٨٧	٠,٩٤٦	٠,٠٠
٤	تؤثر مجلة الدعوة في القراء عند تناول القضايا الفقهية.	٣,٦٤	٠,٨٣٩	٠,٠٠
٥	تطرح مجلة الدعوة بحوث فقهية مفيدة ومعاصرة.	٣,٧٢	٠,٨٧٣	٠,٠٠
٦	تؤثر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) تأثيرا سلبيا على قراءة المجلات الفقهية.	٤,٠٦	١,٠٣٦	٠,٠٠
٧	تكتسب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها الممتع في معالجة القضايا الفقهية.	٣,٢٧	٠,٩٦٣	٠,٠٠
٨	ضعف الجانب الفقهي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٠٧	٠,٩٣٥	٠,٠٠
٩	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلبي حاجته في القضايا الفقهية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٤٢	٠,٩٩٣	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٦٣	٠,٩٢	٠,٠٠

إن العناية بالبحوث الفقهية وهو أحد أهداف مجلة الدعوة السعودية، يدل دلالة واضحة على العناية بكل ما يخدم المسلم في حياته؛ حيث لم تغفل المجلة عن البحوث الفقهية وإخراجها للمجتمع في قالب صحفي مغري يجذب القراء؛ حيث

يجد القارئ ما يشبع نهمه الشرعي في تلك الوسيلة المهمة التي ستحقق هذه الغاية النبيلة، والتي تعتبر من أكثر الوسائل تأثيراً إذا أحسن استخدامها واشتملت على معالجة ناجعة لتلك الأدواء التي اجتاحت مجتمعاتنا البشرية، واستمدت علاجها من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهذا الدواء النافع - بإذن الله تعالى - يتطلب استخدم هذه المجلة واجتماع المخلصين من الدعاة الفاهمين للنصوص الوحيين وفق ما أراده الله تعالى منها لإصلاح المدعوين في معاشهم ومعادهم، وقد بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٦٣) من أصل (٥) درجات، حيث أعد الباحث تسعة أسئلة فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف تحت الهدف الثاني من أهداف المجلة المعتبرة، وهو العناية بالبحوث الفقهية وهذا انجاز مبارك يحمد للمجلة.

المطلب الثالث

العناية بالفتاوى الشرعية

يبين الجدول رقم(٣)أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثالث: العناية بالفتاوى الشرعية يساوي (٣,٥٥) وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٩٤)و قيمة .sig = ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض البحث وهو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

جدول رقم (٣) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالطرح الجيد للفتاوى الشرعية.	٤,٠٦	٠,٧٣٢	٠,٠٠
٢	تهتم مجلة الدعوة بالتنوع في الفتاوى الشرعية في كافة القضايا الدينية.	٣,٩١	٠,٨٢٤	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة مفيدة في مجال الفتاوى الشرعية.	٣,٩٤	٠,٨٣٦	٠,٠٠
٤	عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر.	٣,٠٧	١	٠,٠٠
٥	أواظب على قراءة مجلة الدعوة في الفتاوى الشرعية.	٣,٢٨	١,٠٢٩	٠,٠٠
٦	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلبي حاجته في مسائل الفتوى بما توفره من مادة علمية ثرية وعلماء موثوق بهم.	٣,٤٩	١,٠٦٦	٠,٠٠
٧	تتميز مجلة الدعوة بأسلوبها الممتع في معالجة مسائل الفتوى الشرعية.	٣,٥٦	٠,٩٣٩	٠,٠٠
٨	أثرت الفضائيات الإسلامية على القراء من قراءة مجلة الدعوة لضعف طرحها للفتاوى الشرعية.	٣,٥٣	٠,٩٥١	٠,٠٠
٩	أثر الانترنت على القراء من قراءة مجلة الدعوة لضعف طرحها للفتاوى الشرعية.	٣,٥٤	١,٠١٩	٠,٠٠
١٠	ضعف جانب الفتوى في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,١	١	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥٥	٠,٩٤	٠,٠٠

العناية بالفتاوى الشرعية واجب تمليه أمانة العلماء والمؤسسات الدينية، وقد وفق الله جل وعلا علماء هذه الأمة وكتابها المتخصصين، حيث سخرهم الله تعالى لخدمة عباده، ليبينوا لهم ما هم في حاجة إليه من الفتوى وشرح أحكام الدين، وبيان معانيه.

وعلى العلماء بالتحديد مسئولية كبيرة أمام الله في تبصير الناس وإرشادهم وبيان ما ينفعهم وما يضرهم، من خلال الوسائل الدعوية المتاحة، وقد حرصت مجلة الدعوة السعودية على إعطاء هذا الجزء المهم أولوية، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٥٥) من أصل(٥) درجات، حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالفتاوى الشرعية وهذا من وظائف المجلة.

المطلب الرابع

العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة

يبين الجدول رقم (٤) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الرابع: العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة يساوي (٣,٥١) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) ، وبانحراف معياري قدره (١,١٠) و قيمة sig. = ٠,٠٠وهذا يعني قبول البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

جدول رقم (٤) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تناقش مجلة الدعوة المذاهب والأفكار الهدامة بفكر متطور ومقنع.	٣,٦٨	١,٠١٢	٠,٠٠
٢	تناقش مجلة الدعوة المبادئ المخالفة بفكر متطور ومقنع.	٣,٥٧	٠,٩٩٣	٠,٠٠
٣	تعمل مجلة الدعوة على إظهار المذاهب الهدامة على حقيقتها الزائفة.	٣,٦٣	٠,٩٤٧	٠,٠٠
٤	تعمل مجلة الدعوة على إظهار المبادئ المخالفة على حقيقتها الزائفة.	٣,٦٧	٠,٩٠٦	٠,٠٠
٥	تحارب مجلة الدعوة المذاهب الهدامة والمبادئ المخالفة بموضوعية.	٣,٧١	٠,٩١٣	٠,٠٠
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣	١,٠٦٧	٠,٠٠
٧	مجلة الدعوة مفيدة في الرد على المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٦١	٠,٩٤٥	٠,٠٠
٨	لا أستغني عن قراءة مجلة الدعوة فهي تلبي حاجتي في الرد عل المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٣١	٠,٩٩١	٠,٠٠
٩	سحبت الفضائيات الإسلامية القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام.	٣,٢٨	١,٠٢٩	٠,٠٠
١٠	سحب الانترنت القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام.	٣,٦٢	٢,٢٧٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥١	١,١٠	٠,٠٠

العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة من القضايا المهمة التي تقع على عاتق أهل العلم، وهم أهل الذكر، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (١) ويقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(٢).

فلابد من مقاومة الأفكار الهدامة والمخالفة بالأساليب والوسائل المباحة، فالمقاومة الأولى والمهمة تكون بتحصين المدعوين بالعقيدة الصحيحة، وأخذ العلم الصحيح عن أهله، ولهذا اعتنت مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها وخاصة محاربة المذاهب الهدامة والمخالفة، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٥١) من أصل(٥)درجات؛ حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة وهذا من وظائف المجلة.

(١) سورة النحل، الآية: (٤٣).

(٢) سورة النساء، الآية: (٨٣).

المطلب الخامس

الإشادة بالتاريخ الإسلامي

يبين الجدول رقم (٥) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الخامس الإشادة بالتاريخ الإسلامي يساوي(٣,٦٠) وهي أكبر من المعدل العادي(٣) وبانحراف معياري قدره(٠,٨٣) و قيمة.sig = ٠,٠٠وهذا يعني قبول البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

جدول رقم (٥) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالإشادة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٧٣	٠,٨٢٥	٠,٠٠
٢	تتناول مجلة الدعوة العديد من الجوانب المشرقة من التاريخ الإسلامي.	٣,٧٧	٠,٨٢٣	٠,٠٠
٣	تهتم مجلة الدعوة برجال التاريخ الإسلامي البارزين.	٣,٧	٠,٨٢٦	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة باستخلاص العبر والعظات من كفاح وطرق معايشة رجال التاريخ الإسلامي.	٣,٦٥	٠,٧٩٦	٠,٠٠
٥	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,١١	٠,٩٢٩	٠,٠٠
٦	قامت مجلة الدعوة بطرح العديد من الموضوعات المرتبطة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٦٥	٠,٨٠٢	٠,٠٠
٧	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا المتعلقة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٥٩	٠,٨٠٤	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٦٠	٠,٨٣	٠,٠٠

الإشادة بالتاريخ الإسلامي من القضايا المهمة التي تقع على عاتق المؤسسات التعليمية والدعوية؛ حيث إن التاريخ الإسلامي ذا حركة دائمة، وأفكار ومعتقدات الناس هي التي تمد التاريخ بالحركة والاندفاع، فكلما علم بها واحد يتفاعل معها بقية المجتمعات، حتى إذا أصبحت رأياً عاماً لدى الناس عامة انجرفت بسرعة عالية لتصنع تاريخاً له صداه، فلابد من أفكار جديدة تشيد بالتاريخ الإسلامي، وقد أثبتت الدراسات أن رجال الأمة المخلصين قادرين على الإشادة بتاريخها وتحريك

هم رجالات الدين والثقافة نحوه.

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما عماد تاريخ الأمة وحضارتها، و لم يقم بناؤها إلا بعد توفيق الله أولا ثم الاعتماد على المصدرين الأساسين اللذين ظلا المصدر الشامل لهذا التاريخ، والقاعدة التي ارتكز عليها.

ولهذا اعتنت مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها وخاصة في الإشادة بالتاريخ الإسلامي، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٦٠) من أصل(٥)درجات، حيث أعد الباحث سبعة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو الإشادة بالتاريخ الإسلامي، وهذا من وظائف المجلة.

التي تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزيين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله، والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه.

المطلب السادس

العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

يبين الجدول رقم (٦) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف السادس: العناية بالقضايا الأدبية واللغوية يساوي(٣,٣٣)وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره(٠,٩٣) و قيمة sig. = ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

جدول رقم (٦) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تخاطب مجلة الدعوة نخبة المثقفين المتدينين فقط ولا يشعر بها القارئ البسيط.	٣,٠٧	١,٠٤٥	٠,٠٠
٢	تناقش مجلة الدعوة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي ٠	٣,٣٣	٠,٩١١	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة لها حضور مميز لدى القارئ بسبب اهتمامها وطرحها العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية ٠	٣,٢٩	١,٠٣	٠,٠٠
٤	تناقش مجلة الدعوة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر٠	٣,٣٨	٠,٩٧٤	٠,٠٠
٥	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا الأدبية من منظور إسلامي.	٣,٥٦	٠,٨٥٩	٠,٠٠
٦	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا اللغوية.	٣,٣١	٠,٨٨٥	٠,٠٠
٧	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلبي حاجته في تناول لقضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٢٥	٠,٩٢٩	٠,٠٠
٨	ساهمت مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها ٠	٣,٣٦	٠,٨٥٥	٠,٠٠
٩	ساهمت مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها٠	٣,٣٨	٠,٩٠٧	٠,٠٠
١٠	تعالج مجلة الدعوة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم ٠	٣,٣٧	٠,٩١٧	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٣٣	٠,٩٣	٠,٠٠

إن العناية بالقضايا الأدبية واللغوية تعتبر من الأمور المهمة، وتأتي أهميتها بعد الاهتمام بالقضايا الدعوية، وقضايا التشريع، ومجلة الدعوة السعودية مجلة قوية

ووسيلة مهمة في إيصال دعوة الحق للخلق، ويقع عليها مسؤولية حث المتخصصين بالعناية بالقضايا الأدبية واللغوية، كونها لسان الأمة العربية والإسلامية، ولها الأثر العميق في تكوين صف الأمة الإسلامية والعربية على عقيدتها وشريعتها، وارتباطها الوثيق بها. ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٣٣)من أصل(٥)درجات؛ حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

ولقد أثبت الواقع التاريخي مدى الترابط والتلازم بين الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية وأدبها وانتشار كل منهما وازدهاره، وكل منهما لا يستغني عن الآخر لما يوجد فيهما من القوة والاستعداد للانتصار على من أراد محاربته، فكتاب الله تعالى أكد هدف الاهتمام بقضايا الأدب واللغة العربية، والاعتزاز بهما، فقد بين تعالى ذلك في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ (١).

(١) سورة يوسف، الآية: (٢).

المطلب السابع

العناية بالقضايا الاجتماعية

يبين الجدول رقم(٧) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف السابع: العناية بالقضايا الاجتماعية يساوي (٣,٥٠)وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٨٩) و قيمة .sig = ٠,٠٠وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.

جدول رقم (٧) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	ساهمت مجلة الدعوة في إيجاد حلول ناجعة لبعض القضايا الاجتماعية	٣,٧٣	٠,٨١٧	٠,٠٠
٢	مجلة الدعوة تناقش القضايا الاجتماعية المتنوعة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٦٧	٠,٨٢٦	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا الاجتماعية.	٣,٦٨	٠,٨٦٥	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الأسرة.	٣,٦٨	٠,٧٩٥	٠,٠٠
٥	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الشباب	٣,٥٨	٠,٨٧٩	٠,٠٠
٦	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة.	٣,٤	٠,٨٩٣	٠,٠٠
٧	تهتم مجلة الدعوة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة	٢,٩٩	١,٠٠٢	٠,٠٠
٨	تعالج مجلة الدعوة القضايا الاجتماعية بأساليب علمية ومنهجية رصينة.	٣,٥٣	٠,٩٠٤	٠,٠٠
٩	ضعف الجانب الاجتماعي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٢٢	٠,٩٩١	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥٠	٠,٨٩	٠,٠٠

والعناية بالقضايا الاجتماعية مطلب مشترك بين فئات المجتمع، ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية. لتسهم بدورها في معالجة ما تجده من القضايا الاجتماعية، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٥٠)من أصل(٥) درجات، حيث أعد الباحث تسعة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا الاجتماعية.

المطلب الثامن

العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية

يبين الجدول رقم(٨)أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثامن: العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية يساوي(٣,٢٦)وهي أكبر من المعدل العادي(٣)وبانحراف معياري قدره (٠,٩١) وقيمة.sig =٠,٠٠ وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل وهو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والادبية.

جدول رقم (٨) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تهتم مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية.	٣,٢٣	٠,٩١٢	٠,٠٠
٢	تهتم مجلة الدعوة بالأنشطة العلمية.	٣,٣٦	٠,٩١٥	٠,٠٠
٣	تهتم مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الأدبية.	٣,١	٠,٩٢	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة بالأنشطة الأدبية.	٣,٢٣	٠,٨٧	٠,٠٠
٥	تهتم مجلة الدعوة بالأنشطة الاجتماعية.	٣,٣٦	٠,٨٧٣	٠,٠٠
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات العلمية والأدبية والرياضية قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٢٧	٠,٩٧٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٢٦	٠,٩١	٠,٠٠

العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية نوع من الأنشطة التي تبعث على النشاط الذهني وتحيي الحماس لدى قراء المجلة، ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء(٣،٢٦) من أصل(٥) درجات؛ حيث أعد الباحث ستة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا العلمية والأدبية، وهو جهد إضافي يحسب للمجلة.

المبحث الثاني

تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية

من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى وجود بعض أوجه القوة وكذلك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة حيث يتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بأوجه الضعف وقد ركز الباحث على أوجه الضعف بغرض توجيه المسئولين عن إدارة مجلة الدعوة لتحسن وتطوير أدائها، وتتمثل هذه المجالات بالنسبة للهدف الأول وهو العناية بالقضايا الدعوية في أن هناك جوانب ضعف يوضحها الجدول رقم (٩).

جدول رقم (٩): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية	الوسط الحسابي
١	ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الدعوية .	٣,٢٨
٢	ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين قراء المجلة	٣,٣٤
٣	عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلل من إقبال القراء عليها.	٣,٤٤

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الدعوية ذلك أن اختيار الأسلوب عنصر مهم في جذب القراء.

وكذلك ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين قراء المجلة حيث طغت الموضوعات الأخرى على موضوعات الدعوة؛ ولذلك تدنى اهتمام المجلة بالجانب الدعوي، كذلك عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلل من إقبال القراء عليها، فالقارئ يتجه مع التوجه العام، والتوجه العام مع السائد في العصر، فعدم مواكبة العصر قد يؤخر أي عملية سواء كانت صحفية أو غيرها بما لا يخالف تعاليم الدين الحنيف.

ويخلص الباحث في الدراسة التقويمية للهدف الثاني (العناية بالبحوث الفقهية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٠).

جدول رقم (١٠): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية	الوسط الحسابي
١	ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الفقهية .	٣,٢٧
٢	ضعف الجانب الفقهي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٠٧
٣	ضعف مجلة الدعوة في تلبي حاجته في القضايا الفقهية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٤٢

وتتمثل جوانب الضعف في العناية بالبحوث الفقهية فيضعف العناية في الجانب الفقهي؛ بمعنى أن معالجتها للجانب الفقهي محدودة في موضوعات يسيرة لأساليب المجلة من خلال رئيس تحريرها ومحرريها.

بمعنى أن أساليب المعالجة لم تكن وفق ما يتمناه القارئ، كذلك يتضح أن نسبة من القراء يرون أن المجلة لم تحظ بقراء جدد بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الفقهية، ويعتبر هذا الضعف مثير للانتباه، ولهذا فإن الأسلوب له كبير الأثر في شد انتباه المدعوين وبخاصة قراء المجلات العلمية والصحف، كذلك عدم تغطية الجوانب الفقهية التي تلامس حياة الناس؛ قلل من ذيوعها بين عامة القراء، وهذا الضعف التي وصلت إليه نتائج التحليل يحتاج إعادة نظر في سياسة المجلة.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الثالث (العناية بالفتاوى الشرعية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١١).

جدول رقم (١١): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية	الوسط الحسابي
١	عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر.	٣,٠٧
٢	عدم المواظبة على قراءة مجلة الدعوة في الفتاوى الشرعية.	٣,٢٨
٣	ضعف جانب الفتوى في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,١

وتتمثل جوانب الضعف في العناية بالفتوى الشرعية من خلال الأسئلة الفرعية المتمثلة في عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر؛ بمعنى أن المجلة طرقت هذا الموضوع المهم لدى القراء ولكن بطريقة تقليدية ولم تواكب المجلة عند استحضارها هذا الموضوع لروح العصر لا من حيث الأسلوب ولا اختيار الموضوعات ذات الاهتمام بشكل يشبع رغباتهم، وهذا قلل من قرائها، وكذلك مواظبتهم على قراءة المجلة بسبب عدم وجود الفتاوى الشرعية بشكل كاف.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الرابع (العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٢).

جدول رقم (١٢): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣
٢	ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات في الرد عل المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٣١
٣	سحبت الفضائيات الإسلامية القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام .	٣,٢٨

وتتمثل جوانب الضعف في تحقيق هدف محاربة المذاهب الهدامة والمخالفة من خلال الأسئلة الفرعية المتمثلة في ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة ، وضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات في الرد عل المذاهب الهدامة والمخالفة، وعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام ، بمعنى أن معالجتها لجانب مواجهة المذاهب الهدامة والمخالفة كان ضعيفاً وأن الجمهور يرغبون في أن تكون المواجهة أقوى من الواقع الفعلي للمجلة وأن المجلة لم تكن عند المأمول منها.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الخامس (الإشادة بالتاريخ الإسلامي) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٣).

جدول رقم (١٣): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف الاشادة بالتاريخ الإسلامي

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف الاشادة بالتاريخ الإسلامي.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي .	٣,١١

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي، ومما لا شك فيه أن التاريخ الإسلامي يحتاج إلى طرح أفكار ورؤى جديدة من أجل مواجهة القضايا والتحديات المعاصرة، كما يرمي ذلك الهدف إلى تعزيز العلاقات والتبادل العلمي بين العلماء، والباحثين في مجال التاريخ الإسلامي، وهذه دعوة للباحثين في كل أنحاء العالم للمشاركة بالخبرات والأبحاث العلمية القيمة، ومشاركة المجلة في تحقيق أهدافها، ووصول النسبة إلى(٣,١١) من (٥) هي في الحقيقة نسبة معقولة والقارئ يرغب في المزيد من ذكر التاريخ والإشادة به، حيث بعض القراء يستهويه التاريخ ويجد فيه المتعة، وفي اعتقاد الباحث أن اهتمام المجلة بالقضايا الأساسية يشفع لها كثيرا في علو نسبتها على بقية الموضوعات.

وفي الدراسة التقويمية للهدف السادس (العناية بالقضايا الأدبية واللغوية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٤).

جدول رقم (١٤): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.	الوسط الحسابي
١	تخاطب مجلة الدعوة نخبة المثقفين المتدينين فقط ولا يشعر بها القارئ البسيط.	٣,٠٧
٢	ضعف مجلة الدعوة في مناقشة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي .	٣,٣٣
٣	ضعف مجلة الدعوة في الحضور المميز لدى القارئ بسبب عدم اهتمامها وطرحها غير العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية.	٣,٢٩
٤	ضعف مجلة الدعوة في مناقشة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر.	٣,٣٨
٥	مجلة الدعوة غير مفيدة الى حد ما في تناول القضايا اللغوية.	٣,٣١
٦	ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات التي تناول القضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٢٥
٧	ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها .	٣,٣٦
٨	ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها.	٣,٣٨
٩	ضعف مجلة الدعوة في معالجة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم .	٣,٣٧

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: اهتمام مجلة الدعوة بعامة القراء، بينما تخاطب المجلة نخبة المثقفين المتدينين فقط. حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٧) من الذين يرون ذلك، ذلك أن النزول بقدر كبير إلى الأساليب التي يفهما القارئ البسيط في ثقافته قد يفقد المجلة قوتها، والمجلة لم تهمل تلك الفئة بل أعطتها حقها، إذ إن قرائها يختلفون على مستويات علمية متفاوتة وأكثرهم ممن يحملون الشهادات العالية، وكذلك مناقشة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي فقط. حيث بلغ الوسط الحسابي(٣٣،٣)من الذين يرون ذلك، وكذلك ضعف مجلة الدعوة في معالجة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣٧،٣) ممن يرون ذلك وقد يعزى ذلك لكثرة موضوعات الساعة التي ترى المجلة عدم فواتها، والمجلة لمن يتابع إصدارتها تنوع في الطرح بما يتوافق مع ميول ورغبات أكثر القراء، كذلك عدم اهتمامها وطرحها

غير العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية، حيث بلغ المتوسط الحسابي(٣،٢٩) وقضايا الأمة الأدبية اللغوية ليست يسيرة الحكم فلابد من اتفاق المجامع اللغوية على كونها قضية تطرح لرأي العام وتحتاج علاج، وكذلك مناقشة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٣٨) وما قامت به المجلة يحقق الأهداف المرسومة لها، وذلك بتقديم رؤى علمية جادة توائم بين النظرة العلمية التراثية والمعاصرة لعلوم العربية وآدابها، والإفادة مما لدى أصحاب الاختصاص من تصورات ومقترحات تفيد في هذا المجال.

وكذلك مجلة الدعوة غير مفيدة إلى حد ما في تناول القضايا اللغوية، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٣١) فتناول القضايا اللغوية يحتاج متخصص في اللغة إضافة إلى رغبته في الطرح الصحفي ومع هذا المجلة لم تغفله نهائياً، وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣٦،٣) وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها. حيث بلغ الوسط الحسابي (٣٨،٣) وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات التي تناول القضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٢٥) فإن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وهي لغة العلم وهذان أمران لا ينفصلان في مسيرة أية أمة ترغب التقدم والرقي، فالعلم عرفته العربية عبر الحضارة العظيمة التي صدرتها إلى العالم في عصورها الزاهرة، وأما اللغة العربية فغذت به أرواح الشعراء والأدباء منذ عصر قبل الإسلام إلى الآن.

وبعد هذا، فإن العربية هي لغة الحياة لا غناء لواحد منا مهما تعددت لغاته عن التفكير بلغته الأم والتعبير بها، والمجلة لم تألوا جهدا في تحقيق هذا الهدف وذلك من خلال ما طرحته وما سوف تطرحه.

ومما لاشك فيه أن الاهتمام باللغة العربية وأدبها، من الضروريات وخدمتها من

العبادات التي أرجو أن تكون من القُرَب، ومهما وجد من قصور فإن هذا لا يعد عيباً ولا ينقص من جهدها المبذول مقابل ما يبذل بشكل كبير وفاعل في القضايا الأساسية كالقضايا العقدية والفقهية وغيرها.

وفي الدراسة التقويمية للهدف السابع:(العناية بالقضايا الاجتماعية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٥).

جدول رقم (١٥): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة.	٣,٤
٢	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة	٢,٩٩
٣	ضعف الجانب الاجتماعي في مجلة الدعوة قلل من ذيوعها بين عامة القراء.	٣,٢٢

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٤)وفي اعتقادي أن قضايا الطفل والمرأة رغم أهميتها إلا إنها تدخل ضمنا في الموضوعات العامة، فما يخص العموم يدخل الخاصة فيه، إلا الموضوعات ذات الخصوصية والموجهة للطفل والمرأة بالتحديد فإن النسبة التي وصلت إليها من الاهتمام جيدة.

كذلك اهتمام المجلة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث بلغ الوسط الحسابي(٢،٩٩) تؤكد هذه النسبة وجود اهتمام محدود بموضوع ذوي الاحتياجات الخاصة وأن هذا الاهتمام منوط بالمناسبات فقط. كما تؤكد هذه النتيجة افتقار محرري المجلة للمعرفة الواضحة بمسميات ومصطلحات الإعاقة الصحيحة مما قد يؤثر سلباً في اتجاهات القراء نحو الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، خاصة في ظلّ

وجود فجوة بين الإعلاميين والدعاة المتخصصين في مجال التربية الخاصة من حيث تبادل الآراء.

والاهتمام بقضاياهم ليس ترفاً إعلامياً، ويجب ألاّ يُنظر إليهم على أنهم شريحة صغيرة من المجتمع، بل هو واجب ديني ووطني وإنساني تمليه مصالح الوطن وحاجات ذوي الاحتياجات الخاصة وحقوقهم، وتأتي رياضة ذوي الاحتياجات الخاصة على رأس الأولويات التي ينبغي الاهتمام بها، عن طريق تغطية فعالياتهم عامة، وتخصيص برامج حوارية حولها، لتوضيح دورها في تأهيلهم وتحسين أوضاعهم النفسية، فضلاً عن إقامة الندوات والمحاضرات والأنشطة التثقيفية والإرشادية، لتوعية الناس بأهمية دورهم. كذلك اهتمام المجلة بقضايا بالجانب الاجتماعي، حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٢٢) ومما لاشك فيه أن الجوانب الاجتماعية مهمة. والاهتمام الذي حصل رغم عدم كثرته جيد ويلائم أهمية الجوانب الاجتماعية وتنوعها وأثرها على القراء المهتمين بهذا الجانب.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الثامن: (العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٦).

جدول رقم (١٦): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية.	٣,٢٣
٢	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة العلمية.	٣,٣٦
٣	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الأدبية.	٣,١
٤	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة الأدبية.	٣,٢٣
٥	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة الاجتماعية.	٣,٣٦
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الرياضية.	٣,٢٧

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية، حيث بلغ الوسط الحسابي:(٢٣،٣) وكذلك إجراء المسابقات الأدبية، حيث بلغ الوسط الحسابي(١،٣) وكذلك المسابقات الرياضية، حيث بلغ الوسط الحساب (٣،٢٧)وإذا ما قورن بما تم تحقيقه في الجوانب الثلاثة يأتي اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية والأدبية والرياضية، بعد إعطاء القضايا الدعوية أولوية قصوى، حيث إن الهدف الأسمى لكل عمل دعوي هو الاهتمام بقضايا الدعوة، وخاصة الجانب الاعتقادي منه.

وفي اعتقادي أن المسابقات العلمية والأدبية والرياضية، رغم أهميتها إلا أنها لم تكن مهملة بشكل نهائي، ولربما لظروف الأمة وما تمر بها من عواصف، وكثرة الفتن التي تموج موج السحاب خلال هذه الفترة جعلت المجلة جل تركيزها على معالجة قضايا العقيدة وقضايا التشريع، ومشاركة الناس همومهم وتسكين أنفسهم جراء ما يدور في الآفاق من قضايا تحير العقول، والأنشطة العلمية هي تعمل جنباً إلى جنب مع المسابقات العلمية فهي لم تهمل حيث بلغ الوسط الحسابي (٣٦،٣) والأنشطة الأدبية حيث بلغ الوسط الحسابي(٣،٢٣) والأنشطة الاجتماعية، حيث بلغ المتوسط الحسابي: (٣،٣٦) وهو معدل لا بأس به، مع ما يشغل هم المجلة من الاهتمام بالقضايا الأخرى. ويرى الباحث أن ضعف الاهتمام بتلك القضايا أمر

منطقي لكون هذه المجلة ذات توجه إسلامي بحت، وهذا التوجه يتوافق مع سياسة المجلة، ومع أهداف الصحافة الدينية، كما جاء في الدراسة النظرية في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الأول، ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة(١)وعلى ذلك فإن الجهد الذي تقوم به المجلة رغم ما لديها من مسؤوليات أمر في غاية الأهمية، حيث إن تحقيق هذا الهدف يؤدي دوراً فاعلاً في مشاركة المجتمع وإيجاد حلول لما يعتريه من ضغوط وهموم.

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير،إبراهيم إمام،ط١، (القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م) ص٢٦.

المبحث الثالث

تقويم دلالات نتائج الدراسة الميدانية

تقويم نتائج الدراسة النظرية:

أوضحت الدراسة النظرية أن المنهج هو الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصوراته، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين.

وأن منهج الدعوة: يطلق على: الخطط العملية،والأصول والقواعد النظرية، الشرعية والعقلية، والمسالك الخلقية، المستعملة في نشر الدعوة الإسلامية، وأن المنهج يتكون من الخطط والنظم والأهداف والغايات، وبناء على ذلك فمناهج الدعوة خططها وطرائقها، تنطوي تحت مفهوم المناهج أساليب الدعوة ووسائلها وأهدافها.

كما اتضح من خلال نتائج القراء أن مفهوم مجلة الدعوة السعودية: هي التي تقدم مادة صحفية للقراء عموماً تفيدهم في أنفسهم وفي علاقتهم بالآخرين، وتبين لهم حقوقهم وواجباتهم، وتعالج قضاياهم ومشكلاتهم وتحذرهم مما يضرهم مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه، وتهتم بشئونهم واهتماماتهم المختلفة سواء الاهتمامات الفكرية والثقافية والروحية والترويحية، وتعتني بتعليمهم المهارات التي تفيدهم وتملأ أوقات فراغهم، مستخدمة في كل ذلك الوسائل والأساليب العلمية والعملية التي لا تتنافى مع مصالح المجتمع وقيمه.

كما استخلصت الدراسة أهم الأهداف التي يمكن أن تضاف إلى أهدافها المرسومة بأن تهدف هذه المجلة إلى تكوين وإعداد القارئ الصالح الواعي المستقل بشخصيته باعتداده وتمسكه بقيم مجتمعه ومثله، وذلك بتزويده بكل ما يساعده على الاعتداد بما عنده والمحافظة على حقوقه، وبإرشاده لأفضل الطرق التي تعينه على اختيار ما يلزمه من المستجدات العلمية والفنية للقيام بواجباته ومهامه على أفضل وجه، وخاصة فيما يتعلق برعايته لدينه الحنيف وقيمه ومجتمعه ومثله في ذاته

وفي أسرته، والهدف من ذلك كله بناء المجتمع الصالح الإيجابي والمستقل والبعيد عن التبعية.

كما انتهت الدراسة النظرية إلى أهم أهداف الصحافة الدينية التي تتمثل في النقاط الآتية:

تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط.

محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.

التصدي لأعداء الإسلام.

تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.

الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.

تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً.

ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة.

غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء.

وأكدت الدراسة النظرية أن وظائف الصحافة كثيرة، وبما أن المجلة هي إحدى أهم وسائل الاتصال المطبوع، والمجلة المتخصصة فرع منها، ومجلة الدعوة السعودية جزء من المتخصصة، فإن وظائفها تنبثق أغلبها من مهام الاتصال، وذلك على النحو الآتي:

وظيفة الإخبار والإعلام:

وظيفة الإخبار والإعلام مرتبطة بالإسلام في كافة شؤونه لارتباطه التام بالإسلام والتصاقه به في كل نواحيه، ذلك أن الإعلام يعني بناء الإنسان وبناء الحياة في كل جوانبها، وقد جاء الإسلام مخبراً عن شرع الله تعالى فيه الهدى والموعظة، قال تعالى: {هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾}(١).

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٨).

قال شيخ الإسلام -رضى الله عنه- والمقصود ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبين له الشيء ويستبين(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ (٢)،

ويعتبر البيان إخبار وإعلام للناس، وهذه الوظيفة من أهم وظائف الدعوة بل ومن أول أهدافها، ولأن مجلة الدعوة السعودية عليها واجبات ووظائف إعلامية فإن من أول مهامها توفير المعلومات للقارئ عن الظروف المحيطة بها، وبما أن المجلة موجهة للمدعو على اختلاف ثقافته وجنسه وجنسيته فعليه أن يرفع من مستوى اهتماماته فتحيطه علماً بآخر أخبار العالم الإسلامي ومآسيه (٣).

وظيفة الشرح والتفسير:

أخذ الله جل وعلا على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولا يكتموه، وذم كاتميه ليقوموا بتحقيق ذلك الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ (٤).

قال أبو السعود -رضى الله عنه-: "وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين، وإظهار ما منحوه من العلم للناس أجمعين، وحرمة كتمانه لغرض من الأغراض الفاسدة، أو لطمع في عرض من الأعراض الفانية الكاسدة مالا يخفى"(٥)

---

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية،٩/٦٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

٣) أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، إبراهيم محمد سرسيق، بدون ذكر رقم الطبعة،(مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، د، ت) ص٥٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: (١٨٧).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ٢/١٢٥.

وتعني هذه الوظيفة شرح المعلومات الموجهة إلى القارئ وتفصيلها كي يسهل عليه استيعابها وتمثلها والتمسك بها وعدم التخلي عنها، حتى تصبح وكأنها جزء من شخصيته، ويكون ذلك في "تحويل المصطلحات العلمية والفنية إلى مصطلحات الخبرة العادية، مع وجود براعة صحفية في المزج بين المعالجة الصحفية والمعالجة الأكاديمية لكي يفهم العمل الأصلي بعبارات سهلة"(١)باستخدام أشكال تحريرية متنوعة، وأساليب متنوعة، وحرفية عالية في الإخراج.

فالشرح والتفسير يوسع الإخبار والإعلام، كأن تقوم المجلة بتفسير ظاهرة شائعة ما في المجتمع.

وتبرز أهمية هذه الوظيفة "بعد أن انتشرت خلال عصرنا هذا عقائد مذهبية ومبادئ سياسيّة و اجتماعيّة متباينة صاحبها عدم اهتمام كثير من وسائل الإعلام بمهمة التفسير والشرح على أسس موضوعية علمية سليمة، فمهمة الصحافة هنا أن تفسر وأن توضح للقراء ما يجب أن تكون عليه حياته السياسية والأخلاقية واعتقاداته في شئونه الأخرى(٢)وهذا مما يتعين على وسائل الإعلام في الدول النامية أن تشرح وتحلل التيارات الفكرية والاجتماعية المعاصرة، وتبين مدى تعارضها أو انسجامها مع تقاليد وقيم مجتمعاتها بدون اللجوء إلى أسلوب التنفير الممل؛ بمعنى أن يكون العرض والتحليل موضوعين ومتوازيين وأن مرحلة النهوض ومسايرة ركب الحضارة قد يجر معه مشاكل ومعتقدات غربية يجب أن تتصدى لها وسائل الإعلام وتميز الغث من السمين فيها حتى لا ينساق شبابنا وراء التقليد الأعمى الذي قد يفسد من قيمه وتقاليده الطيبة، وقد أثبتت التجارب أن الرقابة والتشويش وغيرهما لا يمكن أن تحل المشكلة وإنما المعالجة الموضوعية والمناقشة الفعالة أجدى بكثير من

---

(١) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، بدون ذكر رقم الطبعة،(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢ م) ص ٦٤. بتصرف.

(٢) الصحافة إجلال خليفة، (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٦م) ص٩.

الأساليب القديمة (١).

وعلى مجلة الدعوة السعودية أن توضح على وجه الخصوص أن الأخلاق هي أساس بقاء أمتنا الحضاري وغيابها يعني غيابنا عن العالم عقدياً وسلوكاً وحضارياً، فإن انحطاط الأخلاق هو أول الانحطاط ومنتهاه، ولذلك وجه أعداء الدين كل وسائلهم التدميرية إلى الإسلام والمسلمين عن طريق الأخلاق، واستغلوا كل وسائل كيدهم وأساليب مكرهم وباطلهم لأجل أن يحيا شباب الأمة المسلمة حياة الموضات وليخرجوا من قالب الأخلاق إلى قالب الرذيلة؛ لأنهم بذلك أمنوا عودة الإسلام من جديد بالقضاء على أخلاق المنتمين له.

وظيفة التوجيه والإرشاد:

التوجيه والإرشاد وظيفة للرسل -عليهم السلام- وهي وظيفة الدعوة إلى الله تعالى قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ (٢) فأخبر سبحانه أنه بعث هذا الرسول -صلى الله عليه وسلم- شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله، فعلم بذلك أن وظيفة الدعوة إلى الله هي تبليغ الناس الحق، وتوجيههم وإرشادهم إليه، وتحذيرهم مما يخالفه ويضاده، وانطلاقاً من رسالة الصحافة السامية المبنية على وظيفة الرسل عليهم السلام؛ فإن وظيفة التوجيه والإرشاد من أبرز وظائفها بوجه عام، إذ إنه لابد للصحافة بعد أن تفسر وتوضح وأن ترشد وتوجه حتى تكون مهمتها إيجابية(٣) وتلك هي الرسالة الاجتماعية للصحافة، فرسالة الصحافة توجيه الرأي

---

(١) انظر: الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير" دور الإعلام في توجيه الشباب، محمد عز الدين بطروخة، (أبحاث الندوة العلمية الخامسة المنعقدة في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض في عام ١٤٠٨هـ) ص٩٦- ٩٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٤٥ - ٤٦).

(٣) الصحافة، إجلال خليفة، مرجع سابق، ص٧.بتصرف.

العام وإرشاده نحو الأفضل(١) وعليها أن تقف دوما في جانب الحق والعدل والخير والفضيلة (٢).

وقد أوجبت المادة الأولى من ميثاق الشرف الإعلامي الذي أقره مجلس جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٨م على الإعلام أن يعمل على تأكيد القيم الدينية والأخلاقية الثابتة، والمثل العليا المتراكمة في التراث البشري، وأن ينشد الحقيقة المجردة في خدمة الحق والخير(٣) وذلك لأن الاتصال الجماهيري هو في أساسه تجسيد لثقافة الأمة وحضارتها، إذ لا يمكن أن يكتب له أي نجاح يذكر ما لم يكن انعكاساً صادقاً لهذه الثقافة أو الحضارة، ومن خلال ذلك تقوم وسائل الاتصال بتعميق المفاهيم الشائعة في المجتمع، وترسيخ القيم السائدة فيه، وتثبيت العلاقات القائمة بين شتى المؤسسات والجماهير فوسائل الاتصال لا تقدم إعلاماً فحسب، بل تقدم مواقف جادة، وتعكس من خلالها اتجاهات نحو الحياة، إنها تقدم للجماهير فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير من خلال الإعلام، أو من خلال الواقع والخيال، وعندها تتضافر العناصر الواقعية مع العناصر الخيالية، ويعمق كل منهما الآخر(٤) وذلك لأن جماهير القراء تستجيب عادة للمواد الإعلامية التي تتمشى مع اتجاهاتها ومعتقداتها وميولها وقيمها المثلى(٥) بوسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد، أو تدعم تلك القيم بالحجج والبراهين المرتبطة بمرجعية فكرية يثق بها القارئ، وتحصنه بتفنيد

---

(١) الصحافة الجامعية، أهميتها، أدوارها، وظائفها، وخصائصها" محاضرات دورة آفاق الصحيفة الثالثة في الفترة ما بين ١٩٨٨/١١/١٢م، محمود كامل الناقة، جامعة الكويت، إصدار خاص بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس آفاق.

(٢) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم امام، ص٦٨.

(٣) مجلة الدراسات الإعلامية: العدد ٣٨، ١٩٨٧م، ص٥٤.

(٤) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٤) ص٩٩-١٠٠. بتصرف.

(٥) الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير حسين، مرجع سابق، ص ٦٢.بتصرف.

حجج المعارضين والمهاجمين لتلك القيم، وتحذره بإثارة خوفه وقلقه من أن هنـــاك خطراً محيطاً محدقاً إن هو تنازل عن تلك القيم و لم يعد يتمسك بها، وهذا مما يجعل أساليب الدفاع سواء كان بالتأييد أو التفنيد أكثر فاعلية، بل وقد يدرب نفسه على تقوية الحجج المضادة الجيدة، أو يذهب إلى أبعد من ذلك على ابتكار بعض الحجج الإضافية (١).

وعلى مجلة الدعوة السعودية أن تعري الساعين لإزالة القيم والمثل وتحذر القراء من الاستجابة لهم، وتنتقد سلوك وتصرفات من استجاب لهم " لأن محاربة الفساد وتعريته وكشف أوكاره واجبات إعلامية لا ينبغي التهاون بها، وأن السكوت عليه تقصير في هذه الواجبات يرقى إلى مرتبة الجريمة" (٢) وذلك "لوجوب التـــصدي للواقع الفاسد إعلامياً باعتبار ذلك من المهام الأساسية للإعلام الراشد تحقيقاً وأداء للوظيفة الاجتماعية (٣).

وبذلك تكون مجلة الدعوة السعودية من خلال وظيفة التوجيه والإرشاد عـــين ساهرة ومراقبة وناقدة ومحصنة ومحذرة لما يدور حول القارئ من أخطار ومؤامرات محيطة به.

وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية:

إن الثقافة هي البناء العلوي للمجتمع الذي يتألف من الدين والفلسفة والفـــن والأدب والتشريع والقيم العامة السائدة (٤).

---

(١) انظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهـــان رشـــتي، مرجـــع ســـابق، ص٢٨٣- ٢٨٤، ولبرشرام: أجهزة الإعلام والتنمية، ترجمة محمد فتحي (القاهرة، الهيئة المصرية العامـــة للتـــأليف والنشر، ١٣٩٠م) ص٥٩.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط٣، (الرياض، عـــالم الكتـــب، ١٤١٠هـــ) ص ١٩٩ – ٤٥١.

(٣) المرجع السابق ص ١٩٩ - ٤٥١.

(٤) معجم المصطلحات الإعلامية: انجليزي/ عربي، كرم شلبي، (القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩ هـــ) ص ١٤٩.

وأما التنشئة الاجتماعية فهي عملية اكتساب الإنسان للمعارف والنماذج والقيم والرموز السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته، أو الطرق في السلوك والتفكير والشعور التي تخص الجماعات والمجتمع والحضارة حيث إن الشخص مدعو أن يعيش فيها وتبتدئ عملية الاكتساب هذه منذ الولادة وتستمر طوال الحياة ولا تعرف حداً لنهايتها إلا مع الموت (١).

فيجب أن تكون وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية وإيضاح الأساليب وتحليل مضامين العملية التربوية المنوطة بها أساساً، لاسيما أن هذه الوظيفة من أهم وظائف الصحافة إذ إنه يجب على الصحافة أن تقوم ببث الأفكار والمعلومات والتعريف بتاريخ وفلسفة القيم التاريخية والإسلامية التي يقوم عليها مجتمعنا للمحافظة على ثقافته، وتساعد على تطبيع أفراده وتنشئتهم على المبادئ القويمة(٢).

وظيفة الترويح والترفيه والتسلية:

الإعلام الترويحي هو الذي يعطي تنفيساً عن الانفعال بإلهاء القارئ عن مشكلاته وهمومه الخاصة (٣).

والمضمون الترويحي هو الذي يهدف إلى التسرية أو التخفيف من التوتر والهموم عن طريق إعطاء المتلقي برهة يشعر فيها بالراحة من مشكلاته

---

(١) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع العام: الفعل الاجتماعي، تعريب مصطفى دن شلي، غي روشيه، (بيروت، المؤسسة العربية ، ١٩٨٣م) ص١٦٥.

٢) انظر: دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، مرجع سابق، ص٨٢، ٨٥. "الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير محمد عز الدين بطروخة، " مرجع سابق، ص٩٣.

(٣) وسائل والمجتمع الحديث، وليام ريفرز وآخرون، ترجمة إبراهيم إمام (القاهرة، دار المعرفة، ١٩٧١م) ص٣١٥.

الشخصية(١).

ولقد أصبح الترفيه من الضروريات الحيوية التي تساعد على بناء شخصية وتقدم الإنسان المعاصر، ولقد أباحه الإسلام لما فيه من التخفيف على الفرد من مشاق الحياة، شريطة ألا يتعارض مع مبادئ الإسلام وقيمه وشرائعه، فقد ثبت في الصحيح عن حنظلة قال: كنا عِنْدَ رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- فوَعَظَنَا فذَكَّرَ النّارَ قال: ثمَّ جئْتُ إلى الْبيْتِ فضَاحَكْتُ الصِّبْيانَ ولاعَبْتُ الْمرْأَةَ قال: فخَرَجْتُ فلَقيتُ أَبَا بكْرٍ فذَكَرْتُ ذلك له فقال: وأنا قد فعَلْتُ مثْلَ ما تذْكُرُ فلَقينَا رسُولَ اللّه -صلى الله عليه وسلم- فقلت :يا رسُولَ اللّه نافَقَ حنْظَلَةُ فقال: مهْ فحَدَّثْتُهُ بالْحديث فقال أبو بكْرٍ: وأنا قد فعَلْتُ مثْلَ ما فعَلَ فقال :يا حنْظَلَةُ ساعَةً وسَاعَةً ولَوْ كانت تَكونُ قلُوبُكُمْ كما تَكونُ عنْدَ الذّكْرِ لَصَافَحَتْكمْ الْمَلائكَةُ حتى تسَلِّمَ عَلَيْكمْ في الطّرُقِ"(٢).

فقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والنفسية أن الإنسان بحاجة إلى الانتعاش والتسلية والترويح من خلال برامج ترفيهية تجدد نشاطه وتبعث فيه المرح والاسترخاء وتبعد ذهنه عن ضغوط المجتمع الحديث ومشاكل الحياة اليومية والمنافسة في العمل والمشاكل العائلية (٣).

وبما أن مجلة الدعوة السعودية واحدة من وسائل الاتصال المتخصصة " فينبغي أن تتصف بالتوازن أو الاتزان فلا تسرف في الجد إلى حد العبوس، ولا تتطرف في الترفيه إلى حد العبث، وإنما ينبغي أن تسد الحاجات الإنسانية بما فيها من جوانب

---

(١) التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، (المنصورة، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ) ص١٨٥.

(٢) الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب" دور الإعلام في توجيه الشباب، منير ناصر، مرجع سابق، ص٢٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: فضْلِ دوَامِ الذّكْرِ وَالْفكْرِ في أمُورِ الْآخرَةِ والْمُرَاقَبَةِ وجَوَازِ ترْكِ ذلك في بعْضِ الْأوْقَاتِ وَالاشْتغَالِ بالدُّنْيَا ،حديث رقم: ٢٧٥٠ص١١٩١.

جادة وأخرى ضاحكة (١).

وظيفة الإعلان:

تعد هذه الوظيفة من الوظائف الرئيسية للصحافة عامة، وينبغي أن تهتم بها مجلة الدعوة السعودية أكثر لأن للقارئ الدور الأكبر في اختيار ما يلزمه، والإعلان وسيلة غير شخصية لتقديم الأفكار والسلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة ومقابل أجر مدفوع(٢).وبناءً على ذلك يجب أن تختار مجلة الدعوة السعودية الإعلانات التي تفيد القراء أنفسهم وعلاقتهم مع غيرهم، وما يلزمهم ويحتاجون إليه في شئونهم الخاصة والعامة.

تقويم نتائج الدراسة الميدانية:

استهدفت دراسة قراء مجلة الدعوة السعودية التعرف على آرائهم حول مدى تحقيق المجلة لأهدافها، ومدى حرص جمهورها على قراءتها، والموضوعات التي يفضل قراءتها فيها، ومدى قبول القراء للأساليب التي تعالج بها القضايا المطروحة. وعلى ضوء ما انتهت إليه هذه الدراسة برز للباحث النتائج التالية:

تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لكافة أهدافها مع وجود بعض نقاط الضعف التي تحتاج إلى معالجتها من قبل القائمين على المجلة وتتمثل في تدني أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتمثلة تحت كل هدف من أهداف المجلة والتي تتمثل متوسطاتها الحسابية في أقل من (٣,٥) وذلك على النحو الآتي:

حتى تحافظ مجلة الدعوة على قرائها وتكتسب قراء جدداً عليها معالجة نقاط الضعف المذكورة سابقاً، وأن تنوع في أساليبها الدعوية، وأن تبحث عن الأساليب

---

(١) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، ٧٤.

(٢) الدعاية والإعلان قحطان بدر العبدلي وسمير عبد الرزاق العبدلي، (بيروت، دار العلوم ، ١٤١٣هـ) ص١٨ بتصرف.

الجديدة من حيث الشكل والمضمون، وهذا واضح على سبيل المثال في الهدف الأول فالجانب الدعوي الصرف لم يأخذ حقه بدليل عدم استقطاب المتخصص في مجالات الدعوة.

وتبين أن قراء مجلة الدعوة على مستوى عال من الوعي والثقافة له خصائصه التي تميزه عن غيره من قراء الصحف العامة، وأن أهداف المجلة ووظائفها تؤكد أن مجلة الدعوة مجلة نوعية متخصصة لها أهداف ثابته تعمل على تحقيقيها.

تمثلت أهم نتائج الدراسة في قبول كافة الفروض المتمثلة في الآتي :

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.

عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

توصلت الدراسة التقويمية إلى وجود بعض نقاط الضعف التي تحتاج إلى معالجة من قبل القائمين على المجلة.

وتتمثل نقاط الضعف في تدني أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتعلقة بكل هدف من أهداف المجلة والتي سبق ذكرها في الدراسة التقويمية.

الجمهور المستهدف

تؤكد كثير من الدراسات الإعلامية الحديثة على أن فاعلية الإقناع ترتبط بمراعاة طبيعة وخصائص الجمهور المستهدف(١) وقبل هذه الدراسات بينت السنة النبوية أهمية مراعاة أحوال المخاطبين، يدرك ذلك من ينظر في مضمون رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك المجاورين، وكيف خاطب كل أمة بما يتفق مع خصائصها العقدية الفكرية والثقافية (٢).

(١) انظر: البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١١هـ) ص١٩- ٢٠.

(٢) انظر: إعلام السائلين سيد المرسلين، محمد بن طولون، تحقيق محمود الأرناؤوط، (بيروت، الرسالة، ١٤٠٣هـ) ص٥٥ - ١٠٨.

الخاتمة

وتشتمل النتائج والتوصيات:

النتائج:

لقد استعرضت هذه الدراسة آراء قراء مجلة الدعوة السعودية حول مدى منهجها التي سارت عليه ومدى تحقيقها لأهدافها التي رسمتها لنفسها، والمنهج الإسلامي والتعريف به، والمستند الشرعي له، وأهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها، وقضايا الدعوة التي يحتاجها المدعو، ونشأة وأهداف المجلة وتاريخ نشأتها وأهدافها، ثم درس الباحث آراء القراء في المجلة، ثم ناقشت أهم نتائج الدراسة الميدانية، وقدمت نموذجاً أمثل لأهداف مجلة الدعوة من خلال تقويم نتائج دلالات الدراسة الميدانية، وقومت واقعها في ضوء تلك الدراسة، ولقد ظهر للباحث أثناء دراسته عدة نتائج، ومن أهمها وجد الباحث مجلة الدعوة مجلة رصينة في مجالها متوازنة في رؤاها المختلفة، إضافة إلا كونها زاخرة بالمسائل العلمية والنصائح الدعوية والفوائد الدقيقة المتنوعة، ولذا فالحاجة إليها ومثيلاتها قائمة في كل زمان ومكان وخاصة في ميدان الدعوة والاحتساب، حيث يجد فيها الدعاة، بفضل الله تعالى، ذخيرة هائلة تعينه بعد الله في القيام بدوره وواجبه الدعوى مع أصناف شتى من المدعوين، وسيقف الباحث على أبرزها على النحو الآتي:

أظهرت الدراسة الميدانية ارتفاع المستوى التعليمي لقراء مجلة الدعوة السعودية.

١. كشفت الدراسة أن هناك أساساً لاختيار المحرر، ومنها أن يكون ذا خبرة إعلامية وشرعية، ومن المهتمين بالقضايا الإسلامية.

٢. بينت الدراسة تنوع أهداف مجلة الدعوة السعودية.

٣. كشفت الدراسة اهتمام ٦٨% من قراء المجلة ممن تراوحت أعمارهم ما بين ٣٢إلى أقل من خمسين عاما.

ثم يليهم ممن تجاوز الخمسين عاما بنسبة ٢٢% وفي الدرجة الأخيرة القراء الذين تقل أعمارهم عن٣٢ عام بنسبة ١٠%.

٤. وأظهرت الدراسة الميدانية أن جنس القراء (٨٦%) من عينة الدراسة رجال، و(١٤%) نساء، كذلك اقتضت الدراسة الوقوف على جنسية القراء حيث بلغ نسبة العينة من السعوديين(٩٥%)وغير السعوديين(٥%).

٥. أظهرت الدراسة الميدانية أن الفئة العمرية (من ٣٢ إلى أقل من ٥٠) تشكل النسبة الأكبر إذ تمثل (٦٨%)من إجمالي عينة الدراسة، وتشكل بالإضافة إلى الفئة العمرية:(من ٥٠سنة فأكثر) نسبة (٩٠%) من إجمالي عينة الدراسة.

٦. كما أظهرت الدراسة الميدانية علو المستوى التعليمي والثقافي لجمهور مجلة الدعوة السعودية؛ حيث تبين أن معظم الذين تم تجاوبهم مع الاستبانة من عينة الدراسة يحملون شهاداة جامعية مختلفة، وذلك على النحو الآتي: نجد أن(٥٧%) من أفراد العينة يحملون درجات الماجستير والدكتوراه، و(٣٥%) من أفراد العينة يحملون درجة البكالوريوس، وبما يعني أن (٩٢%) من أفراد العينة يحملون مؤهلات بكالوريوس فأكثر.

٧. أظهرت نتائج الدراسة أن هدف الاهتمام بموضوعات الدعوة من أكثر الأهداف عناية حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣،٧٩).

٨. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن أسلوبها في معالجة موضوعات الدعوة وكذلك عدم مواكبة الخطاب الدعوي لروح العصر لم يكسبها قراء جدد.

٩. أوضحت الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالبحوث الفقهية أخذ حقه في أغلب فروعه حيث بلغ المتوسط الحسابي (٦٣،٣).مع ملاحظة أن أساليب المعالجة كانت محدودة.

١٠. بينت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالفتاوى الشرعية من أهم أهداف المجلة حيث بلغ المتوسط الحسابي(٥٥،٣)ولكن لم تسجل نتائج الدراسة إشادة عالية به.

١١. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة بلغ المتوسط الحسابي(٣،٥١) حيث وجد ضعف محدود جد حسب رأي قرائها.

١٢. أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي قد بلغ المتوسط الحسابي(٣،٦٠) وقد رأى جمهور القراء أن المجلة لم تحق قدرا كبيرا من تلك العناية.

١٣. أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية قد بلغ المتوسط الحسابي(٣،٣٣) وقد اعتبر أغلب القراء أن العناية بهذا الهدف لم يكن كبيراً.

١٤. بينت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالقضايا الاجتماعية قد بلغ المتوسط (٣،٥٠)فقد وجد قراء المجلة الذين لهم اهتمامات بقضايا المرأة والطفل وذوي الاحتياجات الخاصة أن ما وصلت إليه نتائج ذلك الهدف لم يكن مرضياً.

١٥. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية بلغ المتوسط الحسابي(٣،٢٦) وقد اعتبره الباحث أمرا منطقياً؛ لكون المجلة ذات توجه إسلامي دعوي.

التوصيات:

بناء على مناقشة أهم نتائج الدراسة الميدانية وتقويم دلالاتها وما وجده الباحث خلال رحلته العلمية في أرجاء أهداف مجلة الدعوة السعودية، بدا للباحث توصيات من أهمها:

١. أهمية عناية المجلات الإسلامية وخاصة مجلة الدعوة السعودية بالتفسيرات والتحليلات لما يحدث في العالم، فلا ينبغي لصوت الإسلام أن يخرج على استحياء بل لابد من الجهر بالدعوة الإسلامية في الآفاق.

٢. على القائمين على إدارة مجلة الدعوة السعودية العمل على تحسين وتطـــوير أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتعلقة بكل هدف من أهداف المجلة والتي سبق ذكرها في الدراسة التقويمية، وبما يحقق أهداف المجلة بفعالية.

٣. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجـــاد إلى إيجاد لجنة متخصصة من أصحاب العلم والخبرة الإعلامية لتحقيـــق رغبـــات القراء لتزويدهم بالأفكار الساعية لتطوير المجلة.

٤. يوصي الباحث المسؤولين عن مجلة الدعوة السعودية باختيار المحررين أصحاب المؤهلات العليا والتخصصات الشرعية والإعلامية.

٥. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد لتعرف على القراء وخاصة من المداومين على قراءتها ومن يسعى للوصول إليها بمقترح من شأنه تطويرها.

٦. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد علـــى الموازنة في طرح الموضوعات وعدم طغيان موضوعات على موضوعات الدعوة وقضاياها.

٧. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة الـــسعودية بالـــسعي الجـــاد والاعتماد على التفسير والتحليل والتعليق والتوجيـــه وحلـــول المـــشكلات الموجودة.

٨. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة الـــسعودية بالـــسعي الجـــاد بدراسة تطوير المجلة وأساليب معالجاتها.

٩. يوصي الباحث بمواصلة البحث والدراسة القائمة على تحليل مضامين أعدادها، وبخاصة أيام الفتن.

١٠. يوصي الباحث المجلة أن تهتم بمخاطبة جميع فئات المجتمع وتعاملهم بالأســـلوب الذي يناسبهم، بل ويتلاءم مع مستوياتهم وتحدد لهم دورهم الاجتماعي، وتحل لهم مشاكلهم الخاصة بها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. السنة المطهرة.

٣. أجهزة الإعلام والتنمية، ولبرشرام، ترجمة محمد فتحي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠م).

٤. الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م).

٥. أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، إبراهيم محمد سرسيق، بدون ذكر رقم الطبعة، (مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، بدون تاريخ نشر).

٦. إعلام السائلين سيد المرسلين، محمد بن طولون، تحقيق: محمود الأرناؤوط، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، الرسالة، ١٤٠٣هـ).

٧. الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير محمد حسين، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤م).

٨. الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٤م).

٩. الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير" دور الإعلام في توجيه الشباب، محمد عز الدين بطروخة، أبحاث الندوة العلمية الخامسة المنعقدة في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض في عام ١٤٠٨هـ).

١٠. البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١١هـ).

١١. التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، (المنصورة ، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ).

١٢. الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب" دور الإعلام في توجيه الشباب، منير ناصر.
١٣. دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، بدون ذكر رقم الطبعة،(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢ م).
١٤. الدعاية والإعلان قحطان بدر العبدلي وسمير عبد الرزاق العبدلي، (بيروت، دار العلوم ، ١٤١٣هـ).
١٥. الصحافة إجلال خليفة، (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٦م).
١٦. الصحافة الجامعية "أهميتها، أدوارها، وظائفها، وخصائصها" محاضرات دورة آفاق الصحيفة الثالثة في الفترة ما بين ١٢/١١/١٩٨٨م، محمود كامل الناقة، جامعة الكويت، إصدار خاص بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس آفاق.
١٧. مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٣٨، ١٩٨٧م.
١٨. مدخل إلى علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، تعريب مصطفى دن شلي، غي روشيه، (بيروت، المؤسسة العربية ، ١٩٨٣م).
١٩. معجم المصطلحات الإعلامية، انجليزي/ عربي، كرم شلبي، (القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩ هـ).
٢٠. وسائل والمجتمع الحديث، وليام ريفرز وآخرون، ترجمة إبراهيم إمام (القاهرة، دار المعرفة، ١٩٧١م).
٢١. وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط٣، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١٠هـ).
٢٢. الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، مرعي مدكور،ط١،(القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧م).
٢٣. الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٥م).

٢٤. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق، د. عبدالرحمن عميرة، ط١، (بيروت عالم الكتب،١٤٠٧هـ).
٢٥. التوقيف على مهمات التعريف، الشيخ عبد الرؤوف المناوي، ط١، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ).
٢٦. خطبة الحاجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، (دمشق، المكتب الإسلامي ،١٤٠٠هـ).
٢٧. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، ط٢، (مكة المكرمة جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، ١٤١٣هـ).
٢٨. الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، ط١،(بيروت، الرسالة،١٤١٤هـ).
٢٩. الصحافة النسائية في مصر من سنة ١٩١٩م إلى ١٩٣٠م، خليفة إجلال، رسالة ماجستير لم تطبع بعد حسب علم الباحث.
٣٠. صحيح البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، ط٢، (الرياض، دار السلام،١٤١٩هـ).
٣١. صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، ط٢، (الرياض، دار السلام، ١٤٢١هـ).
٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، ط٢، (القاهرة، السلفية، ١٤٠٠هـ).
٣٣. لسان العرب، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ط١، (بيروت، لبنان، دار صادر،١٤١٠هـ).
٣٤. الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د. جواد راغب أيوب،

رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث.

٣٥. محاضرات في الإعلام ووظائفه، د. عمارة نجيب، بدون ذكر رقم الطبعة،(بدون معلومات النشر).

٣٦. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان،١٤٠٩ هـ).

٣٧. مدخل إلى علم الصحافة، د. فاروق أبو زيد،ط٢،(القاهرة، عالم الكتب،١٤١٨هـ).

٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بدون ذكر رقم الطبعة، (الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ).

٣٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،ط١،(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

٤٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، (تركيا، المكتبة الإسلامية،١٣٩٢هـ).

٤١. معلم الصحافة والإنشاء، محمد خير الدرع، بدون ذكر رقم الطبعة، (دمشق، المكتبة الأموية، ١٩٧٣م).

٤٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، بدون ذكر رقم الطبعة، (دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ).

٤٣. منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد موسى، (بيروت، دار الكتب اللبناني،١٩٨٢م).

٤٤. مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، ط٣،(الكويت، وكالة المطبوعات،١٩٧٧م).

٤٥. منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ط١،(الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ).

٤٦. نهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبد المنعم صابر،

العدد١٨٣ (من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٨هـ).

٤٧. وظائف التبليغ القرآني، أعلام الإنسان بالشرائع والمنهج لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، د. إحسان عسكر ط١، (مصر، دار الاتحاد العربي،١٤٠٤هـ).

البحث رقم (٧)

المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية

إعداد

د.عبدالله بن إبراهيم الطويل

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن مكة المكرمة حرسها الله كانت ولا زالت مقصداً للعلماء والدعاة وطلبة العلم من شتى أنحاء المعمورة،وكان المسجد الحرام من أوائل منارات العلم والمعرفة،ليس لأهل مكة فحسب، بل للمسلمين عامة. وكان الجوار بمكة منذ القرون الأولى[1]أمنية كثير من العلماء والدعاة والعباد، فمنهم من تحقق مقصده، ومنهم من لم يتيسر له ذلك.

وإن الناظر في تراجم المجاورين بمكة يجد الشوق الكبير لسكنى مكة، والمجاورة بحرمها الشريف، والفرح حين دخول الحرم المكي.

يقول المقري صاحب كتاب "نفح الطيب":((ولـــمّا وقع بصري على البيت الشريف كدتُ أغيب عن الوجود))[2].

وفي وصف أدقّ يقول محمد العبدري:((وفي يوم التـــروية دخلنا البلد الأمين مقر المجد الصميم، والشرف المكين، فخرُ بقاع الأرض كلها على مـــرّ الـــسنين، فأقسم بالله أعظم يـــمين قسماً لا يكذب:ما حُرم سكناه إلا ذو حظٍ غبين))[3].

---

(١) جاور بمكة عدد كبير من الصحابة رضي الله عنه وقد رتبهم محب الدين الطبري على حـــروف المعجم، انظر:القرى لقاصد أم القرى، محب الدين الحافظ أبي العبـــاس الطبري،مكتبـــة البـــابي، القاهرة،ط٢ ، ١٣٩٠هـــــ، ص٦٦٢ .

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ،تحقيق، إحـــسان عباس،دار صادر،بيروت، ط١ ،١٣٨٨هـــ،(٣٩/١) .

(٣) رحلة الرحلات.مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، د.عبدالهادي التازي،مؤسسة الفرقان للتـــراث الإسلامي،مكة المكرمة، ط١ ، ١٤٢٦هـــ(٨١/١)وغبين: أي ضعيف، انظر:القاموس المحيط،مجد الدين محمد بن يعقـــوب الفيروزآبـــادي ،مؤســـة الرســـالة، بـــيروت، ط٨ ،١٤٢٦هـــــ ، مادة"غبن"ص١٢١٩ .

وقال محمد الناصري:((دخلت بفرحة كادت تطير منها القلوب، وانجلى ما كان خيّم عليّ من الأحزان والكروب، كيف ونحن بحرم جعله الله تعالى مكفراً لما سلف من الذنوب....يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها، موضع شرع الله تقبيله واستلامه، وقبلة كل نساك وإمامه، فسبحان من جعل أفئدة من الناس تهوي إليه))[1].

وبعضهم رأى مجاورته لمكة في المنام،فسارع بتحقيق ذلك في اليقظة كصنيع عثمان ابن حسن الدمياطي[2]، وبعضهم أكثر من دعاء الله تعالى أن يجاور بمكة فاستجاب الله له مثل محمد بن حمد الزبيري[3]، وهذا أمر يطول ذكر نماذجه نثراً وشعراً، وفيها يتضح مدى الشوق والحنين، والحب والتعظيم لبيت الله الحرام، بل لقد لفت انتباهي في بعض تراجم المجاورين في القرن الثالث عشر أن غاية همه، وأكبر همه هو الوصول إلى مكة، ومن ثم المجاورة ببيته.

لقد مارس المجاورون نشاطهم الدعوي في عدد من الأماكن في مكة المكرمة وفي خارجها، ففي مكة أقاموا الدروس والحلقات العلمية في شتى الفنون الشرعية، وفي غير الحرم كانت المدارس والأربطة، وفي خارج مكة كان لهم الدور الإيجابي الفاعل في نشر الدعوة الصحيحة في مختلف الأمصار، بل إن هذا الجوار-كما سيأتي-أسهم في نشر الدعوة السلفية التي أعلنها الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وانتشرت من نجد إلى بلاد العالم الإسلامي. من جانب آخر كان للمجاورين نشاط علمي تمثل في تصنيف عدد من المؤلفات، وفي مختلف الفنون والمعارف.

---

(١) رحلة الرحلات (٢/٤٥٨).

(٢) انظر:أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،مكة المكرمة،ط١ ، ١٤٢٦هـ ص٨٩ .

(٣) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون،عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢ ،١٤١٩هـ(٥/٥٠٨) .

لـــمّا رأيتُ ذلك؛ عزمتُ على جمع شتات هذا الموضوع، والاجتهاد في تدوين تلك الجهود الدعوية، زيادة على ذلك ما يلاحظ من قلة تخصيص الكتابات عـــن القرن الثالث عشر عموماً، والمجاورين خصوصاً[1]، ورغبة مني في مزيد تحديد فقد جعلته عن المجاورين بمكة لا المدينة،واخترت المجاورين في "القـــرن الثالـــث عـــشر الهجري"؛بناء على وصف المترجمين الصريح لهم بأنهم ممن جاوروا بالمسجد الحرام، وقد عنونته:**"المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية"**.

وقسمت البحثَ إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة

التمهيد:وفيه التعريف بالمجاورة، ومدة الجوار، ومشروعيته.

المبحث الأول:سمات المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر.وفيه مطلبان:

المطلب الأول:أنهم علماء ودعاة وطلبة علم

المطلب الثاني:اشتهارهم بالعبادة، وحسن الخلق

المبحث الثاني:الجهود الدعوية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر، وفيـــه أربعة مطالب:

المطلب الأول:إقامة الدروس العلمية

المطلب الثاني:تصنيف المؤلفات النافعة

المطلب الثالث:إنشاء المكتبات، ونسخ مؤلفات السلف

المطلب الرابع:نشر الدعوة الصحيحة بعد المجاورة

المبحث الثالث:العوامل المساعدة للمجاورين لنشر دعوتهم، وفيه ثلاثة مطالب:

---

(١) مما كُتب عن المجاورين:"المجاورون ودورهم العلمي من خلال العقد الثمين" د.فوزي ساعاتي، وهو بحث مقدم إلى الندوة السادسة لتاريخ الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود، عام١٤٢٨هـــ،وأيضاً بحث بعنوان"المجاورون بمكة وأثرهم العلمي خلال فترة٥٧٠- ٦٦٠ د.عبدالعزيز السنيدي، وهـــو بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية،عام١٤٢٦هـــ .

المطلب الأول:العوامل الدينية

المطلب الثاني:العوامل الاجتماعية

المطلب الثالث:العوامل الاقتصادية

الخاتمة.

وهي كتابة موجزة، وإلماحة سريعة، جازماً بأن موضوع"الجوار" لا يزال غضاً طرياً بحاجة إلى العديد من البحوث والدراسات حتى تصل به إلى مرحلة النـــضج، والموفق من وفقه الله.وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: وفيه التعريف بالمجاورة، ومدة الجوار، ومشروعيته.

التعريف بالمجاورة:

المجاورة لغة: من "الجوار" بالكسر والضم، والكسر أفصح، كما قال الجوهري[1].

وقال الزبيدي -رحمه الله-: ((والمجاورة: المساكنة والمقاربة... والجار هو الذي يجاورك بيتاً ببيت))[2].

والمجاورة في الاصطلاح هي: النزول بجوار أحد الحرمين الشريفين رغبة في العبادة ونحوها، غير ملتزم بشرائط الاعتكاف [3].

وهذا المصطلح وما قاربه هو الدارج في مصنفات أهل العلم، لاسيما تواريخ البلدان وتراجم الرجال؛ من ذلك: "جاور بالحرم الشريف"، "قدم مكة وجاور بها"، "قدم للحج وجاور"، "نزيل البلد الحرام"، "اختار الجوار بمكة"، "جاور بحرم الله"[4].

---

(١) انظر: الصحاح، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، مادة "جور" (٦١٧/٢).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، مادة "جور" (٤٧٨/١٠).

(٣) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، مادة "جور" (١٥٣/٤)

(٤) انظر: تاريخ بغداد أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٦٤/٣)(٤١٦/١٤) تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد الذهبي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (٤٤/١، ٢١٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبوعبد الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون (١٩١/٣)(٣٩٦/٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق محمد عبدالمعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ (٣٣/١) شذرات الذهب في

وإذا أُطلق مصطلح"الجوار" فُيراد به غالباً: جوار الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة النبوية، وتنتهي المجاورة بخروجه من هاتين المدينتين أو وفاته.

وأدخل بعضهم في هذا المصطلح مساجد أخرى، من ذلك:

ما جاء في ترجمة عبدالفتاح مغيزل أنه جاور ببيت المقدس[1]،وأبو بكر الهروي مجاور المسجد الأقصى [2]

وجاء في ترجمة محمد الأسناوي أنه جاور بالجامع الأزهر[3]، وكذلك لاجين الأزهري[4] بل وُصف بعضهم بأنه جاور بالنجف[5].

مدة الجوار:ليس للجوار مدة محددة يلتزم بها المجاور؛ وإنما ذلك عائد إلى الهدف الذي يسعى صاحبه لتحقيقه فترة المجاورة، إذ منهم من يجاور لفترة قصيرة لا

أخبار من ذهب،شهاب الدين بن العماد الحنبلي،تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ،١٤١٩هـ (٣٩٦/٥).

(١) انظر:سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن مراد الحسيني، دار البشائر الإسلامية، عمّان، ط٣ ، ١٤٠٨هـ (٤٠١/١)وانظر:معجم المؤلفين،عمر بن رضا بن محمد راغب بن كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى، بيروت (٢٧٨/٥).

(٢) انظر:بغية الطلب في تاريخ حلب،عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر، بيروت(٤٦٣/٢).

(٣) انظر:حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، دار صادر، بيروت، ط٢ ،١٤١٣هـ (٤٠/٢) وانظر:(٣٤/١)و(١٠٦/٢) وانظر كذلك:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر (٢٠٦/٤) .

(٤) انظر:الدرر الكامنة(٤١٦/٤)وقد وقفت على أكثر من عشرين ترجمة لأعلام وُصفوا بأنهم جاوروا بالجامع الأزهر .انظر مثلاً كتاب :الأعلام، خير الدين الزركلي،دار العلم للملايين ، بيروت،ط١٦، ٢٠٠٥م(٩٤/١)(٣٩/٤)(١٨٢/٦)(٦٢/٧)(٧٨/٧) .

(٥) انظر:معجم المولفين(١٨/٥)(٩٧/٩، ١٨٠).

تتجاوز السنة[١]، ومنهم من جاور ثلاث سنوات[٢]، وسبع سنوات[٣]، وعشر سنوات[٤]، وعشرين سنة [٥]، ومنهم من جاور خمسين سنة [٦]، ومنهم من كان يكرر المجاورة فيجاور سنوات، ثم يرجع إلى بلده سنوات، ثم يعود للمجاورة مرة أخرى [٧]. ومنهم من يجاور في آخر عمره حتى وفاته وربما ذلك رغبة من بعضهم أن يدفن في مكة أو المدينة [٨]، وترتب على هذه المجاورة أن استقر كثير منهم بمكة، وأصبح بالحجاز العديد من العوائل التي ينحدر نسبها إلى أصول مصرية أو شامية أو هندية.

مشروعية الجوار

وردت العديد من النصوص والآثار في فضل الجوار بمكة المكرمة والمدينة النبوية،من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:((إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت))[٩]، وفي رواية:((ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك))[١٠].

---

(١) انظر:شذرات الذهب (١٨٣/٦).

(٢) انظر:سير أعلام النبلاء(٥٩٢/١٧)(٥٣٧/١٨).

(٣) انظر:سير أعلام النبلاء(٣١٥/١٦).

(٤) انظر:تاريخ بغداد (٣٨٧/٨) .

(٥) انظر:تذكرة الحفاظ(١٣٨٢/١٤)

(٦) انظر:شذرات الذهب(١٥٤/٦)

(٧) انظر:شذرات الذهب(١٥٤/٦)حلية البشر(١٧/١)معجم المؤلفين(٨٦/١)

(٨)انظر:طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي،مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة،ط١ ، ١٤٠٢هـ(١٠٤٠/٢) الوافي بالوفيات،صلاح الدين الصفدي،دار إحياء التراث،بيروت،ط٢، ١٤٢٠هـ،(١٨٤/٨)

(٩)رواه أحمد (١٨٤/١٤)ورواه الترمذي في سننه،كتاب المناقب، باب فضل مكة ، (٢٠٧/٦) رقم٣٩٢٥ وحسنه .

(١٠) رواه الترمذي في سننه،كتاب المناقب، باب فضل مكة،(٢٠٧/٦)رقم٣٩٢٦ وحسنه .

كما ورد جملة من النصوص في فضل مكة، وما فيها من بركة وتكثير للأجر، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1] وقوله عزّ وجل﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على فضل مكة وكذلك المدينة في أنهما لا يدخلهما المسيح الدجال[4]، ولا يقربهما الطاعون[5]، وتحرسهما الملائكة[6]، وأنّ الصاع مبارك فيهما[7]، ومضاعفة الصلاة بمسجديهما[8]، وجواز شدّ الرحال إليهما[9]، وهي نصوص دالة على عِظم الحرمين الشريفين.

---

(١) سورة البقرة، آية(١٢٦)

(٢) سورة إبراهيم،آية(٣٥)

(٣) سورة آل عمران،آية(٩٦)

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة(٢/٦٦٥)رقم١٧٨٢، ومسلم في صحيحه،كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب قصة الجساسة(٤/٢٢٦٥)رقم٢٩٤٣ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون(٥/٢١٦٥)رقم٥٣٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال (٢/١٠٠٤) رقم١٣٧٩

(٦) رواه مسلم في صحيحه،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة(٤/٢٢٦٥)رقم٢٩٤٣

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيع، باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وسلم(٢/٧٤٩)رقم ٢٠٢٢

(٨)رواه البخاري في صحيحه،كتاب الصلاة،باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة(١/٣٩٨)رقم١١٣٣، ومسلم في صحيحه،كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة(٢/١٠١٢)رقم١٣٩٤

(٩) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة(١/٣٩٨٩رقم١١٣٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تُشدّ الرحال إلا لثلاثة مساجد(٢/١٠١٤)رقم١٣٩٧

ورغم هذا فلأهل العلم كلام حول مشروعية الجوار، وما يلحق بـه مـن أحكام، من ذلك ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول-رحمـه الله-:((وأمـا المجاورةُ فليست واجبة باتفاق المسلمين، بل العلماء متنازعون هل هي مـستحبَّة أم مكروهة؟ فاستحبها طائفة من العلماء من أصحاب مالك[1] والشافعي[2]، وكرهها آخرون كأبي حنيفة[3] وغيره، قالوا:.....وأنه لا يأمن مـن مواقعـة المحظـور؛ فيَتَضاعف عليه العذاب. ولأنه يضيق على أهل البلد.

قالوا: وكان عمر يقول عَقِب المواسِم: يا أهل الشام شامكم، يا أهل الـيمن يمنكم، يا أهل العراق عراقكم، ولأن المُقيم بها يفوتُه الحجّ التام والعمرة التامَّة؛ فإن العلماء مُتَّفقون على أنه إنْ أنشأ سَفَرَ العمرة من دُوَيرة أهله كان هذا أفضل أنواع الحج والعمرة.... والمقصود هنا أنَّ مِن العلماء مَن كَرِهَ المُجاورة بمكة لِمَا ذكر من الأسباب وغيرها، ولكن الجمهور يستحبونها في الجملة إذا وَقَعَت علـى الوجـه المشروع الخالي عن المفسدة المكافئة للمصلحة أو الرَّاجحة عليها.

قال الإمام أحمد، وقد سُئل عن الجوار بمكة، فقال: وكيف لنا به، وقـد قـال النبي صلى الله عليه وسلم-:((إنَّكِ لأحب البِقَاع إلى الله، وإنَّـكِ لأحـب إلي)). وجابر جاوَرَ مكة، وابن عمر كان يُقيم بمكة..... فإذا كانت أحبَّ الـبلاد إلى الله ورسوله، ولولا ما وَجَبَ عليه من الهجرة لما كان يسكن إلا إيَّاهـا، عُلِـمَ أن المُقام بها أفضل إذا لم يُعارض ذلك مصلحة راجحة))[4].

---

(١) انظر: المدخل،محمد بن محمد المـالكي الـشهير بـابن الحـاج،دار الفكـر، بـيروت،ط١ ، ١٤٠١هـ(٤/٢٤٠) وبلغـة الـسالك،أحمد الـصاوي، دار الكتـب العلميـة،بيروت،ط٢ ، ١٤١٥هـ(٢/١٧٥).

(٢) انظر:المجموع شرح المهذب، شرف الدين النووي،دار الفكر، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٧م(٨/٢٠٧).

(٣) انظر:المبسوط،محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت،١٤١٤هـ(٣/١١٤).

(٤) جامع المسائل،أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني،تحقيق محمد عزيز شمس، دار عـالم الفوائـد ، الريـاض، ط ١ ١٤٢٢هـ

إذن المجاورة مستحبة عند أغلب العلماء، ومن كرهها فلأحد أمور ثلاثة:

أولاً:خوفاً من التقصير في حرمتها، واعتياد المكان، والأنس به؛ مما قد يقلل من مهابتها وتعظيمها؛ ولذا أمر عمر رضي الله عنه من حج أو اعتمر بالرجوع لبلده.

ثانياً:الخوف من ارتكاب ذنب فيها، لأن المعصية فيها ليست كغيرها.

ثالثاً:أنه عند الإقامة فيها قد ينشغل البال بغيرها، وقال بعضهم:"تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر"[1]

(٣٤٤/٥)، ولشيخ الإسلام مصنف مستل من مجموع الفتاوى بعنوان"مسألة: المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة بمكة"تحقيق أشرف عبدالمقصود،دار أضواء السلف، الرياض،ط١ ، ١٤٢٢هـ، وانظر القرى لقاصد أم القرى، وفضائل مكة والسكنى بها، للحسن البصري،تحقيق سامي العاني،مكتبة الفلاح،الكويت، ط١ ،١٤٠٠هـ .

(١) انظر:إحياء علوم الدين،محمد بن محمد أبو حامد الغزالي،دار المعرفة، بيروت،(٢٤٣/١) .

المبحث الأول

سمات المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر

إن المتتبع لتراجم المجاورين في هذه الحقبة الزمنية سيلحظ تميزهم بسمات أهلتهم لنشر دعوتهم سواء أكان ذلك بمكة أم في بلدانهم بعد رجوعهم من فترة الجوار، وسأجعل الحديث عنها عبر مطلبين:

المطلب الأول

أنهم علماء ودعاة وطلبة علم

ربما يظن المطلع لأول وهلة على صفات المجاورين بأنهم أصحاب عبادة فحسب، وأنّ جلهم من عامة الناس؛ والحق غير ذلك؛ فإن غالب من وقفتُ عليهم هم من طلاب العلم الأفذاذ الذين كانت تمتلئ حلقاتهم العلمية بالمستفيدين، بل منهم العلماء الذين تولوا الإفتاء في بلدانهم، وبلغت شهرتهم الآفاق، ووصلت دعوتهم مختلف البلدان قبل أن يقرروا الجوار بمكة.

مع الإشارة إلى تنوع بلدانهم، واختلاف مذاهبهم، منهم:إبراهيم بن سعد المقري[1]، وأحمد الدمياطي[2]، وعلي بن محمد المدّاح[3]، ومحمد بن محمد شطا[4]؛ كانوا من مشاهير علماء الشافعية بالجامع الأزهر بمصر، وكان يوسف السنبلاوي من ابرز فقهاء الشافعية في مصر في وقته[5].

---

(١) انظر:مختصر نشر النور والزهر في تراجم فضائل مكة،عبدالله مرداد أبو الخير،تحقيق محمد سعيد العامودي،دار عالم المعرفة، جدة،ط٢، ١٤٠٦هـ، ص٥٣ .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص ٤٣٠.

(٣) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون،سعود بن عبدالعزيز الربيعة،الدار العربية للموسوعات، بيروت،ط١، ١٤٣٢هـ، ص٢٠٠ .

(٤) انظر:معجم المؤلفين(٧٣/٣) .

(٥) انظر:أعلام المكيين ص٥٢٦ .

وإبراهيم بن محمد الصنعاني،مالكي،مفسر مشهور،وواعظ معروف[١]،ويوسف بن محمد البطاح الأهدل من مشاهير فقهاء الشافعية في اليمن وخاصة في الفرائض كما أن له اهتماماً بالحديث والتاريخ [٢].

وإسحاق بن محمد أفضل الدهلوي الحنفي، فقيه محدث،قرأ على علماء عصره بالهند، ولازم الشيخ عبدالعزيز الدهلوي وأجازه إجازة عامة[٣]، ومن المجاورين الهنود ابنه يعقوب، وهو عالم محقق [٤]، وحسين بن علي العظيم آبادي الحنفي من علماء الهند المشاهير [٥]،وكذلك قطب الدين الدهلوي الحنفي، محدّث معروف،نشأ بدهلي، وشرع في طلب العلم على علمائها [٦].

ومن بنغلاديش مشيئة الله بن عصمة الله الذي كان يعمل بالنيابة الشرعية في وظيفة صدر الصدور لمدة عشرين سنة، ثم طلب الإعفاء لأجل المجاورة بمكة [٧]

وحسن بن إبراهيم بن عامر المغربي المالكي، كان فقيهاً ماهراً، تولى الإفتاء في مكة منذ وصوله لها عام ١٢٦٢هـ للمجاورة [٨].

---

(١) انظر:البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني،دار المعرفة، بيروت(١/٤٢٢).

(٢) انظر:حلية البشر(١/١٦١٠).

(٣) انظر:نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،عبدالحي الحسني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،الهند، ط٢، ١٣٩٨هـ(٧/٩١١).

(٤) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٥١٧ .

(٥) انظر:الحياة العلمية في مكة المكرمة،د.آمال رمضان عبدالحميد، نشر مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة، ط١، ١٤٣٢هـ(٢/٦٠٠) وهي في الأصل رسالة علمية، استفدتُ منها كثيراً .

(٦) انظر:أنظر:أعلام المكيين ص٤٤٢ .

(٧) منائح الكرام في أخبار مكة وولاة الحرم، علي بن تاج الدين السنجاري،تحقيق جميل المصري،ط١ ،١٤١٩ه،(١/٤٦) .

(٨) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص١٨٠ .

ومن مالكية المغاربة أيضاً محمد بن محمد الرباطي التهامي كان مسنداً للرجال، وأديباً لغوياً معروفاً[1].

وعبدالخالق بن إبراهيم الحفظي كان مفتياً لعسير وقاضياً بها قبل أن يقرر الرحيل للمجاورة بمكة [2].

أمّا المجاورون من نجد فلا يقلون علماً وفقهاً عن غيرهم، فمحمد بن عبدالله بن حميد، من علماء الحنابلة، مؤرخ مشهور، درس على عدد من مشايخ عنيزة كالشيخ قرناس بن عبدالرحمن، وعلى مفتي نجد في حينه الشيخ عبدالله أبابطين، وعلى محمد السناني وغيرهم [3]، وحين وصل مجاوراً أصبح مفتياً للحنابلة بمكة [4]، على أن جملة من المجاورين النجديين كان غرضهم من الجوار ابتداء هو التواصل مع علماء الحديث لاسيما مع انتشارهم، وشهرة مكة آنذاك بهم، وخصوصاً مع اشتهار نشاط حركة الإجازات الحديثية التي يحرص عليها طلاب العلم [5]

وعبدالله بن سليمان بن عبيد الحنبلي،فبعد أن حفظ القرآن في صغره شرع في طلب العلم؛ فقرأ على علماء بلده كالشيخ عبدالعزيز الحصين وعثمان بن شبانة، ثم رحل إلى الدرعية وقرأ على علمائها كالشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وحمد بن معمّر وغيرهما، كل ذلك قبل أن يقرر الرحيل لمكة للمجاورة[6].

ومن مشاهير من جاور من النجديين عبدالله بن محمد بن صقيه الحنبلي الذي درس في عدد من مدن القصيم، فقد قرأ على عالم الرسّ الشيخ قرناس بن

---

(١) انظر:معجم المؤلفين(١١/٢٠٢)الأعلام(٧/٧٢) .

(٢) انظر:شذا العبير في تراجم علماء عسير،هاشم بن سعيد النعمي،نشر نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٣٨، والحياة العلمية بمكة(٢/٥٩٩) .

(٣) انظر:روضة الناظرين(٢/٢١٣)الأعلام(٦/٢٤٣).

(٤) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٦/١٨٩).

(٥) انظر:الحياة العلمية في مكة(٢/٦٣١) .

(٦) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٤/١٦٦) .

عبدالرحمن، كما تلقى العلم على يد قاضي بريدة الشيخ عبدالعزيز بن سويلم، ثم عين قاضياً بها وخطيباً في جامعها الكبير[1].

ومنهم كذلك العالم الفقيه المدقق محمد بن سلطان الحنبلي، الذي نشأ في أسرة علمية، ثم قرأ على علماء مدينة الرياض كالشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه عبداللطيف، كما قرأ على قاضي الرياض عبدالرحمن بن عدوان [2].

وأيضاً عثمان بن محمد بن سند الحنبلي الذي رحل طالباً للعلم إلى الزبير فأخذ من علمائها كالشيخ محمد بن سلوم وإبراهيم بن جديد، ثم رحل إلى بغداد فقرأ على العالم علي السويدي [3].

وقد كان الحرم المكي مشتهراً بتعدد المذاهب الفقهية، وانتشارها في ساحات المسجد الحرام، وهي ميزة قل أن توجد في مكان آخر.

---

(١) انظر:روضة الناظرين(١/٣٣٤)السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة،محمد بن حميد،مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٦هـ(٢/٦٢٤).

(٢) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/٥٤٤) .

(٣) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير ص٢٥٧.

المطلب الثاني

عِظم عبادتهم، وحسن أخلاقهم

إن من أبرز أهداف المجاورين في الحرم المكي هو العبادة بجميع أنواعها من صلاة وصيام وطواف وذكر وغيرها من الأعمال الصالحة، لما في ذلك من مضاعفة الحسنات وبركة المكان.

ومن هنا سعت همة الزُهّاد والعُبّاد والصالحين إلى الجوار؛ إذ يرون أن الحرم المكي هو أنسب الأماكن لمزيد من الطاعات والإقبال على الله تعالى، إضافة إلى ما تميزوا به من ورع وصلاح وحسن خلق، وأسوق نماذج مما اتسم به المجاورون في هذا الشأن.

فمنهم بشري بن هاشم الجبرتي فقد كان كثير العبادة والطواف بالبيت مع ما اشتهر به من زهد وورع [1]،وصالح الحريري الأفندي كان من خيار الناس في صلاحه وانعكافه على العبادة،كما اشتُهر بحسن أخلاقه، وجميل طباعه[2]، وطاهر التكروري العباسي كان ذا صلاح وهيبة ووقار، ملازماً للعبادة حريصاً عليها [3]، وعبدالله بن فايز أبا الخيل كان له أثناء مجاورته مدارسة في القرآن الكريم مع جماعة من أصحابه غالب ليالي السنة؛ يقرؤون إلى منتصف الليل قرابة عشرة أجزاء، وأحياناً يراجعون ما صعب عليهم فهمه في تفسير البغوي أو البيضاوي[4]، ومحسب

---

(١) انظر:فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني ،تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٩٨٢م،(٢٣١/١)أعلام المكيين ص٣٣٤ .

(٢) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢١٣ .

(٣) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢٢٤ .

(٤) انظر:روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين،محمد بن عثمان القاضي،مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٢ ، ١٤٠٣هـ(٣٣١/١) .

الدين السليماني كان ورعاً ناسكاً متزهداً مشتغلاً بالتدريس والعبادة[1]، ومحمد بن خضر البصري كان نجيباً صالحاً متواضعاً مواظباً على الاشتغال بالتدريس والعبادة[2]، ومحمد بن محمود شطا كان عفيفاً، متواضعاً آية في الحفظ والضبط،متوقد الذهن، حادّ الذكاء [3].

لقد كانت هذه السمات وتلك الصفات من أسباب انتشار دعوتهم، وكثرة الحضور لدروسهم، والاستفادة من نصحهم وعلمهم والاقتداء بهم؛ على أن من المجاورين في هذه الفترة من وقع في مزالق عقدية خطيرة حتّمت النكير عليهم من أهالي مكة ولاسيما من وقع في لوثة التصوف كإبراهيم بن صالح الرشيدي الذي اشتدّ النكير عليه إبّان جواره بمكة لما لديه من خرافات صوفية [4] والمطلع على كتابه"عقد الدر النفيس"يتبين له مدى انحرافه[5]، وهو من أبرز مشايخ الطريقة الإدريسية، وأحمد ابن إدريس الفاسي المغربي الذي يظهر في كتابه"السلوك"الكثير من المسالك الصوفية المنحرفة[6]، بل هو صاحب الطريقة الأحمدية المعروفة في المغرب[7]،وكذلك عبدالله بن حسين بن طاهر المالكي لديه تصوف يظهر في بعض مواعظه [8].

---

(١) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٠١ .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٢٩٧ .

(٣) انظر:معجم المؤلفين(٣/٧٣)أعلام المكيين ص٥٦٤ .

(٤) انظر:حلية البشر(١/٢٠)أعلام المكيين ص٤٥١ .

(٥) انظر:الأعلام(١/٤٣) .

(٦) انظر:حلية البشر(١/١٩٨) .

(٧) انظر:الأعلام(١/٩٥)نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، أحمد الحضراوي المكي الهاشمي،تحقيق محمد المصري،نشر وزارة الثقافة بسوريا، ط١ ، ١٩٩٦م، ص١٨٥ .

(٨) انظر:أعلام المكيين ص٨٤ .

المبحث الثاني

الجهود الدعوية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر

الناظر في تراجم المجاورين في هذه الفترة الزمنية يلحظ تنوع الجهود الدعوية، وتعددها خاصة فيما يتعلق بالجانب العلمي؛ إذ إنّ غالب المجاورين- كما مرّ- هم من العلماء وطلبة العلم فكان لهم مشاركة علمية فاعلة في مكة بعامة، وفي الحرم المكي بخاصة، وسأحاول استقصاء جوانب الموضوع عبر المطالب التالية:

المطلب الأول

إقامة الدروس العلمية

إنّ من أسمى غايات المجاورة نشر العلم الشرعي، فليس الغرض الاستفادة العلمية فحسب، وإنما إفادة غيره منه، فيعلّم من يلقاهم بمكة، ويدرّس العلم الذي تخصص فيه.

وإنّ القادم لمكة المكرمة يجد الفرصة سانحة ومناسبة لنشر ما لديه من علوم شرعية، وتبلغيها للناس، ولاسيما مع كثرة الأعداد الوافدة للحرم المكي، وتنوع أجناسهم ومذاهبهم، ولقد تبين من خلال هذا البحث بأن جلّ من جاور في هذه الفترة قاموا بالتدريس والإفادة في المسجد الحرام، فكانت هناك مجالس ثابتة، وحلق متعددة، مع تنوع في فنون الدروس، وكثرة في حضورها من أهل مكة والوافدين إليها لحج أو عمرة، فمنهم:إبراهيم بن سعد المقري فقد جلس بالمسجد الحرام لتدريس القرآن الكريم، والتجويد، والقراءات حتى كثُر طلابه، وعمّ نفعه [1]،وكذلك عيسى ابن محمد بن عيسى الزبيري الذي درّس في الحرم المكي علم الفقه، وانتفع به خلق كثير، مع ملازمته للوعظ والتذكير[2]، وأحمد الدمياطي

(١) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٥٣، أعلام المكيين ص٨٨٩ .

(٢) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/٣٤٥)والحركة العلمية بين نجد والزبير ص٦٨ .

المصري كان يُسمّى بحمامة الحرم لكثرة دروسه، إذ كانت خمسة دروس في اليوم والليلة [١]،ومحب الدين السليماني كان يحضر عنده خلق لأخذ علم الحديث[٢]، وكذلك محمد التهامي [٣].

أمّا محمد نور الجبرتي فكان يجول بالبيت الحرام يحث صغار السن على حضور الحلق العلمية مبيناً منافعها وثمارها [٤].

وخصص بعض المجاورين دروسه لنشر الدعوة بين أهل بلده الوافدين لمكة لحج أو عمرة لمعرفته بلغتهم وعاداتهم وطبائعهم؛ منهم علي بن عبدالقادر قُدُس الجاوي؛ فقد جعل حلقته في الحرم المكي لأهل جاوه [٥]، ومثله أحمد بن غفار سمبس الذي كان مع تدريسه لأهل جاوه كانوا يقدمون له الكثير من الهدايا التي أحضروها من بلادهم؛فكان ينفقها في حينها، ولا يمسك منها بشيء [٦]، أمّا محمد مراد البنغالي فقد كان غالب من يحضر دروسه هم من الهنود، وكان يدرس علم الحديث [٧].

لقد كان التدريس في المسجد الحرام هو السائد لدى المجاورين من العلماء وطلبة العلم، بل إن بعض المجاورين جعل له مكاناً خاصاً في الحرم المكي عُرف به مثل طاهر التكروري الذي كان درسه عند باب الزيادة، وكان يحضر عنده خلق كثير [٨].

---

(١) انظر:نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر ص١٥٠ .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٥٢١ .

(٣) انظر:انظر:الأعلام(٧/٧٢) .

(٤) انظر:انظر:أعلام المكيين ص٣٣٦ .

(٥) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٣٦٩ .

(٦) انظر:أعلام المكيين ص٥٢٦،سير وتراجم، عمر عبدالجبار،دار قهامة، الرياض،ط٣، ١٤٠٣هـ، ص٧١

(٧) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٨٠ .

(٨) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢٢٤ .

كما أسهمت بيوت المجاورين في ازدهار الحركة العلمية، ((حيث فتح كثير من المجاورين بيوتهم لطلبة العلم، فكانت تقام فيها الدروس الخاصة التي كانت ذات الأثر البالغ في نفوس الطلاب بوجه اجتماعي مميّز، إذ الطالب الذي يتلقى عن شيخه في منزله يحدث له ذلك انطباع في نفسه بأبوة هذا الشيخ له وبقربه منه....فأدى ذلك إلى نوع من الترابط الاجتماعي العلمي بين الشيخ وطلبته، ولاسيما إذا كان هؤلاء من جالية غير عربية لم تندمج كلياً في المجتمع المكي))[1]،ومنهم مشيئة الله بن عصمة الله البنغالي الذي خصص بيته للتدريس [2]، وكذلك الجنيد الجاوي فقد جعل من بيته مكاناً لتعليم الفقه واللغة العربية وتدريسها للطلاب القادمين من جاوه ولاسيما الذين يتحدثون باللغة الملاوية [3].

أمّا عبدرب الرسول المصري وهو من مشاهير القرّاء فقد فتح مكتباً وخصصه لتعليم القرآن والقراءات[4]، وأحمد بن شهاب الداغستاني كان يُدرّس في المدرسة السليمانية بمكة [5].

(١) الحياة العلمية في مكة(٢/٦٢٣) .

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٣٠٨ .

(٣) صفحات من تاريخ مكة، للمستشرق كرستيان ستوك، ترجمة د.علي بن عودة الشيوخ، نشر دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١ ،١٤١٩هـ(٢/٥٩٦) .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٨٩ .

(٥) انظر:معجم المؤلفين(٢/١٠١) .

المطلب الثاني

تصنيف المؤلفات النافعة

رغب كثير من المجاورين التصنيف إبّان وجودهم بمكة لأسباب متعددة منها:توفر المراجع العلمية المتنوعة في المكتبات ولدى الورّاقين حتى إنه مما اشتهر أن بعضهم إذا رام الحصول على كتاب فلم يستطع بعد جهد طويل فإنه يلجأ إلى الإعلان عنه في موسم الحج[1]، ومن الأسباب كذلك: شرف المكان وبركته، وهو مسلك مطروق عند علماء السلف؛ إذ منهم من صنف بعض كتبه وهو قبالة الكعبة يأتي من أشهرهم الإمام البخاري الذي قال:((صنفتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام))[2].

والحقُّ أن من صنف أثناء مجاورته كثير منهم:يوسف بن محمد الأهدل، فقد ألف في مكة كتابه"إفهام الأفهام بشرح بلوغ المرام،"وكذلك"شرح منظومة القواعد" [3]، ويوسف السنبلاوي عكف في المسجد الحرام على تأليف كتابه"العروس المجلية" وهي حاشية على متممة الآجرومية، كما أكمل شرح مسند الشافعي للسندي [4]، ومحمد الصنعاني ألف"حاشية على ابن ماجه"وكذلك مصنف

---

(١) انظر:إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة في القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري،وفاء المزروع، ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية،جامعة أم القرى،عام ١٤٢٦، ص٨٥ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني،دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ(١/٤٨٩)وانظر للاستزادة:طبقات العلماء والملوك،محمد بن يوسف، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء،ط١ ،١٩٩٣م(١/٢٦٦)والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،محمد بن أحمد الحسني الفاسي، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ(٧/٤٤٤) .

(٣) انظر:حلية البشر(١/١٦١٠) .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٥٢٦ .

لطيف بعنوان"التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف"[١]،وأحمد المرزوقي صنع "منظومة في الصرف"ورسالة في"الفلك"وشرح لـ"الآجرّومية"[٢]،ومحمد الكتبي ألف في مكة حاشية على شرح العيني[٣]،أمّا محمد السنوسي فقد صنف في مكة جلّ مؤلفاته منها"إزاحة الأكنّة في العمل بالكتاب والسنّة"و"نزهة الجنات في أوصاف مفسر القراءات"و"بغية السول في الاجتهاد والعمل بأحاديث الرسول"[٤]،وعثمان بن سند النجدي ألف في مكة "الشذرات الفاخرة في نظم الورقات الناضرة"و"الفائض في علم الفرائض"و"النخبة في أصول الحديث"وله نظم في أصول الفقه [٥]، كما قام محمد بن حميد وهو في مكة بصنع حاشية فريدة على المنتهى وشرحه لمنصور البهوتي [٦].

كما ألف بعضهم في المناسك مثل حسن بن إبراهيم بن عامر [٧]،وعبدالله بن حسين بن طاهر [٨].

وقام بعض المجاورين بالتأليف عن جواره بمكة، ورحلته الحجازية متحدثاً فيه عن تفاصيل سفرته وما لقيه في الطريق، ثم وصوله ومدى فرحه بذلك، منهم محمد الرباطي وعنون كتابه بـ"الرحلة الحجازية"[٩]،وأحمد بن عمار الجزائري وعنون

---

(١) انظر:فهرس الفهارس(٢/٨٣٠)معجم المؤلفين(١/٣١٩) .

(٢) انظر:الأعلام(٦/١٢٩)وأعلام المكيين ص٨٦٢ .

(٣) انظر:سير وتراجم ص٢٤٠ .

(٤) انظر:معجم المؤلفين(١١/١٤)وفهرس الفهارس(٢/١٠٤٠)والحياة العلمية بمكة(٢/٦٠٨) .

(٥) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/١٤٣)والتحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، محمد خليفة النبهاني، ط١ ، ١٤٠٦، ص٢١٠ .

(٦) انظر:الحياة العلمية في مكة(٢/٧٣٠) .

(٧) انظر:أعلام المكيين ص٨٢٦ .

(٨) انظر:انظر:الأعلام (٤/٨١) .

(٩) انظر:فهرس الفهارس(١/٢٧٩)الأعلام(٧/٧٢) .

كتابه بـ"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"[1]، وفي هذا الكتاب وجه ابن عمّار عتابه ولومه إلى حكام مكة الذين يغضون الطرف عما يجري في الحرمين من بدع منكرة بمناسبة ذكرى المولد النبوي [2]

كما قام بعض المجاورين بنوع مهم من التأليف وهو "الترجمة" من العربية إلى لغات أخرى؛ فقد عمد محمد بن نور الجبرتي بترجمة عدد من المؤلفات من العربية إلى الملاوية، منها ترجمة كتاب"الهدية السنية في العقيدة السلفية"للشيخ سليمان بن سحمان، كما ترجم كتاب"سلم المبتدئ"وهو في الفقه الشافعي[3]،وكذا صنع مشيئة الله البنغالي الذي ترجم مصنفاً في العقيدة من العربية إلى الفارسية [4]

لقد أسهم هؤلاء المجاورون بشكل كبير وبنصيب وافر من المصنفات العلمية التي كان لها التأثير العلمي على أهل مكة وغيرهم.

---

(١) انظر:أعلام المكيين ص١٥٠،وقد طُبع قسم من هذه الرحلة، ومخطوطته موجودة في المكتبة الوطنية بالجزائر، انظر:رحلة الرحلات (٣٩٢/١) .

(٢) انظر:رحلة الرحلات(٣٩٥/١) .

(٣) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٧٤، وسير وتراجم ص٣٠٢ .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٣٠٨ .

المطلب الثالث

إنشاء المكتبات، ونسخ مصنفات السلف

شارك المجاورون في هذه الفترة في دعم آخر للجانب الدعوي والحياة العلمية، إذ قاموا بجمع مصنفات أهل العلم، وتأسيس مكتبات خاصة لهم شاملة لشتى أنواع العلوم المطبوع منها والمخطوط، وكان هذا الصنيع لأجل الاستفادة منـــها أولاً، ثم لفتح المجال أمام طلاب العلم والمعرفة للـــتزود منها والاطلاع عليها.

من أبرزهم:عيسى الزبيـــــري، فقد كان لديه بمكة مكتبة ضخمة تضمّ أكثر من عشرة آلاف كتاب[1]، وكذلك محمد الهديي التميمي ترك في مكة مكتبة كبيرة فيها نفائس المصنفات، ونوادر المخطوطات على بعضها خطه[2]، وصالح الأفنـــدي كان يملك في مكة مكتبة كبيرة، وكان قد أوقف جميع كتبه،وجعل مقرها"قبة خانة العثمانية"الكائنة بالمسجد الحرام[3].

ولـــــمّا كانت"الوراقة" أحد أهم الروافد العلمية لنشر الكتاب ولاسيما قبل ظهور الطباعة الحديثة فقد اجتهد بعض المجاورين، وقاموا بنسخ مؤلفات السلف إمّا بمقابل مادي أو ابتغاء وجه الله تعالى والتقرب إليه بنشر العلم النافع، مؤدين بذلك عملاً فريداً يتمثل في تزويد مكتبات مكة بالمصنفات التي علت شـــهرتها، وزادت الحاجة إلى الاطلاع عليها، والانتفاع بها، وقد كان لبعض المجاورين مكتبة خاصـــة لبيع الكتب مثل محمد الكناني الذي كان من أكبر تجار الكتب، ولديه مخطوطـــات

(١) انظر:الحركة العلمية بين نجد والحجاز ص٦٨ .

(٢) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥٠٨/٥) .

(٣) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٢١٣ .

نفيسة، وكان دكانه بباب السلام وهو مكان تجتمع فيه العديد من الدكاكين لبيع الكتب يعود بعضها لعقود بعيدة [١]

وقد انبرى لمهمة الوراقة من عُرف بحسن خطه، ودقة ضبطه،وعدالة دينه، منهم:حسن بن عامر الذي نسخ العديد من المصنفات بخطه، من أبرزها:صحيح البخاري[٢]،وكذلك عبدالله بن فايز أبا الخيل الذي اشتهر بخطه الجميل، نسخ بقلمه كتباً عديدة في الأصول والفروع والحديث والتفسير [٣]، ومحمد الكتبي نسخ بخط يده الكثير من المؤلفات لاسيما كتب المكيين مع ضبط تام، وتدوين هوامش مفيدة[٤] وصالح الحريري كتب العديد من الرسائل مع شهرته بالضبط التام [٥]،كما قام محمد بن حميد بنسخ كتاب"البلبل في أصول الفقه"في المسجد الحرام مشاهدة للبيت الحرام[٦].

لقد كان لنسخ الكتب من قبل المجاورين أثر في وفرتها من جهة ورخص ثمنها من جهة أخرى مما أدى إلى توافرها بين أيدي الناس، بل إن بعضها لازال موجوداً بخط هؤلاء في مكتبة الحرم المكي، واشتهر بأن من كان يريد نشر مؤلفاته، أو الاطلاع والبحث عن كتاب فعليه بالذهاب إلى مكة أو المدينة [٧].

---

(١) انظر:قصتي مع المكتبات، عبدالعزيز الرفاعي، دار الرفاعي، الرياض،ط١ ،١٤١٣هـ، ص١٢،عوامل الهجرة السكانية،د.مها اليزيدي،نشر مؤسسة السديري الخيرية، الرياض،ط١ ، ١٤٣٣هـ، ص٧٣

(٢) انظر:أعلام المكيين ص٨٢٦ .

(٣) انظر:روضة الناظرين (١/٣٣١) .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٧٩٣، وسير وتراجم ص٢٤٠ .

(٥) انظر:أعلام المكيين ص٣٧٠ .

(٦) انظر:التطبيقات الدعوية في الرحلات العلمية لعلماء نجد،عبدالله بن زيد المسلم،إصدار الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ط١ ، ١٤٣٧هـ ص١٨٩ .

(٧) انظر:الحياة العلمية في مكة(٢/٦٢٤).

المطلب الرابع

نشر الدعوة الصحيحة بعد المجاورة

سعى جملة من المجاورين إلى نشر ما تحصلوا عليه من علم شرعي ودعوة صحيحة، فلما عادوا إلى أوطانهم كان أول ما بدؤوا به أن نشروا تلك العلوم؛ قياماً بواجب تبليغ الدعوة إلى الله، فمن هؤلاء:نيتو مير نثار علي الحنفي الذي تأثر خلال مجاورته بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، فكان لذلك أثر بعد عودته لبلده"الهند"فقام بالدعوة إلى التوحيد الخالص بين مسلمي منطقته، ونبذ الشرك، والتحذير من البدع والخرافات والمحدثات.وقد أثمرت دعوته بين أبناء مجتمعه وجنى ثمار ذلك والحمدلله[1]،وكذلك شرعة الله البنغالي تأثر أثناء جواره بمكة بدعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب والتي انتشرت حينها بمكة، فلمّا عاد إلى بلاده أخذ يطبق ما درسه داعياً للتوحيد، ومحذراً مما ينقضه،فعاد كثير من الناس إلى جادة الصواب،وكان هدف الشيخ شرعة الله هو تخليص المسلمين مما حل بهم، ودخل عليهم من العقائد الوثنية والهندوسية، والسعي لتوسيع رقعة الإسلام، واستمر على ذلك حتى وفاته رحمه الله[2].ومنهم أحمد بن عرفان الهندي الذي أُعجب بالدعوة السلفية من خلال آثارها بمكة المكرمة، فعندما عاد بعد جواره إلى إقليم"بنجاب"، حارب البدع والخرافات، وتقديس الأولياء والصالحين، وكثيراً من البدع التي ضربت أطنابها في قلوب المسلمين، ثم سرعان ما ذاع صيته واعتنق مبادءه السلفية آلاف من المسلمين، ثم أسس دولة مستقلة في بنجاب وما حولها حتى وصل نفوذها إلى منطقتي السند وبلوخستان وجزء من أفغانستان[3]، ويذكر

---

(١) انظر:أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، سمير عبدالحميد، ندوة الحج ص٤١٩ .

(٢)انظر: الحياة العلمية بمكة(٦٠٧/٢) .

(٣) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٦٣/١) .

بعض المعاصرين أن القرن الثالث عشر هو وقت دخول الدعوة السلفية إلى جزيرة"سومطرة"في إندونيسيا حين عاد عدد من الدعاة من مكة[1].

كما أن محمد السنوسي حين مجاورته التقى ببعض علماء الدعوة السلفية بمكة، وتأثر بآرائهم، وبنى عليها أصول دعوته حين عاد إلى ليبيا من الحثّ على التوحيد الخالص، ونبذ الشرك وأنواع البدع والخرافات كالتوسل بالصالحين، وحرص على نبذ التقليد والحث على الاجتهاد، ومع ذلك فقد شاب دعوته شيء من التصوف والتشدد [2].

وعبدالله المالكي الذي عكف أثناء جواره على تلقي العلوم الشرعية من علماء مكة فلمّا عاد إلى بلاده"حضرموت" قام بنشر العلم وإقامة مجالس الوعظ [3].

كما إن موسم الحج كان فرصة ينتهزها المجاورون للدعوة إلى الله بين الحجاج القادمين من مشارق الأرض ومغاربها،يبينون أفكارهم، ويشرحون مبادئهم بأسلوب دعوي رفيع، فاقتنع بذلك أشخاص لهم مكانتهم في ديارهم، فلما رجعوا نشروا تلك المبادئ والعقائد الصحيحة.

لقد كان تأثير الدعوة السلفية، وتحديداً الدعوة الإصلاحية واضحاً وظاهراً على مجاوري البلد الحرام.

---

(١) انظر:دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي،د.محمد بن عبدالله السلمان، ص٨٠

(٢) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤٤٣،معجم المؤلفين(١٤/١١) .

(٣) انظر:معجم المؤلفين(٤٦/٦)الأعلام(٨١/٤) .

٣

المبحث الثالث

العوامل المساعدة للمجاورين لنشر دعوتهم

ثمة أمور متعددة كان لها الدور الفاعل، والعامل المؤثر لإعانة المجاورين لاتخاذ قرار المجاورة، ومن ثم العزم على نشر الدعوة، وسأكتفي بذكر أبرز هذه العوامل، وهي مبثوثة في المطالب التالية:

المطلب الأول: العوامل الدينية

وأعني بذلك فريضة الحج تحديداً، لقد كان أداء شعيرة الحج قديماً يحيط به الكثير من التعب والنصب والخوف، ويقضي الحاج لأجل وصوله لمكة الشهور المتعددة؛ فإذا وصل الحاج لمقصوده فإنه بذلك يكون قد أنجز أمراً عظيماً ربما لا يكرره مرة أخرى.

قال ابن الصباح:((والله لقد دخلتُ مكة شرفها الله، فالحمد لله كثيراً كما هو أهله، والحمد لله الذي سلمنا من تلك المفاوز والقفار المهلكة، والجبال الموحشة.وكم من حاج ينتظره أهله وهو قد مات عطشاً، وكم من سلطان يتمنى النظر للكعبة الشريفة و لم يرها، وكم من أمير ووزير يريد المشي إليها ولا يُحمل،وكم من مذنب يريد أن يطهر ذنوبه بالوقوف بعرفة ولا يُعطى،وكم من واصل نصف الطريق و لم يبلغ...الخ))[1]، ولذا آثر العديد من الحجاج استثمار ذلك بالمجاورة بالبلد الحرام، ومن أبرز هؤلاء:حسين بن علي العظيم آبادي الذي سافر إلى مكة سنة ١٢٧٦هـ لأداء فريضة الحج فقرر المجاورة [2].

---

(١) رحلة الرحلات (١٦٧/١)بتصرف يسير .

(٢) انظر:الحياة العلمية بمكة(٦٠٠/٢) .

وممن حج وجاور أيضاً أحمد النحراوي[١]، وصنع الله الهندي [٢]،وعبدالله بن طاهر [٣]،وعثمان بن سند [٤] وعيسى الزبيري [٥]، وفراج الزبيري [٦]، ومحب الدين السليماني [٧]،،ومحمد بن سلطان النجدي [٨] وغيرهم كثير.

(١) انظر: أعلام المكيين ص٩٦٤ .

(٢) مختصر نشر النور والزهر ص٢٢٤ .

(٣) انظر:الأعلام(٤/٨١) .

(٤) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/١٤٣) .

(٥) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير ص٦٨ .

(٦) انظر:السحب الوابلة(٢/٨١٣) .

(٧) انظر:أعلام المكيين ص٥٢١ .

(٨) انظر:روضة الناظرين(٥/٥٤٤) .

المطلب الثاني

العوامل الاجتماعية

كان للجانب الاجتماعي الدور الكبير عند بعض نزلاء الحرم المكي للمضي قُدُماً في قرار الجوار، والثبات عليه، وأعني بذلك الزواج من امرأة مكية فإن لهذا الأمر أثراً في بقاء المجاور بمكة، وإتمام مجاورته، ومن هؤلاء:إبراهيم بن سعد المقري الذي قرر الجوار بمكة بعد أن تزوج بإحدى نسائها [١]، وكذلك محمد مراد الدمياطي الذي قرر الجوار بعد أن تزوج من امرأة مكية، ورُزق منها بذرية [٢].

كما أن ثمة أمراً اجتماعياً كان له دور في تتمة الجوار وهو موافقة أسرة المجاور البقاء في مكة، وعدم الرجوع إلى بلدهم، ومن هؤلاء محمد حسين الكتبي الذي قدم من مصر إلى مكة بصحبة عائلته فقرروا جميعاً الجوار بمكة [٣]

كما أن للمكانة الاجتماعية المرموقة لبعض المجاورين عند العامة والخاصة دوراً في تشجيع واستمرار أمر المجاورة، فمحمد الشعّاب أصبح من أعيان مكة المشاهير[٤]، ومحمد مراد البنغالي صار مبجلاً عند عامة الناس وخاصتهم [٥].

---

(١) انظر:أعلام المكيين ص٨٨٩، نظم الدرر ص٤١، دروس من ماضي التعليم وحاضره، عمر عبدالجبار ص١٥٨ .

(٢) انظر:الحياة العلمية بمكة(٢/٦٠٣) .

(٣) انظر:سير وتراجم ص٢٤٠ .

(٤) انظر:أعلام المكيين ص٥٦٥ .

(٥) انظر:أعلام المكيين ص٨٤٩ .

المطلب الثالث

العوامل الاقتصادية

أسهم أهل مكة من أمراء وعلماء في تهيئة البيئة المناسبة للمجاورين، وتذليل العوائق، وإيجاد المناخ المناسب للاستفادة والإفادة، وتعهدوا لهم بالعناية والرعاية، وخصوصاً من الناحية الاقتصادية، إذ به يطمئن المجاور على معيشته ولاسيما من رافقه أهله إلى مكة.

فقد أُسند إلى عدد من المجاورين جملة من الوظائف الدينية الملائمة لهم كالإفتاء والخطابة والإمامة والتدريس ونحو ذلك. فقد تولى محمد الكتبي وظيفة الإفتاء بالمسجد الحرام[1]،ومحمد الفتياني عُيّن مفتياً وإماماً وخطيباً في المقام الحنفي[2]،كما تولى حسن بن عامر إفتاء المالكية بمكة [3]،وبعده كان محمد المرزوقي [4]،وأحمد الدمياطي عُيّن مفتياً للشافعية في عصره [5]من ناحية أخرى فقد توظف عدد من المجاورين في مدارس مكة مثل أحمد الداغستاني عيّن مدرساً بالمدرسة السليمانية بمكة [6]،ومحمد حسين الكتبي توظف بمدرسة الصولتية[7] التي أنشأها رحمة الله الهندي لتعليم الطلبة التجويد والقراءات[8].

---

(١) انظر:أعلام المكيين ص٧٩٢ .

(٢) انظر:الأعلام(٦/٢٩٧).

(٣) انظر:أعلام المكيين ص٨٢٦ .

(٤) انظر:معجم المؤلفين(١٠/٣)الأعلام(٦/١٢٩) .

(٥) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٨٨ .

(٦) انظر:أعلام المكيين ص٤١٩، الأعلام(١/٢٤٧) .

(٧) أسسها رحمة الله الهندي على نفقته عام ١٢٨٥هـ، ثم انتقلت إلى دار أحد الأمراء الهنود، وفي عام ١٢٩٠هـ تبرعت امرأة هندية اسمها صولت النساء بمال لإقامة بناية للمدرسة، فسميت المدرسة الصولتية نسبة إلى هذه المرأة المحسنة.انظر:الحياة العلمية في مكة(٢/٣٩٣) .

(٨) انظر:انظر:أعلام المكيين ص٨٨٩ .

كما أسهم تجار مكة وغيرهم بالأمر ذاته بإقامة الأربطة، والأماكن المناسبة لسكنى المجاورين مع ما يتبعها من مصروفات وإعاشة ونحوها؛ فعبدالله بن سرّاج الحنفي سكن إبّان مجاورته بإسكان المدرسة الداودية[1]، ومحمد بن حميد كان يسكن في أحد أربطة الحرم المكي[2] وقامت امرأة من الهند بشراء دار وجعلتها لأحد المجاورين[3]كما سكن محمد بن سلطان الحنبلي بأحد أربطة الحرم المكي [4].

وسعى بعض المجاورين إلى اجتهادات شخصية لتعينه على أمور معيشته؛ فكان عبدالله أبا الخيل يتعيش من نسخ الكتب[5]، وعمل محمد بن أحمد جاد الله المصري بالطوافة أحياناً [6]،ومحمد الهديبي عمل بالتجارة أول مجاورته [7].

لقد كان لهذه الأعمال التجارية، إضافة إلى ما تقدم من وظائف دينية وتعليمية في المسجد الحرام بل في مكة الأثر في إعانة المجاورين على صعوبة الحياة وتكاليفها،وكان لها الأثر في تشجيع غيرهم للقدوم للمجاورة والعيش في رحاب مكة.

---

(١) انظر:فهرس الفهارس(٢/٧٥٢) .

(٢) انظر:روضة الناظرين(٢/٢١٣)وعلماء نجد خلال ثمانية قرون(٦/١٨٩) .

(٣) انظر:نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر ص٨٢ .

(٤) انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون(٥/٥٤٤) .

(٥) انظر:الوراقة في منطقة نجد،د.الوليد الفريان،دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١ ،١٤٣٣هـ ص٩١ .

(٦) انظر:مختصر نشر النور والزهر ص٤١٥ .

(٧) انظر:الحركة العلمية بين نجد والزبير ص٢٤٦ .

الخاتمة

أحمد الله تعالى أن يسر إتمام هذا البحث، والحق أني استفدت كثيراً من قراءتي لسير هؤلاء المجاورين إذ عشت معهم أياماً طويلة رحمهم الله تعالى، وهو محاولة للوقوف على الجهود الدعوية والعلمية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر الهجري، وأضع أبرز النتائج على النحو التالي:

١- كثرة الممارسات الدعوية، وتنوعها، مما يدل على أن المجاورين قد شكلوا مظهراً دعويا فريداً، وأسهموا في حِراك علمي ودعوي.

٢- أن المجاورين قد عمّ نفعهم وخيرهم على أوطانهم بعد عودتهم، إضافة إلى المكانة الرفيعة في بلدانهم.

٣- تنوع المجاورين في فترة الدراسة من الناحية المكانية والمذهبية؛ إذ لم تكن المجاورة بمكة قاصرة على بلد أو مذهب معين.

٤- الأثر الواضح لدعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، في نشر بعض المجاورين لعقيدة السلف.

٥- عناية المجاورين بالتصنيف، وتلقي وإلقاء العلوم الشرعية إبّان وجودهم بالحرم المكي.

٦- أن غالب المجاورين في هذه الفترة من العلماء وطلبة العلم، وهم أيضاً من العباد والزهاد.

٧- أن العوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية كان لها أثر في زيادة أعداد المجاورين في مكة في القرن الثالث عشر الهجري.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة بأسماء المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر الهجري مرتبين هجائياً،ومذاهبهم، وبلدانهم،وسنة الوفاة.

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
١-إبراهيم بن سعد المقري	مصر	شافعي	١٢٩٠
٢-إبراهيم بن صالح الرشيد	السودان	شافعي	١٢٩١
٣-إبراهيم بن محمد الصنعاني	اليمن	مالكي	١٢٩٠
٤-أحمد بن إدريس الحسني	المغرب	مالكي	١٢٥٣
٥-أحمد بن عبدالرحمن النحراوي	مصر	شافعي	١٢٩١
٦-أحمد بن عبدالغفار سمبس	اليمن	شافعي	١٢٨٩
٧-أحمد بن عمار بن عبدالرحمن بن عمار	الجزائر	مالكي	١٢٠٥
٨-أحمد بن محمد الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٧٠
٩-أحمد بن محمد شهاب الدين	داغستان	شافعي	١٢٩٥
١٠-إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوي	الهند	حنفي	١٢٦٢
١١-بشري بن هاشم الجبرتي	اليمن	شافعي	١٢٦٧
١٢-الجنيد الجاوي	جاوه	حنفي	١٢٧٠
١٣-جان السليماني	جاوه	حنفي	١٢٦٧
١٤-حسن بن إبراهيم بن عامر	المغرب	مالكي	١٢٩٢
١٥-حسين بن علي العظيم آبادي	الهند	حنفي	١٢٩٤
١٦-شرعة الله البنغالي	بنغلاديش	حنفي	١٢٥٦
١٧-صنع الله الهندي	الهند	حنفي	١٢٣٧
١٨-صالح الحريري الأفندي	مصر	شافعي	١٢٩٢
١٩-صالح بن راوه	جاوه	شافعي	١٢٧٠

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٢٠-طاهر التكروري العباسي	اليمن	مالكي	١٢٧٠
٢١-عبدالله بن محمد بن صقيه	نجد	حنبلي	١٢٥٦
٢٢-عبدالله بن حسين بن طاهر	حضرموت	مالكي	١٢٧٢
٢٣-عبدالله بن محمد كوجك	بخارى	حنفي	١٢٩٧
٢٤-عبدالله بن فايز أبا الخيل	نجد	حنبلي	١٢٥١
٢٥- عبدالله بن سليمان بن عبيد	نجد	حنبلي	١٢٤١
٢٦-عبدالله بن سراج الرومي		حنفي	١٢٤٠
٢٧-عبدالخالق بن إبراهيم الحفظي	عسير	شافعي	١٢٨٣
٢٨-عبدالغني الجاوي	جاوه	حنفي	١٢٨٠
٢٩-عبدالرحمن بن محتشم المولوي	اليمن	مالكي	١٢٩٤
٣٠-عبدرب الرسول المصري	مصر	شافعي	١٢٩٣
٣١-عثمان بن حسن الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٦٥
٣٢-عثمان بن محمد بن سند	نجد	حنبلي	١٢٤٢
٣٣-عيسى بن محمد الزبيري	الزبير	حنبلي	١٢٤٨
٣٤-علي بن أحمد البهكلي	عسير	شافعي	١٢٦١
٣٥-علي بن عبدالقادر قدس	جاوه	شافعي	١٢٧٢
٣٦-علي بن أحمد الرهبيني	مصر	شافعي	١٢٩٣
٣٧-علي بن حمد المداح	مصر	شافعي	١٢٧٧
٣٨-فراج بن سابق الزبيري	الزبير	حنبلي	١٢٤٦
٣٩-قطب الدين الدهلوي	الهند	حنفي	١٢٨٩
٤٠-مشيئة الله بن عصمة لله	بنغلاديش	حنفي	١٢٩٩

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٤١-محب الدين السليماني	الهند	حنفي	١٢١١
٤٢-محمد بن أحمد جاد الحق	مصر	حنفي	١٢٨٩
٤٣-محمد بن محمد الرباطي التهامي	المغرب	مالكي	١٢٤٤
٤٤-محمد مراد الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٩٦
٤٥-محمد بن علي السنوسي	الجزائر	مالكي	١٢٧٦
٤٦-محمد بن سلطان النجدي	نجد	حنبلي	١٢٩٨
٤٧-محمد بن عبدالله بن حميد	نجد	حنبلي	١٢٩٥
٤٨-محمد بن سعد الفاسي	المغرب	مالكي	١٢٨٨
٤٩-محمد بن حسين الكتبي	مصر	حنفي	١٢٨١
٥٠-محمد نور الفطاني	جاوه	حنفي	١٢٧٣
٥١-محمد وقيل أحمد بن رمضان المرزوقي	مصر	مالكي	١٢٦١
٥٢-محمد نور الجبرتي	اليمن	مالكي	١٢٩١
٥٣-محمد بن خضر البصري	العراق	شافعي	١٢٦٠
٥٤-محمد بن محمود شطا	مصر	شافعي	١٢٦٦
٥٥-محمد بن صالح الشعاب	المدينة	حنفي	١٢٤٠
٥٦-محمد بن علي العمراني	اليمن	مالكي	١٢٦٤
٥٧-محمد بن حسين الفتياني	القدس	حنفي	١٢٨٠
٥٨-محمد بن صالح الكتبي	مصر	حنفي	١٢٩٥
٥٩-محمد مراد البنغالي	بنغلاديش	حنفي	١٢٨٠
٦٠- محمد بن حمد الهديبي	نجد	حنبلي	١٢٦١
٦١-نيتو مير نثار	الهند	حنفي	١٢٩٣

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٦٢-يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي	الهند	حنفي	١٢٨٣
٦٣-يوسف بن عبدالرحمن السنبلاوي	مصر	شافعي	١٢٨٥
٦٤-يوسف محمد البطاح الأهدل	اليمن	شافعي	١٢٤٦

مذاهب المجاورين

المذهب	العدد
الحنفي	٢٣
المالكي	١٣
الشافعي	١٩
الحنبلي	٩
المجموع ٦٤	

أصناف المجاورين حسب البلد

البلد	العدد
مصر	١٤
الهند	١٠
اليمن	٩
نجد	٧
جاوه	٦
بنغلاديش	٣
المغرب	٣
الجزائر	٢
الزبير	٢
العراق	١
السودان	١
داغستان	١
المدينة	١
القدس	١
بخارى	١
عسير	١
المجموع ٦٣	

المراجع

١ – إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة في القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري،وفاء المزروع، ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية،جامعة أم القرى،عام ١٤٢٦هـ.

٢ – الأعلام، خير الدين الزركلي،دار العلم للملايين، بيروت،ط١٦، ٢٠٠٥م.

٣ – أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،مكة المكرمة،ط١، ١٤٢٦هـ.

٤ – البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني،دار المعرفة، بيروت.

٥ – بغية الطلب في تاريخ حلب،عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

٦ – وبلغة السالك لأقرب المسالك،أحمد الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ه.

٧ – تاج العروس من جواهر القاموس،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،دار الهداية.

٨ – تاريخ بغداد أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩ – التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، محمد خليفة النبهاني، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٠ – تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد الذهبي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

١١ – التطبيقات الدعوية في الرحلات العلمية لعلماء نجد،عبدالله بن زيد المسلم،إصدار الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ.

١٢ – جامع المسائل،بو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني،تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٣- الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون،سعود بن عبدالعزيز الربيعة،الدار العربية للموسوعات، بيروت،ط١، ١٤٣٢ه.

١٤- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٥- الحياة العلمية في مكة المكرمة،د.آمال رمضان عبدالحميد، نشر مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة، ط١، ١٤٣٢ه.

١٦- دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي،د.محمد بن عبدالله السلمان.

١٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني،تحقيق محمد عبدالمعيد ضان،نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية،١٣٩٢ه.

١٨- رحلة الرحلات.مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، د.عبدالهادي التازي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ

١٩- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين،محمد بن عثمان القاضي،مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣ه.

٢٠- علماء نجد خلال ثمانية قرون،عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢١- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة،محمد بن حميد،مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٦هـ.

٢٢- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن مراد الحسيني، دار البشائر الإسلامية، عمّان، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٢٣- سير أعلام النبلاء،محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبوعبد الله، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة، بيروت،ط ٩، ١٤١٣هـ.

٢٤- سير وتراجم، عمر عبدالجبار،دار تهامة، الرياض،ط٣، ١٤٠٣هـ.

٢٥- شذا العبير في تراجم علماء عسير،هاشم بن سعيد النعمي،نشر نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٣٨، والحياة العلمية بمكة.

٢٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،شهاب الدين ابن العماد الحنبلي،تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٧- الصحاح،إسماعيل الجوهري،دار العلم للملايين،بيروت،ط٣، ١٤٠٤ه.

٢٨- صفحات من تاريخ مكة، للمستشرق كرستيان ستوك، ترجمة د.علي بن عودة الشيوخ، نشر دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٩- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي،مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة،ط١، ١٤٠٢هـ.

٣٠- طبقات العلماء والملوك،محمد بن يوسف، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء،ط١، ١٩٩٣م.

٣١- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،محمد بن أحمد الحسني الفاسي، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٢- عوامل الهجرة السكانية،د.مها بنت سعيد اليزيدي،نشر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الرياض،ط١، ١٤٣٣هـ.

٣٣- فضائل مكة والسكنى بها، للحسن البصري،تحقيق سامي العاني،مكتبة الفلاح،الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٣٤- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني،تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٩٨٢م.

٣٥- القاموس المحيط،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

٣٦- القرى لقاصد أم القرى، محب الدين الحافظ أبي العباس الطبري،مكتبة البابي، القاهرة،ط٢، ١٣٩٠ه.

٣٧- قصتي مع المكتبات عبدالعزيز الرفاعي،دار الرفاعي،الرياض،ط١، ١٤١٣هـ

٣٨- لسان العرب،محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ

٣٩- المبسوط،محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت،١٤١٤ه

٤٠- المجموع شرح المهذب، شرف الدين النووي،دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م

٤١- مختصر نشر النور والزهر في تراجم فضائل مكة،عبدالله مرداد أبو الخير،تحقيق محمد سعيد العامودي،دار عالم المعرفة، جدة،ط٢، ١٤٠٦هـ

٤٢- المدخل،محمد بن محمد المالكي الشهير بابن الحاج،دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤٠١هـ

٤٣- مسألة المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة بمكة،لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالسلام الحراني، تحقيق أشرف عبدالمقصود،دار أضواء السلف، الرياض،ط١، ١٤٢٢هـ

٤٤- معجم المؤلفين،عمر بن رضا بن محمد راغب بن كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى، بيروت

٤٥- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،عبدالحي الحسني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،الهند، ط٢، ١٣٩٨هـ

٤٦- نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، أحمد الحضراوي المكي الهاشمي،تحقيق محمد المصري،نشر وزارة الثقافة بسوريا، ط١، ١٩٩٦م

٤٧- نفح الطيب وغصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ

٤٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر

٤٩- الوافي بالوفيات،صلاح الدين الصفدي،دار إحياء التراث،بيروت،ط٢، ١٤٢٠هـ،

٥٠- الوراقة في منطقة نجد،د.الوليد الفريان،دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
قواعد النشر	٧
مقدمة العدد	٩
١/ دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم "دراسة تحليلية"	١١
٢/ بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل	٦٣
٣/ الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ " لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"	١١٩
٤/ منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي	٢٠٣
٥/ استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين "الاستراتيجية التضامنية أنموذجا"	٢٥٧
٦/ المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها	٣٢١
٧/ المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية	٤٠٩
فهرس الموضوعات	٤٥٣

بصیره

الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤيـــة :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرسـالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-

- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

الرياض – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المعهد العالي للدعوة والاحتساب
صندوق البريد :٤٨٤٧ الرمز البريدي : ١١٤١٢ هاتف : ٠٩٦٦١١٢٥٨٠١٣٢
البريد الإلكتروني : bsserah@gmail.com